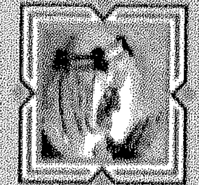

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

النبي ﷺ وَيَهُودُ المَدِينَةِ

أ. د. محمد بن فارس الجميل

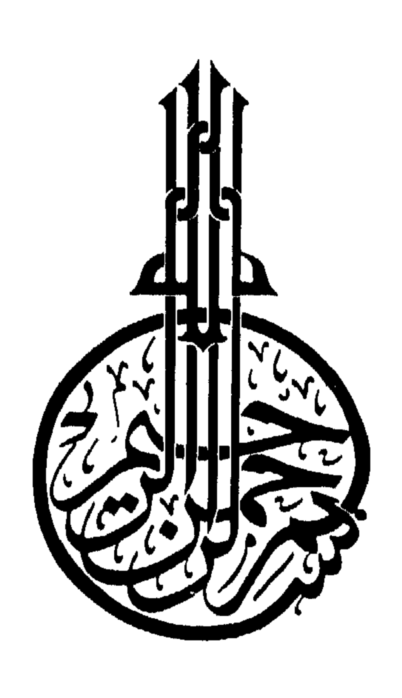

النبي ﷺ ويهود المدينة

دراسة تحليلية لعلاقة الرسول ﷺ بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها

أ. د. محمد بن فارس الجميل
قسم التاريخ / كلية الآداب
جامعة الملك سعود - الرياض

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

ⓗ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الجميل، محمد بن فارس
النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة .ـ الرياض.
٣٣٠ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٩-٧٨- ٧٢٦-٩٩٦٠
١ ـ غزوات النبي ٢ـ اليهود في المدينة المنورة أ ـ العنوان
ديوي ٤ر٢٣٩ ٠١٩٦/ ٢٢

رقم الإيداع: ٠١٩٦/ ٢٢
ردمك: ٩-٧٨-٧٢٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

المحتويات

الإهـــــداء

إلى زوجتي الوفية شيخة..

إلى أبنائي الأعزاء :

غفران

وأسامة

وأحمد

وفارس

ومصعب

أقـــدم هـــذا الجهـــد المتواضـــع الذي لم يكن بالإمكان تحقيقه لولا صبرهم وتشجيعهم الدائبان.. فلهم مني جزيل الشكر وأرجو من الله المثوبة.

محمـــــد

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

حصلت من جامعة الملك سعود في العام الدراسي الجامعي ١٤١٩/١٤٢٠هـ، على إجازة تفرغ علمي قضيت جزءاً منها في بعض جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تسنى لي خلالها جمع أكثر مادة هذه الدراسة. والحقيقة أنه لولا هذه الفرصة التي أتاحتها لي الجامعة لكان من المتعذر إنجاز هذا العمل، فلجامعة الملك سعود ممثلة بمجلسها العلمي وافر الشكر. والشكر موصول كذلك لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الذي تفضل بنشر هذه الدراسة.

ولا يفوتني في الختام أن أشكر كل من ساعد على إنجاز هذا العمل سواء بقراءة مسوداته أو أدلى برأي أو ملحوظة من شأنها إظهاره بالمظهر اللائق، وأخص منهم الأساتذة الأفاضل: صالح الوهيبي وعبد العزيز المانع وعبدالعزيز الهلابي وعز الدين موسى وعمر العقيلي.

أرجو الله أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم.

مقدمة

إن الهدف من هذه الدراسة هو التعرف إلى تاريخ العلاقة التي كانت سائدة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة ونوعيتها منذ هجرته إليها حتى لحق بالرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة للهجرة، ومن ثم التعرف إلى وجهات نظر بعض المستشرقين الذين درسوا تلك العلاقة من وجوهها المختلفة، ثم أدلوا بآرائهم فيها.

والحقيقة أن هذه الدراسة ليست أول دراسة في هذا المجال، فلدينا الكثير من الدراسات السابقة التي يصعب حصرها في هذا المقام[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال: " موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من يهود المدينة " للدكتور محمد كامل مراد، منشوراً في **مجلة كلية اللغة العربية** بالرياض (١٣٩٣هـ) ٣/١٩٣-٢٢٨. **واليهود في يثرب ومواقفهم من الرسول (صلى الله عليه وسلم)** تأليف عبد الرحمن بن محمد العُبيد (القاهرة: جامعة الأزهر، ١٣٩٥هـ). " **والعلاقات الإسلامية – اليهودية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم** " للدكتور عماد الدين خليل منشور في: **مجلة المورد** المجلد الثالث – العدد الثاني (١٣٩٤هـ) ص ص ٥٣-٦٦، و "سياسية الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته مع اليهود " للدكتور إحسان ثريا صيرما، منشورة في كتاب البحوث والدراسات المقدمة **للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية** – قطر (١٤٠٠هـ) ٢/٢٠٣-٢١٩. وكذلك "العلاقات الإسلامية اليهودية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم " للدكتور محمد نبيل غنايم، منشور في مجلة: **مركز بحوث السنة والسيرة**، الدوحة ١٤٠٨هـ، ٣/ ٤٨٩-٥٤٧.

أما الدراسات الأجنبية فكثيرة جداً، وحسب ظني أن أشهرها وأقدمها دراسة أرنت فنسنك، التي نشرت في ليدن سنة ١٩٠٨م، ثم ترجمت إلى اللغة الإنجليزية.

Arent Jan Wensinck, **Muhammad and the Jews of Medina**. trans, and edited by wolfgang H. Behn, 2 ed. (Berlin 1982).

وكذلك الدراسة الحديثة نسبياً التي قدمها بركات أحمد: Barakat Ahmad بعنوان:
Muhammad and the Jews :A Re-examination (New Delhi; 1979).

ولكن مما يلاحظ على جميع هذه الدراسات سواءً منها العربية أو الأجنبية أنها قــد ناقشــت أمــر علاقــة النبي صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة من الناحيتين السياســية والدينية، وقلّ أن تناولت مواقف المستشرقين من هذه العلاقة، وكيف كان تقويمهم لها ؟

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة؛ لأنها ربما تكون أول دراسة ناقشت مواقف بعــض المستشــرقين من علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة. وقد وقع الاختيار على عينة من أعمال بعضهم من ذوى الاهتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم وسيرته خاصة في المرحلة المدنية، ولا شك أنه من خلال دراسة بعض تلك الأعمال يمكــن الــتعرف إلى مواقف أولئك المستشرقين من سياسة الرسول صلى الله عليه وســلم تجــاه يهود المدينة وتفسيرهـم لتلك السياسة، ومعرفة أكان للتصور الغربي المــوروث عن النبي صلى الله عليه وسلم أثر في نظرة بعض هؤلاء المستشرقين إلى طــبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين النبي واليهود. والتعرف كذلك إلى المسوغات التي كثيراً ما يسوقها أولئك المستشرقون لإظهار عدالة قضية يهود المدينة.

من خلال ذلك كله سيتبين مدى نجاح الإستشراق من عدمه في تطبيق معايير البحث العلمي الموضوعي في هذه المسألة البالغة الأهمية في التاريخ الإسلامي المبكر. أي علاقة النبي بيهود المدينة.

الفصل الأول

تمهيد فكري وتاريخي

١ - النبي ﷺ في التصور الغربي

٢ - الوجود اليهودي في يثرب

٣ - النبي ﷺ ويهود المدينة قبل بدر

الفصل الأول

تمهيد فكري وتاريخي

قبل الحديث عن اليهود في يثرب أو المدينة، يجدر بنا التعرف إلى التصور الغربي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث أنه يمكننا من خلال ذلك التصور ولو بشكل مبدئي، معرفة ماستكون عليه مواقف المستشرقين من الرسول صلى الله عليه وسلم وسياسته تجاه يهود المدينة.

١ – النبي ﷺ في التصور الغربي :

لعل من أكثر الشخصيات البارزة في التاريخ الإنساني تعرضاً للتشويه لدى الغرب هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد هجموا على شخصه الكريم وأنكروا نبوته، وشوهوا الشريعة التي جاء بها. لذلك فإن الباحث لن يتمكن من تفسير مواقف المستشرقين من النبي صلى الله عليه وسلم حيال سياسته تجاه يهود المدينة حتى يتعرف، ولو على وجه التقريب، إلى تصورات الغربيين عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن تلك التصورات الموغلة في العدائية والمجافية للموضوعية هي التي كان لها الإسهام الكبير في رسم الخطوط العريضة للموقف الاستشراقي الغربي تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته بصورة عامة، ومواقف بعض المستشرقين من الرسول صلى الله عليه وسلم في علاقته مع يهود المدينة بصورة خاصة. وقد شهد بعض المستشرقين بوجود مثل هذه الصورة المشوهة للنبي صلى الله عليه وسلم في الغرب مع الاعتراف الضمني بعدم واقعيتها وصدقها، ففي كتاب

محمد في مكة ذكر مونتجمري وات M. Watt :" أنه ليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حُـطّ من قدرها في الغرب كمحمد. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد، وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكناً ا قبلوه "[١].

ويؤكد رأي واط وشهادته على الغرب في تحيزه ضد النبي صلى الله عليه وسلم ما شهد به كارا دي فو Carra de Vaux حين قال: ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة،فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه[٢].

ولعل أكبر شاهد صدق على ما اعترف به هذان المستشرقان الكبيران من التجني على شخص النبي الكريم هو ما ذكره غيبرت نوغنت Guibert von Nogent مؤلف أول سيرة أوروبية عن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إسبانيا الإسلامية إذ قال: " إن ما يذكره هو نتاج الرأي العام السائد، ولا يستطيع أن يحدد مدى الصحة أو الخطأ في أخبار الرأي العام، لكنه يستطيع القول: "إن الباحث له الحق في أن يتحدث بشكل سلبي عن رجل فاقت سيئاته كل حد معقول........" "[٣].

وهكذا فما دام أن للباحث الحق في أن يتحدث بشكل سلبي عن محمد صلى الله عليه وسلم فقد دارت في أوروبا في تلك الفترة – وربما حتى الوقت الحاضر ولو بصورة نسبية – عجلة التزوير والتلفيق، ونجحت في رسم صورة بالغة القبح

---

(١) مونتجمري وات: **محمد في مكة**، ترجمة شعبان بركات (صيدا: المكتبة العصرية، د، ت) ص ٩٤.

(٢) انظر التهامي نقرة: **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية** (الرياض: مكتب التربية لدول الخليج العربي ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ٢٢/١.

(٣) ريتشارد سُوذرن: **صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة وتقديم رضوان السيّد، الطبعة الأولى (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٤م) ص ٦٧.

والتشـــويه للنبي محمد عليه الصلاة والسلام في عقلية الإنسان الأوربي. ويعتذر عن تلك الصورة المزرية ريتشاد سُوذرن R. Southern بقوله: إن تلك الصــورة ليست جزءاً من تاريخ الفكر الأوربي بقدر ما هي جزء من تاريخ المخيلة الأوروبية، لكن علينا أن نذكر شيئاً عن المصادر التي استندت إليها الصورة في نشوئها. ثم يستمر في تسويغه لما حدث بقوله: "أما فيما يتصل بحياة النبي محمد فإن المؤلّفين الغربيين ورثوا معلومات قليلة متحيّزة عن البيزنطيين. هذه المعلومات يمكن إيجازها كما يأتي: محمد رجل مسيحي الأصل، تزوج أيماً ثرية، وكان مصاباً بالصرع. وتحدد هدفه بسحق المسيحية عن طريق اشتراع حريةِ جنسية واسعة. وعلى أساس من هذه المعالم القليلة (والمضللة) بنى الغربيون في القرن الثاني عشر بناءً ضخماً من الحكايات.

وقــد اعــتاد المؤلّفــون اللاتينيون أن يطرحوا على أنفسهم أسئلة عن محمد الإنســان، وعن أسباب انتشار دعوته، ثم يُجيبون عنها بأنه كان ساحراً استطاع بســحره وسعة حيلته أن يقضي على الكنيسة في إفريقية والشرق، وأن يُثبّت دينه ويُغري الناس باتباعه بحرية جنسية أتاحها لمعتنقي دينه.

وهناك تفاصيل أفظع عن سيرة النبي وشخصيته، لكنها تدخل في باب الأدب الشعبي تماماً، مثل الدور الذي لعبه الثور الأبيض الذي كان يحمل صحف الشريعة الجديــدة بين قرنيه، ويساعد على إرهاب الناس، و مثل الحكايات عن ضريح النبي محمــد وتأرجُحه بين السماء والأرض مغناطيسياً. أما التفاصيل الأسوأ التي تتصل بوفاة النبي وافتراس الخنازير لــه في إحدى نوبات صرعه، فإنها تطويرات مهلوسة وكريهة لبعض أجزاء الصورة البيزنطية عن النبي"[1].

---

(١) سُوذرن: صورة الإسلام، ص ٦٦، ولمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر:

Montgomery Watt , " Muhammad in the Eyes of the West." **Boston University Journal**, Vol.22, No. 3, fall, 1974, PP. 61-69.

أمـــا فـــيما يختص بظاهرة الوحي فقد فسرها الخرافة الغربية بأن النبي محمداً صـــلى الله عليه وسلم قام بتدريب حمامة على التقاط حبات البازلاء من أذنيه حتى يبدو للرائي كأن روح القدس تتنزل عليه، وتهمس له بالوحي[١].

وكذلـــك بالنسبة إلى العقيدة الإسلامية فقد ذكر سوذرن أن المؤلفين اللاتين قد تعاملوا معها بالحرية نفسها التي تعاملوا بها مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، "إذ نجد التصوير نفسه في كل الشعـــر الشعبي الأوروبي الوسيـــط الذي جاء بعد أغاني رولان، ففي كل الأعمال النثرية والقصائـــد يظهر المسلمون عبدة للأصنام. أمـــا في ملحمة رولان فيعبُد الســـرازانيون ثلاثة آلهة ترفاغان Tervagan ومحمـــد وأبولـــو Apollo. وفيما بعـــد زادت الآلهة المعبودة بحيث استعصت على الحصر. وهناك مؤلّفون معتدلون لا يقـــل عدد آلهة الســـرازانيين (المسلمين) عندهـــم عن الـــثلاثين، وتشـــكـــل الآلهة المخترعة مجموعة متنافرة تضم إبليس وجوبيتر وديانا وأفلاطون والمسيـــح الدجـــّال"[٢].

ثم يحـــاول سوذرن أن يفسر لنا موقف المؤلفين اللاتين من العقيدة الإسلامية بأنـــه مبني على تصورات خاطئة، ونضيف نحن أنه مبني على قياس خاطئ في قضية الآلهـــة كذلك وذلك في ضوء تفسير سوذرن لصورة العقيدة الإسلامية في الغرب فقـــال: "ويـــبدو لنا أن أساس التصورات الخيالية عن تعدد الآلهة في الإسلام، عدم معرفة الغربيين بغير عقيدتهم هم، فما دامت هذه العقيدة تقول بالثالوث فلا بد أن تقول العقائد الأخرى بداية الشيء نفسه، ثم يطرأ على ذلك كله تحريف سيّئ يجعل

---

(١) كارين آرمسترونج: **سيرة النبي محمد**، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، الطبعة الأولى (القاهرة: كتاب سطور، ١٩٨٨م) ص ٤٠.

(٢) سُوذرن: صورة الإسلام، ص ٦٧ – ٦٨.

الدين زائفاً. وما دام المسيحيون يعبدون مؤسس العقيدة المسيحية فلا بد أن يكون المسلمون على الشاكلة نفسها فيعبدون مؤسس عقيدتهم هم. لكن هذه العبادة تتخذ أشكالاً شيطانية تتناسق وفكرهم عن محمد النبي وعن العرب الذين اتبعوه"[1].

ويضيف بروتس Prutz مؤلف كتاب **التاريخ الحضاري للحملات الصليبية**، عندما تناول موضوع تصورات العصر الوسيط المسيحي عن محمد وتعاليمه قائلاً: "من بين التصورات التي كانت منتشرة بصفة خاصة القول بأن المحمديين [المسلمين] لم يكونوا يُجلونَ محمداً لمجرد كونه نبيهم ومؤسس دينهم، بل كانوا يعبدونه بوصفه يمثل الألوهية. وبالإضافة إلى ذلك وُصف دين محمد – على النقيض تماماً من الحقيقة التاريخية – بأنه دين الشرك وتعدد الألوهية. وقد اتُهم المحمديون أيضاً – دون سند تاريخي– بأنهم يمارسون عبادة التماثيل بطريقة فظة، وكذلك كان المرء يهزأ من أُمية النبي ويسخر من الراعي السابق للإبل والحمير"[2].

ثم يعود بروتس لتأكيد، خطأ هذا التصور المسيحي الشائه والمضلل عن النبي محمد ورسالته فيقول: " إن الكفاح المرير الذي قاده العصر المسيحي الوسيط بالسلاح وبالجدل اللاهوتي ضد تعاليم محمد وضد أتباعه، قد تم دون أية معرفة كافية بالخصم، ودون أية فكرة عن ماهيته وطبيعته: فالإسلام الذي انطلق العصر المسيحي للقضاء عليه لم يكن له وجود فعلي في يوم من الأيام"[3].

---

(١) سُوذرن: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) انظر: جوستاف بفالنمولر: **سيرة الرسول في تصورات الغربيين**، ترجمة محمود حمدي زقزوق، الطبعة الأولى، (البحرين: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ) ص ص ٤٤ – ٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٧.

وبوســـع الـــباحث أن يتســـاءل هنا هل حقاً نجح بروتس وأمثاله من الذين حـــاولوا إنصـــاف نبي الإسلام وتعاليمه في مسعاهم ؟ وهل نجحوا في تغيير بعض ملامح الصورة المشوهة عن النبي صلى الله عليه وسلم في التصور الغربي ؟ يظهر أن نجاحهم كان محدوداً جداً.

فقـــد اعترف سوذرن R.Southern، مؤلف كتاب **صورة الإسلام في أوروبا** إذ قـــال: " إن تفاصـــيل الجهل كريهة كالجهل نفسه. وعلينا أن نعترف أن هذه الصورة عن الإسلام تركت فينا وفي ثقافتنا آثاراً واضحة إلى وقت متأخر "(١).

وتقـــول كـــارين آرمسترونج K.Armstrong: " وما تزال آثار الوهم القديم قائمـــة حـــتى يومنا هذا ؛ إذ لا يزال من الشائع عند أبناء الغرب أن يسلموا دون نقاش بأن محمداً ليس سوى رجل استغل الدين في تحقيق الفتوحات وسيادة العالم، وأن الإسلام دين عنف يعتمد على السيف........ "(٢).

وتوضـــح لنا آرمسترونج تصور الغرب المسيحي عن عقيدة المسلمين بقولها: "ومـــا يزال بيننا بعض من يدهش دهشة حقيقية حين يسمع أن المسلمين يعبدون الإله نفسه الذي يعبده اليهود والمسيحيون: فهم يعتقدون أن"الله" إله يختلف اختلافاً كاملاً كأنما هو جوبيتر في مجمع الآلهة الروماني "(٣) .

مـــا من شك في أن هذا الركام المعرفي المزيف في الغرب عن حياة النبي محمد صـــلى الله عليه وسلم ورسالته والشريعة التي جاء بها، قد ترك أثراً عميقاً في نفوس الكـــثير مـــن المستشرقين وطلابهم، فجاءت دراساتهم وأبحاثهم عن الإسلام ونبي

---

(١) سُوذرن: صورة الإسلام، ص ٦٨.

(٢) آرمسترونج: سيرة النبي محمد، ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥.

الإســـلام مصـــطبغة بهذه الصبغة الباهتة والاجتهادات والتفسيرات المنحرفة التي لم تســـهم – يالالأسف– في إظهار صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمام الغرب بشـــكلها الصحيح. وذلك، كما تقول آرمسترونج على الرغم من وجود دراسات علمية وموضوعية كثيرة عن الإسلام ونبي الإسلام أثبتت خطل الأسطورة المرتبطة بماهـــاوند" Mahound " أو محمد[1]. لذلك فقد ظلت صورة النبي محمد مشوهة في الغرب حتى من قِبَل أولئك المستشرقين الذين كانوا يظنون أنهم يسهمون في تقديم محمـــد للعـــالم المسيحي بالصورة التي يحسبون أنها منصفةً، فمثلاً غوستاف لوبون (ت: ١٩٣١) Gustav Le Bon صـــاحب كتاب **حضارة العرب**، يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم مصاب بالهوس، فيقول: "وإذا عدوت (تعديت ؟) هوس محمد ككل مفتون وجدته حصيفاً سليم الفكر ويجب عدّ محمد من فصيلة المتهوسين من الـــناحية العلمية كما هو واضح وذلك كأكثر مؤسسي الديانات.....ومحمد كان يجـــد في هوسه ما يحفزه إلى اقتحام كل عائق، ويجب على من يود أن يفرض إيمانه عـــلى الآخرين أن يؤمن بنفسه قبل كل شيء. ومحمد كان يعتقد أنه مؤيد من الله فيتقوى ولا يرتد أمام أي مانع "[2].

وكذلك حين يتحدث غوستاف لوبون عن الإسلام، يظن أن ذلك الدين من تأليف النبي صلى الله عليه وسلم وليس وحياً من الله. فقد جاء في كتابه "وكان من مقاصـــد محمـــد أن يُقيم ديناً سهلاً يستمرئه قومه، وقد وفق لذلك حين أخذ من الأديان الأخرى ما يلائمهم، ولم يفكر محمد في إبداع دين جديد قط، وهو الذي أعلن أنه يسير على غرار من تقدمه من أنبياء بني إسرائيل..." [3].

---

(١) آرمسترونج: سيرة النبي محمد، ص ص ٣٧ – ٣٨.

(٢) غوستاف لوبون: **حضارة العرب**، نقله إلى العربية عادل زعيتر (مصر: مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ١٩٦٩م)، ص ١١٤ – ١١٥.

(٣) المرجع السابق: ص ص ٣٧ – ٣٨.

وهكـــذا فالإسلام في نظر لوبون ما هو إلا تلفيقة من الأديان الأخرى، وهو تقليد لأنبياء بني إسرائيل.

بـــل حتى توماس كارليل[1] Thomas Carlyl الذي يُعد من أكثر المستشرقين الغـــربيين إنصافاً للنبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على أن عدّ النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مصلح وبطل في صورة نبي ضمن سلسلة الأبطال الذين ضمهم كتابه، **الأبطال**، وقال في أثناء مديحه إياه: "لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هـــذا العصـــر أن يُصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مـــزوّر، فـــإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل ما زالت السراج المنير على مدى اثني عشـــر قـــرناً لمئات الملايين من الناس" [2]. وعلى الرغم من هذا الإطراء للرسول ورسالته فإننا ما نلبث أن تظهر أمامنا حقيقة أبناء الثقافة الغربية المتحيزة والمشككة في كـــل مـــا يتعلق برسول الإسلام وجوهر عقيـــدة المسلمين، فها هوذا كارليل الـــذي سمعنا منه إزجاء المديح للرســـول صلى الله عليـــــه وسلم لا يتحرج في الوقت ذاته من الطعن في القـــرآن الكريم حيث يرفضـــه ويزدريه، إذ يقول: "إنه خـــليـــط غير مترابط، يرهق القارئ، غليظ النسيج، ركيك التركيـــب، غـــاص بالـــتكرار وبالإســـهاب والمعاضـــلات التي لا تنتهي، وباختصار فهو بالغ الغلظة والركاكة والغباء الذي لا يطاق"[3].

---

(١) توماس كارليل: ولد في قرية أكلفكان بجنوب اسكتلنده سنة ١٧٩٥م. ثم دخل جامعة ادنبره وهو في الثالثة عشرة من عمره. وفي سنة ١٨١٤، صار مدرساً للرياضة، ثم صار رئيس المدرسة ثم عاد إلى أدنبره ودرس فيها علم المعادن وأتقن اللغة الألمانية. عاش كارليل ستة وثمانين عاماً قضاها في التأليف. ومن مؤلفاته: **كتاب الأبطال، الثورة الفرنسية، الماضي والحاضر**، وغير ذلك. انظر مقدمة مترجم كتاب الأبطال، ص ص ٥ – ١١.

(٢) انظر: تومـــاس كارليل: **الأبطال**، ترجمة محمـــد السباعي (دار الكاتـــب العربي، د:م، د:ت) ص ٥٨.

(٣) انظر: آرمسترونج: سيرة النبي محمد ، ص ٥٩.

كذلك فإن إميل درمنغم[1] E.Dermenghem، الذي يُعدّ من أبرز المستشرقين الذيــن حاولوا إنصاف النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وتقديمه للغرب بالصورة الــتي تليق بعظمته، كان هو الآخر متأثراً بثقافة عصور الظلام الأوروبية فيما يتعلق بالإسلام ونبي الإسلام، فهو عندما يتحدث عن النبي وعلاقته ببداية الوحي، يقول: "وأضحى لا يفرق جيداً بين تعاقب الليل والنهار، وبين اليقظة والمنام، وغدا يقضي طويل الساعات جاثياً في الظلام أو مستلقياً تحت الشمس أو سائراً بخطا واسعة في الشعاب الصخرية، وكان كلما سار خُيل إليه أن أصواتاً تخرج من الحجارة فإذا ما تعثر بحجر ارتد، والحجارة كثيرة تحت وهج الشمس، والحجارة تحييه بــ "رسول الله"، ثم ينــتهي درمنغم إلى القول: "... أصبح محمد بعد ستة أشهر نحيفاً منهوك الجســم غير منتظم الخطا أشعث الشعر واللحية غريب النظرات، فأخذ يقنط، هل أصابه مس كما كان يجد في الغالب ؟ " [2].

هكــذا يصــور درمنغم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء فترة إرهاصات النبوة ونزول الوحي، وكأنه مجذوب يعانــي من الوساوس والتخيلات والمسّ كذلك.

أمــا " مونتجمري واط " M. Watt، فيعزو نبــوة رسول الله صلى الله عليه وســلم إلى خيالــه الخلاق المتدفق ليس غير. فمن وجهة نظر "واط ": " أن هناك

---

(١) إميل درمنغم: شغل منصب مدير مكتبة الجزائر، وله مؤلفات عدة منها: **حياة محمد**، **ومحمد والسُنة الإسلامية**، **وأروع النصوص العربية**، **وسيرة الأولياء المسلمين**، **وذكريات الأمير عبدالقادر**، وغير ذلك، انظر: نجيب العقيقي: **المستشرقون**، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، د - ت) ١/٣٤٨.

(٢) إميل درمنغم: **حياة محمد**، نقله إلى العربية عادل زعيتر، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ص ص ٧٧ - ٧٨.

خيـــالاً خـــلاقـــاً مـــتدفّقاً لدى محمد. وأن معظم الأفكار الناجمة عن هذا الخيال صـــحيحة وعادلـــة. ولكن جميع الأفكار القرآنية ليست كذلك. بل توجد نقطة واحدة على الأقل ليست صحيحة ألا وهي أن "الوحي" أو الخيال الخلاق أسمى من تصرفات الإنسان العادية باعتبارها مصدراً لوقائع تاريخية مجملة، ثم إن خيال محمد الخـــلاق فـــتح آفاقـــاً عميقـــة، وأنتج أفكاراً ارتبطت بالقضايا الرئيسة للوجود الإنســـانـــي، بحيث أصبح دينه يتمتع بجاذبية كبيرة ليست في زمانه فحسب، بل خلال القرون التي تلته " [(١)]!.

هـــذا النص يبين لنا بوضوح أن واط لا يعترف مطلقاً بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعزو كل ما جاء به إلى خياله المتدفق الخلاق، ويعترض على صحة الوحي وينعت الرسول صلى الله عليه وسلم في كل المناسبات باسمه الشخصي أي "محمد" مجرداً من صفة النبوة.

والأكـــثر غرابة في أمر واط أنه قس نصراني،وهذا يعني أنه يؤمن بمبدأ النبوة، ولابـــد أنه يؤمن بالتوراة والإنجيل، وما دام الأمر كذلك فما الذي يمنعه من قبول مبدأ نبوة محمد ورسالته ؟ هل وجد في التوراة أو الإنجيل ما يؤكد استحالة حدوث ذلك ؟

وإذا تركـــنا أولـــئك المستشـــرقين الذين يحسبهم القارئ غير المتخصص قد أنصـــفوا الإســـلام ونبيه، وحاولنا التعرف على آراء سواهم من المستشرقين الذين تعرضـــوا لحيـــاة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، فإننا نجد لديهم العجب

---

(١) انظر: ساسي سالم الحاج: **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**، الطبعة الأولى (مالطة: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٢٩)، ٣/١٢١، وقارن:

W. Montgomery Watt, **Muhammad Prophet and Statesman**, (Oxford Univ. Press, 1980) PP. 237 - 240.

العجاب من القول. فإن وليم ميور[1] William Muir مثلاً يرى أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام كانت وليدة ظروف داخلية وخارجية وتلبية لطموحات شخصية، وأن هذه الأمور مجتمعة قد كونت الفكرة الحقيقية للدعوة الإسلامية التي وصفها هذا الكاتب بأنها تعبير صريح عن "طموحات" محمد الشخصية. وهذه الطموحات الممتزجة بفكرة التعاليم الإلهية الواردة إليه من عل هي التي أدت في النهاية إلى انتشار الإسلام بصورته المعروفة لدينا. وقد ارتبط هذا الطموح الشخصي كذلك باعتقاد راسخ في ذهن محمد أنه مبعوث العناية الإلهية لإخراج قومه من الظلمات إلى النور، ومن هنا كان عند انتظاره الوحي كل مرة تتراءى له قضية يجب عليه البت فيها[2].

واضح من رأي " ميور " أنه لا ينظر إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه نبي أو رسول بل مجرد إنسان عادي شغلته هموم وطنه، وأحوال قومه من أجل البحث عن حلول لها والطموح في بلوغ مركز قيادي بين قومه عزّز شعوره بأنه مبعوث العناية الإلهية. ويضيف بفانمولر "Pfannmueller " معلقاً على آراء ميور فيما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: أما ميور فإنه على الرغم من أرثوذوكسيته، قد اكتسب خلال دراسته تعاطفاً معيناً لرجل (أي محمداً) ظهر

---

(١) وليم ميور: (١٨١٩ - ١٩٠٥م) مستشرق ومبشر، موظف إنجليزي، اشتغل في الإدارة في الهند، تعلم اللغة العربية، وعُني بالتاريخ الإسلامي، لكنه كان شديد التعصب للمسيحية وقد اشترك بأعمال التبشير بحماس شديد. كتب مقالات كثيرة في **مجلة كلكتا** Calcuta Review تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام، ومصادر السيرة النبوية، وحياة النبي حتى الهجرة. وكلها كُتبت بروح متعصبة خالية من الموضوعية، ومن أجل هدف تبشيري خبيث. انظر عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الطبعة الأولى (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م) ص ص: ٤٠٤ - ٤٠٥).

(٢) انظر: الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ١٢٨/٣.

لـــه أنه كان ضحية للشيطان [1]. وهكذا فإن تعاطف ميور مع رسول الله صلى الله عـــليه وسلم لم يمنعه من الظن أنه كان ضحية للشيطان. وهذا التعاطف المضحك مبعثه إنكار ميور لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وأن كل ما جاء به من دعوة وتشريع لم يكن في نظر ميور سوى وساوس شيطان.

وشبيه برأي ميور ما جاء عند"كارل بروكلمان" [2] K. Brockelmann حـــول نـــبوة الرســـول صلى الله عليه وسلم ورسالته، ففي معرض حديثه عن الحوافز أو الأســـباب الـــتي جعلت النبي محمداً يعلن نبوته يقول إنه: قد تحقق عنده أن عقيدة مواطـــنيه الوثـــنية فاسدة فارغة، فكان يضج في أعماق نفسه هذا السؤال: إلى متى يمدهـــم الله في ضلالهم ؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة رسالة النبوة.... وقد تعرض لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء. وذلك بأن طائفاً تجلى له هناك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فيما بعد فأوحى إليـــه أن الله اخـــتاره لهدايـــة الأمة.... وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكـــررت الحـــالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالة تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله" [3].

---

(١) بفانمولر: سيرة الرسول في...، ص ص ١٩- ٢٠.

(٢) كارل بروكلمان: (١٨٦٨ – ١٩٥٦م) ولد بروكلمان في مدينة روستوك **Rostock** وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه ونبغ فيها. وعُين أستاذاً في جامعات برسلاو وكنسبرج وهاله وبرلين. أما مؤلفاته في الدراسات العربية والإسلامية فهي تربو على الحصر، ولعل من أشهر أعماله في هذا المجال: **تاريخ الأدب العربي**، انظر: نجيب العقيقي: **المستشـــرقون**، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م) ٢/ ٤٢٤.

(٣) كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله للعربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة السابعة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م) ص ٣٦.

ولا حاجة بنا إلى إيضاح ما يريد بروكلمان قوله بخصوص نبوة رسول الله، فهي في نظره مبنية على فكرة نضجت في نفس محمد مبعثها الإحساس بفساد عقيدة مواطنيه ومبنية كذلك على ما ظن أنه قد سمعه كوحي من الله، لذلك فدعوى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته لا تعدو في نظر بروكلمان كونها قائمة على فكرة وظن أي بمعنى آخر أنها لا تستند إلى أصل سماوي ! وهو حين يذهب هذا المذهب لا يقدم للقارئ ما يقوي دعواه. وهو هنا ليس بدعاً من المستشرقين فالجمع العظيم منهم سلك هذا المسلك المنحرف في التفكير.

أما تور أندريه[1] Tor Andrae، فإنه ربط بين انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم بدر وبين اصطفائه للرسالة، فيقول: "وأخيراً أصبح الوحي الذي كان يظهر في البداية بوصفه تأثيراً من جهة عُليا فوق التشخص دون أن يكون ذا صلة واعية بحياة النبي النفسية، أصبح بالتدريج يأتيه أيضاً مرتبطاً بوعي عادي، وهذا الارتباط جعل الوحي أخيراً واقعاً إلى حد (ما) تحت مراقبة نفسية. وهكذا كما يقول أندريه وصل الأمر بالنبي بالتدريج إلى الحد الذي جعله يعتبر ما يبدو له من أخطار وقرارات على أنها وحي الله"[2].

الحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ وعيه باصطفائه مع بداية بعثته وإلا لما استطاع أن يصمد هذا الصمود العجيب مدة ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو فيها إلى دين الله، أما وعيه بالاصطفاء فلم يزدد نتيجة لظروف خارجية أو غير

---

(١) تور أندريه: (١٨٨٥ - ١٩٤٧م) تخرج في جامعة أوبساله بالسويد، وسُمي أستاذاً للعلوم الدينية في جامعة ستوكهولم. له عدة بحوث في الكنائس النسطورية في الحيرة واليمن، وكتاب عن الرسول: **محمد حياته وعقيدته**. وقد ترجم إلى عدة لغات وغير ذلك من الأعمال. انظر: العقيقي: المستشرقون ٣/٣٣.

(٢) انظر: بفانموللر، سيرة الرسول في تصورات الغربيين، ص ص ٣٢ - ٣٣.

مـــتوقعة فقد كان الأمر بالنسبة إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم واضحاً كل الوضوح منذ اللحظة التي أمره الله فيها بأن يصرح بدعوته، ويعلن للناس رسالته[١].

أمـــا مكسيم رودنسون[٢] Maxim Rodinson فيرى أن نبوة رسول الله صلى الله عـــليه وسلم قامت على تأثير يهودي نصرانـــي إضافة إلى تجاربه الخاصة، فقد انفـــتح في ذهـــنه كلام كانت عناصره مكونة من تجاربه الحقيقية، وطريقة تفكيره وأحلامه، وذكريات مناقشاته - كل هذه في نظر رودنسون - قد تبدت (لرسول الله) مفككـــة ومركـــبة متحولة ببرهان ويقين وشعور حقيقي، قد تلبسه كشهادة لنشاط خارجي موضوعي لا يفهم كنهه الآخرون[٣]. واضح من هذا الأسلوب في معالجـــة ظاهـــرة الوحي أنه يقوم على التخمين والفرض دون تقديم برهان على ما يذهب إليه وهو في جملته إنكار لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعل أكثر ما يدعو إلى الدهشة هو نظرة هوبرت جريمه[٤] Hubert Grimme إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه "**محمد**" حيث جاء فيه: "لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد، بل كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية. فالإسلام

---

(١) انظر: تعليق محمود زقزوق في حاشية سيرة الرسول في تصـــورات الغربيين، ص ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) مكسيم رودنسون: (١٩١٥ - ؟) ولد في باريس، وحصل على الدكتوراه في الآداب. وعُين أستاذاً بالمعهد الإسلامي بصيد، وتقلب في عدة مناصب علمية في بلاد الشام. وهو مؤلف مكثر، ومن مؤلفاته: **محمد** (باريس، ١٩٦١) **والإسلام والرأسمالية** ...، وغير ذلك كثير. انظر: العقيقي: المستشرقون، ١/٣٥٩ — ٣٦١.

(٣) انظر: الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ٣/١١٧.

(٤) هيوبرت جريمه: (١٨٦٤ - ١٩٤٢م)، أستاذ اللغات الشرقية في مونستر بألمانيا. ومن آثاره: **محمد**، في جزأين، **وترجمة القرآن**، **وعرب الشام قبل الإسلام**، **والإسلام واليهودية**، **وجغرافية العرب**، وغير ذلك. انظر: العقيقي، المستشرقون، ٢/٤١٤.

في صورته الأولى لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه. ذلك أننا إذا نظرنا إليه عن كثب نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين. وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته"(١).

واضح من هذا القول أن جريمه ينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة النبوة ويرى فيه مصلحاً اجتماعياً يدعو إلى الاشتراكية والمساواة. وهو مع ذلك لم يأت بدليل واحد ليثبت فيه عدم صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما كازانوفا(٢) P. Casanova فهو ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه رجل عبقري عادي ليس غير. فيقول: "بقي علينا نحن غير المسلمين حين ننظر إلى محمد على أنه رجل عبقري عادي أن نوضح لماذا أهمل العناية بمسألة لها هذه الأهمية الكبرى (أي الخلافة) فيعلن أن السبب في أمر الخلافة بسيط وهو اعتقاده (أي محمد) بأن نهاية العالم قريبة. وهي عقيدة مسيحية" (٣). وليس من دليل أكبر على

---

(١) انظر: التهامي نقرة: مناهج المستشرقين، ١/٢٧.

(٢) كازانوفا، ب: (ت: ١٩٢٦م)، تعلم العربية وعلمها في معهد فرنسا، ثم قدم مصر فانتدبته الجامعة المصرية (١٩٢٥م) أستاذاً لفقه اللغة العربية وقد وجه عناية إلى مصر الإسلامية. ومن آثاره: **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، وترجمة كتاب **الخطط للمقريزي**، وإعادة تخطيط مدينة الفسطاط أو مصر. ومصنف بعنوان / **محمد والتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية** (باريس: ١٩١٠م) وغير ذلك من الأعمال. انظر: العقيقي، المستشرقون، ١/٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) انظر: التهامي نقرة: مناهج المستشرقين، ١/٤٣.

تهافت رأي كازانوفا إلا ما ذكره التهامي نقرة في تعقيبه على هذا الرأي الفاسد بقوله: "لو كان النبي يعلم أن الساعة ستقوم قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى فلمن أعدّ هذا التشريع الضخم الذي اشتمل عليه القرآن في الأحوال الشخصية والميراث والمعاملات وتنظيم العلاقات. إن نظرة النبي في دار الهجرة إلى حياة الإسلام المستقبلية نظرة اجتماعية متعمقة تدل على البقاء والنماء قبل الزوال والفناء الذي هو سنة الله في الأحياء "[١].

وأخيراً فإن أرنت فنسنك[٢] A. Wensinck يرى أن فكرة عقيدة التوحيد ليست عقيدة غريبة عن أهل مكة فقد كانت - حسب قوله- معروفة لديهم قبل محمد ولكن تَحمُّل محمد الكثير من السخرية من أجل هذه العقيدة وحماسه الذي لا يكل في سبيلها، ومحاولته كسب سكان مدينته لجانبه، بصفته حاملاً لهذه الأفكار فقد اعتقد نفسه نبياً، ونجاح محمد في نشر عقيدته يعود إلى قوة شخصيته[٣].

إن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في نظر فنسنك لا تعدو كونها ادعاءً محضاً، وانتشار عقيدة التوحيد على يد محمد يعود إلى قوة شخصيته ليس غير، وفكرة التوحيد ذاتها ليست جديدة على أهل مكة ولكن جهاد النبي محمد في سبيل

---

(١) انظر: التهامي نقرة: مناهج المستشرقين، ١/٤٣.

(٢) أرنت فنسنك: (١٨٨٢ - ١٩٣٩م) مستشرق هولندي كان تلميذاً لهوتسما ودي خوية وسخاو وقد خلف اسنوك خورنيه في كرسيه بجامعة ليدن ١٩٧٢م. أول إنتاجه رسالته التي حصل بها على الدكتوراه سنة ١٩٠٨م وعنوانها "**محمد واليهود في المدينة**". وألف فريقاً من العلماء يقارب الأربعين عالماً لوضع معجم مفهرس لألفاظ الحديث النبوي واستمر العمل بذلك حتى اكتمل المشروع. وإلى جانب ذلك له مؤلفات مثل: **العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها، وفكر الغزالي وأساطير القديسين الشرقيين** وغير ذلك. انظر: بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) Arent J. Wensinck, **Muhammad and the Jews of Medina**. Pp. 1-2.

تحقيقها هو الذي أقنعه بأنه نبي. والغريب أن الذي بذل هذا الجهد في محاولة تفسير ظاهرة النبوة لدى محمد رسول الله وإرجاعه فكرة التوحيد إلى فكرة سابقة لظهور محمد لم يبذل القدر نفسه من الجهد لإقناع القارئ لماذا نجح محمد هذا النجاح المذهل في نشر عقيدته حتى أصبحت في زمن وجيز تنافس الديانة الأولى في العالم ألا وهي النصرانية في الوقت الذي أخفق فيه كثير من أدعياء النبوة، وسقطت فيه الكثير من الفلسفات والمذاهب الدينية الفاسدة ؟!

هذا استعراض وجيز لآراء طائفة من المستشرقين الذين درسوا الإسلام وتعرفوا من خلاله إلى نبي الإسلام، وظنوا أنهم أحاطوا بقدر كاف من المعرفة بالإسلام ونبيه تمكنهم من إصدار الحكم له أو عليه، فجاءت دراساتهم في غالب الأحيان مشوهة ومبتورة؛ وذلك لافتقارها للنظرة الموضوعية الحقة التي كثيراً ما تشدق بها المستشرقون. ولعل من أكثر ما يشد انتباه الباحث أن آراء أولئك المستشرقين في النبي محمد ورسالته جاءت متشابهة إلى حد كبير. فنرى أن أحدهم يصف النبي صلى الله عليه وسلم بكل أوصاف العظمة إلا أنه يعزو نبوته وظاهرة الوحي إلى حالة من الهوس، ومحمد في نظره من فصيلة المهووسين. وأنه اختار دينه خليطاً من الأديان الأخرى. بينما يرى باحث آخر أن نبوة محمد مظهر من مظاهر طموحاته الشخصية أي ليس لها علاقة بالنبوة الحقة. ومحمد حسب رأي آخر: إنسان يعاني من مس يعتاده في الغالب، ويخيل إليه أن الحجارة تحييه بلقب. "رسول الله" وكذلك يرى أحد المستشرقين: أن محمداً قد سمع ورأى كائنات غير عادية وصفها لها اليهود والنصارى، إضافة إلى انقداح ذهنه بكلام كانت عناصره مكونة من تجاربه الحقيقية. ونظر إليه مستشرق آخرعلى أنه لا يعدو كونه مصلحاً اجتماعياً يدعو إلى الاشتراكية والمساواة. بينما شعور محمد بالنبوة في رأي مستشرق آخر لم يتمثل له بصورة حقيقية إلا بعد انتصاره في معركة بدر. ولعل أمثل أولئك المستشرقين طريقة في تفسيره لنبوة محمد رسول الله هو إرجاع ذلك

إلى خيـــال محمد المتدفق الخلّاق. وهذا آخر مبلغه من العلم، فهو لا يريد الاعتراف صراحة بأن محمداً رسول من الله، أرسلته العناية الإلهية لهداية البشرية الحائرة، كما سـبق أن أرسلت قبله الكثير من الأنبياء والرُسل، بل يتعامى عن ذلك كله، ويُصر على أن محمداً صاحب خيال خصب وخلّاق ليس غير، وهو بهذا الوصف يضعه في زمرة العباقرة ولكنه ضمناً ليس نبياً رسولاً.

لقـــد كـــانت المقدمة الموسعة قليلاً في الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وســلم في تصـــورات الغـــربيين ذات أهميـــة موضوعية لعلاقتها المباشرة بمواقف المستشرقين من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه يهود المدينة؛ لأنه من دون الـتعرض لهـــذه القضية قد يكون من الصعوبة بمكان فهم رؤية المستشرقين لذلك الصراع الذي نشب بين يهود المدينة والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد يلاحظ القارئ أن الكثير من مواقف المستشرقين المتعاطفة مع اليهود في ذلك الصراع تعود في أصـــلها إلى الـــثقافة النصـــرانية المزيفة عن النبي محمد وعن الإسلام، التي ظلت تتناقـــلها الأجيال في الغرب منذ العصور الوسطى حتى يوم الناس هذا. لذلك فلا يعجب القارئ مماسيطلع عليه في الصفحات التالية عن الرؤية الاستشراقية إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تعامله مع يهود المدينة.

٢ – الوجود اليهودي في يثرب:

لا يعـــرف عـــلى وجه الدقة تاريخ محدد وثابت عن بداية وجود اليهود في يثرب، ولا حتى عن أصل أولئك اليهود[١] ولكن لا بأس من الإشارة إلى ما ذكرته بعض المصادر عن نزوح بعض القبائل اليهودية إلى يثرب واستيطانها.

---

(١) انظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م) ٦/٥١٦ – ٥٣٦.

Moshe Gil, " The Origin of the Jews of Yathrib " **JSAI** 4, pp. 203-224.

ذكر ابن رسته (توفي بعد سنة ٣١٠هـ) وهو ربما يعد من أقدم المصادر التي حاولت الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بوجود اليهود في يثرب، أن وجودهم فيها يعود إلى أيـام النبي موسى عليه السلام، عندما أرسل حملة عسكرية من بني إسرائيل إلى الحجـاز لـتأديب العماليق الذين طغوا في البلاد وعتوا عتواً كبيراً، فكان هذا أول سكن اليهود للحجاز بعد العماليق[١].

ثم خـرجت قريظة وإخوهم بنو هدل وعمرو بن الخـزرج بن الصريح وبنو النضـير من الشام إلى يثرب حيث تبعوا اليهود الأوائل، فنزلوا العالية على واديين يقال لهما مذينيب ومهزور، فنزلت بنو النضير مذينيب واتخذوا عليه الأموال ونزلت بنو قريظة وهدل على مهزور واتخذوا عليه الأموال، وكانوا أول من احتفر بيثرب الآبار واغترس الأموال[٢].

ويضـيف ابن رسته إلى هذه القبائل الثلاث جماعات أخرى من اليهود كانوا قد استوطنوا يثرب حين نزلت عليهم الأوس والخزرج بعد انهيار سد مأرب، وهذه الجماعات هي:

بنو ضخم وبنو زعوراء وبنو ماسكة وبنو القمعة وبنو زيد اللات، وهم كما يقول ابن رسته رهط عبدالله بن سلام (!)، وبنو قينقاع وبنو حجر وبنو ثعلبة وأهل زهرة وأهل زبالة وأهل يثرب وأهل القصيص وبنو ناغصة وبنو عكوة وبنو مزاية[٣].

---

(١) أحمد بن عمر بن رسته، كتاب **الأعلاق النفيسة** وبذيله كتاب **البلدان** لليعقوبي، (ليدن: بريل، ١٨٩٢م) ص ص ٦٠ - ٦١، علي بن أحمد السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ١/١٥٩-١٦١.

(٢) ابن رسته: الأعلاق النفيسية، ص ٦١، السمهودي، وفاء الوفاء، ١/١٦١.

(٣) ابن رستة: الأعلاق، ص ٦٢. وانظر خبر سد مأرب عند علي بن الحسين المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الطبعة الأولى (بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٥م) ٢/ ١٦١-١٧٦.

ويقدم أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ) رواية لا تختلف كثيراً عن رواية ابن رسته فيما يتصل ببداية الوجود اليهودي بالحجاز وعلاقته بالحملة التي يقال: إن نبي الله موسى قد أرسلها لغزو العماليق(١) ثم يذكر بعض القبائل والجماعات اليهودية التي كانت قد استوطنت يثرب حين قدم إليها الأوس والخزرج، وهذه الجماعات هي: بنو عكوة وبنو ثعلبة وبنو محمم وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو هدل وبنو عوف وبنو الفصيص(٢).

كما كان يوجد إلى جانب هذه الجماعات اليهودية في يثرب بعض من بطون القبائل العربية مثل: بني أنيف (حي من بلي) وبني مريد (حي من بلي) كذلك وبني معاوية بن الحارث وبني الحذمي أو الحذماء، (حي من اليمن)(٣).

ويضيف الأصفهاني إلى هذه البطون العربية: بني الحرمان (حي من اليمن)، وبني الشطبة (حي من غسان)(٤). وبغض النظر عن مدى صحة تسمية هذه البطون العربية من عدمها؟ يمكن هنا ملاحظة مدى الاختلاف في أسماء القبائل والبطون اليهودية التي ذكرها ابن رسته عن تلك التي لدى الأصفهاني. ولعل من وجوه الاختلاف الأخرى بين روايتي ابن رسته والأصفهاني، أن الأصفهاني يعزو انتقال بني النضير وقريظة وهدل [بنو هدل] من الشام إلى يثرب إلى حادثة استيلاء الروم

---

(١) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني: **الأغاني**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩م/١٣٨٠هـ) ٩٧/٢٢-٩٨.

(٢) الأصفهاني، ١٠٠/٢٢، وقارن ابن رسته، الأعلاق، ص ٦٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ٩٧/٢٢-٩٨،وقارن اختلاط مساكن القبائل العربية بمساكن القبائل اليهودية في يثرب لدى: السمهودي، وفاء الوفاء ١٦٣/١-١٦٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٩٩/٢٢- ١٠٠.

على بلاد الشام وتغلبهم على اليهود[1]. بينما نلاحظ أن ابن رستة يربط بين نزوح هذه القبائل وبين حملة النبي موسى على الحجاز.

ويوضح ولفنسون حادثة انتقال اليهود من الشام إلى الحجاز بقوله: إنه بعد حرب اليهود والرومان (٧٠ ب. م) التي انتهت بخراب فلسطين، ودمار هيكل بيت المقدس، وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب التي كانت أحب إليهم من غيرها نظراً لأنظمتها البدوية الحرة ونظراً لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعيق سير القوات الرومانية المنظمة، وتمنع توغلها[2]. وكذلك فإن موشيه جل Moshe Gil يميل إلى القول: إن اليهود دخلوا الحجاز واستوطنوها على فترتين من فترات الغزو الروماني لفلسطين؛ وذلك في سنة ٧٠م واحتمالاً في سنة ١٣٥م[3].

واضح من هذا أن كلا الباحثين يرفضان ضمنياً قبول الروايات القائلة إن الوجود اليهودي في الحجاز يعود إلى أيام نبي الله موسى عليه السلام.

على كل ، إذا كان من الممكن التسليم بأن اليهود دخلوا الحجاز بين عامي ٧٠ و ١٣٥م وهو افتراض لا يخلو من الصحة لارتباطه بأحداث تاريخية وقعت في الشام لا يمكن تجاهلها، فهل لنا أن نسلم أيضاً بالروايات التي ترجع وجود اليهود في الحجاز إلى ما قبل الميلاد أي إلى أيام نبي الله موسى عليه السلام؟

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٩٩/٢٢.

(٢) إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**. (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م) ص ٩.

(٣) M. Gil, Ibid., P. 280.

يظهـــر أنـــه من الصعوبة قبول مثل هذه الروايات؛لأنها لا تستند إلى مصادر موثوقـــة. ويرجح جواد علي- ويبدو أنه محق- أن مصدر هذه الروايات هو يهود الحجـــاز أو من أسلم منهم؛وذلك لإثبات أنهم ذوو نسب وحسب في هذه الأرض مـــنذ قديم ،وانهم كانوا ذوي بأس شديد، وأن تاريخهم في هذه البقعة يمتد إلى أيام الأنبياء وابتداء إسرائيل، وأنـــهم لذلك الصفوة المختارة من العبرانيين[1].

إن مـــن اللافت للنظر أنه على الرغم من كثرة هذه القبائل والبطون اليهودية التي ذكرها لنا كل من ابن رسته والأصفهاني وكذلك السمهودي، لم يعرف منها عـــند هجـــرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سوى القليل، ومن أشهر ما عرف منها القبائل اليهودية الثلاث: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة.

ويمكـــن التساؤل هنا: ما مصير بقية تلك القبائل والبطون اليهوديـــة ؟ هل اندثرت أم رحلت خارج الحجاز؟ أم ذابت في القبائل العربية الكبرى في يثرب وما جاورها ؟ وهل كل تلك الجماعات اليهودية التي تزيد على العشر باستثناء القبائل الثلاث المشهورة هي ذات أصول عبرانية ؟ أم إنها ذات أصول عربية وتهودت؟

أمـــا الســـؤالان الأول والثاني فمن الصعب الإجابة عنهما نفياً أو إثباتاً لأن الإجابـــة تحتمل الوجهين. أما ما يتعلق باحتمال ذوبانها في القبائل العربية الأخرى القاطـــنة في يثرب فإنه احتمال جدير بالاعتبار، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أنه بعـــد أن قـــتل مـــالك بـــن العجلان[2] جماعة من يهود المدينة، ذل اليهود،وقل امتـــناعهم،وخافوا خوفاً شديداً، وجعلوا كلما [هاجهم] أحدٌ من الأوس والخزرج

---

(١) جواد علي، المفصل...، ٦/٥١٨.

(٢) انظر خبر مالك بن العجلان عند الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/١٠٥-١٠٦. وقارن السمهودي: المصدر السابق، ١/١٧٨-١٨١.

بشـــيء يكـــرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون قبل ذلك،ولكن يذهـــب اليهـــودي إلى جيرانـــه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكـــم، فكان كل قوم من يهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم..." (١)

وإذا كان لنا أن نقبل هذه الرواية،وهي محتملة الصحة، فإنها ربما تساعد على إلقـــاء الضوء على أصل يهود الأوس والخزرج الذين نجد الإشارة إليهم تتكرر في صحيفة المدينة.

وأمـــا الســـؤال الأخير المتعلق بأصول هذه القبائل والبطون فيما إذا كانت عـــبرانية الأصل أم إنهاقبائل عربية تهودت ؟ فإنه ليس بالمستطاع تقديم إجابة شافية عـــنه، لأن أسماء هذه القبائل والبطون أسماء عربية، وقد ذكر اليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـــ) في تاريخـــه أن أغـــلب الـــطوائف اليهودية في الـــحجاز من الـــعرب المتهودة(٢).

---

(١) انظر الخبر بتمامه عند أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/١٠٥-١٠٦.

(٢) أحمد بن واضح اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي** (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠هـ) ١/٢٥٧. وقال اليعقوبي في الموضع نفسه: وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن، لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير ، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام.وجاء عن ابن عباس أن المرأة تكون مقلاتاً (أي لا يعيش لها ولد)، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا. فأنزل الله عز وجل:" لا إكراه في الدين.. " انظر: أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني: **سنن أبي داود**، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجنان، ١٤٠٩ه، / ١٩٨٨م) ٢/٦٥ (حديث: ١١٦)، وقارن علي بن أحمد الواحدي، **أسباب النزول** وبهامشه **الناسخ والمنسوخ** لهبة الله بن سلامة أبي النصر (بيروت: دار المعرفة، د:ت) ص ص ٥٨-٥٩.

لذلــك فــإن مرجليوث Margoliouth لم يجد في أسماء هذه الجماعات اسماً يحمل الملامح العبرانية غير اسم قبيلة زعوراء، وتابعــه على ذلك جــواد علي[١].

ومــن الطــريف الإشارة هنا إلى أن زعوراء، بطن من بطون الأوس من ولد جشــم من بني عبد الأشهل[٢]. لذلك فإنه ليس سهلاً التوفيق بين زعوراء اليهودية وزعوراء بني عبد الأشهل (!) ، ولابد أن الأمر لا يخلو من لبس.

أما موشية جل فلا يستبعد وجود صلة بين القبائل البدوية المشهورة من جذام في أرض مدين الذين يعرفون بأبناء ثيرون وكذلك يهود الحجاز؛ذلك لأوجه الشبه الكبيرة بينهم[٣].

أمــا فيما يتعلق بأصل قبيلتي بني النضير وقريظة، فإن اليعقوبي وهو أحد أقدم المصــادر التي ناقشت أصلهم، فيزعم أن لهم أصولاً عربية، لأن بني النضير فخذ من جــذام، قيل:إنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير، فسمــوا به[٤]. وكذلك بنو قــريظة هــم حسب رأي اليعقوبي فخذ من جذام، ويقال إن تهودهم كان في أيام الســموأل بن عادياً ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة،فنسبوا إليه[٥]. و لم يقدم اليعقوبي دليلاً واحداً يثبت صحة ما ذهب إليه.

---

(١) انظر جواد علي: المفصل..، ٥٣٢/٦،والعقيلي، اليهود في شبه...، ص ٦١.

(٢) انظر: محمد بن الحسن بن دريد: **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص ٤٤٣، علي بن أحمد بن سعيد: **جهرة أنساب العرب**، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار المعارف، د:ت) ص ٣٣٨، عبد الله بن قدامه المقدسي: **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق علي نويهض (دار الفكر: ٢٣٩٢هـ/١٩٧٣م، د:م) ص ٢٢٧.

(٣) M.Gil, Ibid., P.218.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ٤٩/١.

(٥) المرجع السابق ، ٥٢/١، من الجدير بالملاحظة أنه ليس في بلاد شبه جزيرة العرب جبال تعــرف بجبال قريظة أو النضير. راجع: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** وكذلك **الروض المعطار** للحميري.

وعلى النقيض من ذلك فإن ابن رسته يرجع نسب قريظة والنضير إلى نبي الله هـــارون بن عمران عليه السلام[١]. وتابعه في ذلك أبو الفرج الأصفهاني، فذكر أن بني قريظة والنضير يقال لهم: الكاهنان، وأنهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخـــي موســـى بـــن عمران عليه السلام. وكانوا بنواحي يثرب بعد وفاة نبي الله موسى[٢].

وحسب ما ذكره جواد علي، فإن كلاً من نولدكه Noldeke وأوليري Oleary لا يســـتبعدان كـــون بني النضير وقريظة من طبقة الكهان في الأصل، هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي وقعت فيها فسكنوا في هذه الديار، أي الحجاز[٣].

أمـــا بنو قينقاع فهم القبيلـــة الثالثة مـــن القبائل اليهودية المشهـــورة التي كـــانت في المديـــنة عندما هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلـــم،ولا نعرف الشـــيء الكثير عنها، سوى أنها إحدى قبائل اليهود الثلاث المشهورة بالمدينة، وأنها أول قبيـــلة يهودية نقضت عهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد معركة بـــدر، وأن أحد أحبارها وأصحاب السيادة فيها، الحصين بن سلام، كان أول من أسلم من يهود، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماه عبدالله[٤].

ويشـــكك أحد الباحثين في أصل بني فينقاع، ويرى احتمال كونهم من أصل عربي متهود، أو من بني آدوم[٥]. ويفتقر هذا الرأي إلى ما يؤيده من أدلة.

---

(١) ابن رسته: الأعلاق، ص ٦١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني...، ٩٧/٢٢.

(٣) انظر: جواد علي، المفصل، ٥٢٢/٦.

(٤) انظر: عبد الملك بن هشام الحميري: **السيرة النبوية**، تحقيق السقا وآخرين (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د:ت)، ١٦٣/٢-١٦٤، ١٧٥ - ١٧٦، ٥/٣- -٥٣.

(٥) انظر: جواد علي: المفصل..، ٥٣٤/٦.

ولعل ما يرجح كون بني قينقاع عبرانيين أصلاً هو ما جاء في ترجمة عبد الله ابن سلام عند ابن حجر، الذي لم يذكر مصدره، فقد قال عنه: " عبد الله بن سلام ابـــن الحـــارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام، حليف القواقل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم، وكـــان من بني قينقـــاع"[1].

أمـــا أم المؤمنين صفية بنت حيي (ت: ٥٢هـــ)[2] فنسبها في كلتا القبيلتين، بـــني النضير وبني قريظة، لأن أباها حيي بن أخطب من بني النضير وأمها برة بنت سموأل من بني قريظة. وحسب بعض الروايات، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: أحمد بن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة** وبهامشة **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لابن عبد البر، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـــ بمصر (بيروت: دار صادر، د: ت) ٢/٣٢٠ – ٣٢١، (ت: ٤٧٢٥).

وهو عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية النبي يوسف عليه السلام حليف القواقل من الخزرج، الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم وكان من بني قينقاع، أسلم أول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، توفي بالمدينة سنة ٤٣هـــ. انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة ٢/٣٢٠ – ٣٢١.وقارن: محمد بن أحمد الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة (بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـــ / ١٩٩٣م) ٢/٤١٣ – ٤٢٦، و محمد بن سعد بن منيع البصري: **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار صادر: ١٣٨٨هـــ/١٩٦٨م) ٢/٣٥٢ – ٣٥٣. ومن الملاحظ أن ابن سعد لم يقدم لابن سلام ترجمة وافية (!).

(٢) هي صفية بنت حُيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام وأمها بره بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير. وكانت صفية تزوجت سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقهـــا فـــتزوجها كـــنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري فقتل عنها يوم خيبر، فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وأعتقها وتـــزوج بها. وتوفيت ســـنة ٥٢هـــــ في خلافـــة معاويـــة. انظر: ابن ســـعد:الطبقات، ٨/١٢٠ - ١٢٩، وابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٣٤٦ - ٣٤٨، والذهبي :ســـير أعلام النبلاء ... ، ٢/٢٣١ – ٢٣٨ .

قـــد شـــهد لها بصحة نسبها الإسرائيلي وعراقة أصلها، فعندما استبت أم المؤمنين عائشـــة وصفية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصفية: " ألا قلت أبي هارون وعمي موسى"(١).

وقـــد ذكـــر القرآن الكريم بني إسرائيل في ثلاثة وأربعين موضعاً، منها ثلاثة وعشـــرون تتعلق بالعهد المكي،وعشرون موضعاً تتصل بالعهد المدني. ومعلوم أن المقصـــود بـــبني إسرائيل في الخطاب المدني هم يهود الحجاز،وعلى رأسهم القبائل الثلاث المشهورة في المدينة.

لذلك فإذا كانت صحة نسب البطون اليهودية في الحجاز،ومصيرها لا يزال محل خلاف بين ذوي الاختصاص من المؤرخين وغيرهم،فإن صحة نسب يهود بني النضير وقريظة وقينقاع أقل إشكالاً، فهم بقايا من أهل الكتاب من بني إسرائيل في الحجـــاز. وهذا على الأقل ما يفهم من بعض نصوص القرآن الكريم وما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

إجمـــالاً يمكنـــنا القول: إن الأوس والخزرج من جهة وقبائل اليهود وبطونها المختـــلفة مـــن الجهة الأخرى كانوا يتنازعون السيادة على يثرب،وكثيراً ما قامت بيـــنهم الحروب ولعل آخرها يوم بعاث بين الأوس وحلفائها قريظة والنضير والخزرج ومعها حليفتها قينقاع؛وذلك قبل فترة وجيزة من هجـــرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب. ويعد يوم بعاث آخر الأيام المشهورة التي وقعت بين الأوس والخزرج(٢).

(١) انظـــر الخبر بتمامة وترجمة صفية بنت حيي لدى : محمد بن ســـعد : الطبقات ، ٨/ ١٢٠ – ١٢٩ ، وانظـــر الحديـــث المتعلق بنسب صفية عند أحمد بن حنبل : المسند (القاهـــرة : مؤسســـة قرطبة ، د:ت) ٣/١٣٥ – ١٣٦،ومحمد بن عيسى بن سورة الـــترمذي : **الجامع الصحيح** ، تحقيق إبراهيم عطوه عوض ، الطبعة الثانية (القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٣٩٥هـــ) ٥/٧٠٨ – ٧٠٩ (حديث : ٣٨٩٢ ، ٣٨٩٥) .

(٢) محمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، ص ص ٧٧ – ٧٨، وانظر مادة (بعاث) عند ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان (بيروت: دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م).

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أُبي بن سلول العوفي الخزرجي، وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم رسول الله وهم على ذلك[1].

وفيما يأتي يمكن التعرف إلى العلاقة التي أصبحت سائدة بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة خلال السنتين الأوليين من هجرته، أي قبل بدر.

٣ – العلاقة بين النبي ﷺ ويهود المدينة:

وصل الرسول الكريم إلى قباء في ضواحي يثرب في شهر ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة (الموافق ٦٢٢م) واستقبله الأنصار استقبالاً

---

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ٢/٢٣٤. ويلاحظ أن إسرائيل ولفنسون وربما كان مصيباً حين يشكك في أمر تتويج ابن أُبي على أهل يثرب، وذلك لأسباب لا تخلو من منطق منها:

أن عبد الله بن أبي كان قد غلب على أمره يوم بعاث، فليس من المعقول أن يرتاح الأوس واليهود بعد فوزهم المبين إلى تمليك زعيم من الخزرج وكانوا لهم من ألد الأعداء، إضافة إلى أنه لم يكن صالحاً للقبض على ناصية الحكم في يثرب حيث كان ضعيفاً " دساساً " لا يستقر على حال.

انظر: ولفنسون: المرجع السابق، ص ص ١١٨ – ١١٩.ولكن يقدم على رأي ولفنسون ما جاء عند البخاري ومسلم من أن أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم قد اتفقوا فيما بينهم على تنصيب عبد الله بن أُبي زعيماً لهم، قال: "... على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة... " انظر: محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، ضبط وترقيم مصطفى ديب البغا، الطبعة الرابعة (دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ٤/١٦٦٣ – ١٦٦٤ (حديث: ٤٢٩٠)،ومسلم ابن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ٣/١٤٢٢ – ١٤٢٣ (حديث: ١٧٩٨).

كريماً [1]. وحسب ما جاء في بعض الروايات أن أول اتصال جرى بينه وبين اليهود كان في قباء، أي قبل أن يرتحل إلى يثرب التي عرفت فيما بعد باسم المدينة أو مدينة الرسول. فقد نقل لنا ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم شهادة صفية بنت حُييّ بن أخطب التي تزوجها الرسول، فيما بعد عن أول اتصال بين اليهود والرسول صلى الله عليه وسلم، قالت في شهادتها تلك: " فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، نزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حُيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغلّسَيْن. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ.

قالت: وسمعت عمّي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته ؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت"[2].

ومما يؤكد صحة رواية صفيه عن عداوة أبيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عروة بن الزبير أن أول من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود أبو ياسر بن أخطب فسمع منه فلما رجع قال لقومه: " أطيعوني فإن هذا النبي الذي كنا ننتظر" فعصاه أخوه حُيي وكان مطاعاً فيهم، فاستحوذ عليه الشيطان فأطاعوه على ما قال[3].

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٣٧ - ١٤٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٦٥- ١٦٦، وقارن: موسى بن عقبة: **المغازي**، جمع ودراسة محمد باقشيش أبو مالك (الرباط: مطبعة المعارف، ١٩٩٤م) ص ص: ١١٣ - ١١٤.

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٧/٣٥٠.

وعلى كل مهما اختلفت الروايات في أمر أول من قدم على رسول الله من يهود سواءً أكان أبا ياسر بن أخطب أم أخاه حُيياً فإن مضمون المقابلة وما أسفرت عنه من نتيجة لا خلاف عليه وهو عدم اعترافهم في النهاية بنبوة رسول الله وتكذيبهم له ومعاداتهم له.

إن شهادة أم المؤمنين صفية لا تفصح لنا عما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين أبيها وعمها حتى إنهما عادا حزينين بائسين. ولكن ما داما قد أمضيا سحابة يومهما مع رسول الله فليس من المستبعد أنه دار بينهم جدل وحوار أدى إلى اقتناع هذين اليهوديين بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ومن ثم معاداته. وجاء في رواية أخرى لابن إسحاق ما يفسر لنا فيها سر هذه العداوة ويؤكد فيها أن حُيياً بن أخطب وأخاه أبا ياسر، كانا من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا وجاء فيهما قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] [البقرة: ١٠٩].

وجاء عن ابن عباس أن هذه الآية قد نزلت في حُيي بن أخطب وأخيه أبو ياسر لأنهما من أشد اليهود حسداً للعرب إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم[2].

يتبين من كل ما تقدم أن موقف حُيي وأخيه من النبي لم يكن موقفاً صحيحاً من حيث بواعثه، أي اعتقادهما أنه ليس نبياً مرسلاً من الله، فهما في قرارة أنفسهما يعرفان أنه رسول الله ولكن حسدهما أن يكون عربياً هو الذي دفعهما إلى مجافاة العقل والمنطق والحيلولة بين قومهما وبين التصديق بنبوة محمد واتّباعه.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٩٧.

(٢) انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية (الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ١/٣٨١ – ٣٨٣.

وعـندما انـتقل الرسول الكريم من قباء إلى يثرب كان أول من أسلم من يهودهـا من بني قينقاع حبرهم وأعلمهم الحصين بن سلام بن الحارث الذي سماه رسول الله بعد إسلامه عبد الله. وأسلم معه أهل بيته وعمته خالدة بنت الحارث[1]. وقـد فضـح عبد الله بن سلاّم حبر قينقاع قومه اليهود حين جادلهم وكشف عن أهوائهم المنحرفة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلـم وقال مخاطباً قومه:

"يـا معشـر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فإنكم والله لتعلمون أنه رسـول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته[2]، فإنـي أشهد أنه رسول الله، وأومن به، وأصدقه وأعرفه"، فقالوا: كذبت. ثم لم تذكر الرواية أكان عـبد الله بن سلام قد أطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه على ما جاء في التوراة عن نبوته أم لا ؟ .

وجـاء في روايـة عـن سعيد بن جبير[3] (قُتل: ٩٤هـ) مشابهة في بعض وجوهـا رواية عبد الله بن سلام، وذلك أنه "جاء ميمون بن يامين، وكان على رأس اليهـود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابعث إليهم (أي اليهود)

---

(١) خالدة أو خلدة بنت الحارث، عمة عبد الله بن سلام، ذكر قصة إسلامها ابن حجر العسقلاني: نقلاً عن ابن إسحاق. انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٤/٢٨٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية.، ٢/١٦٣ - ١٦٤، انظر: أحمد بن حجر العسقلاني: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فـؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ٦/٤٤٧، ٧/٣٤٦ - ٣٤٩، ففيه تفصيل عن إسلام عبد الله بن سلام .

(٣) سعيد بن جبير : يكنى أبا عبد الله ، مولى لبني والبة من بني أسد بن خزيمة كان من تلاميذ ابن عباس فحمل عنه علماً كثيراً ، خرج على بني أمية في فتنة دير الجماجم سنة ٩٤هـ فأخذه الحجاج بن يوسف الوالي الأموي على العراق وقتله في السنة نفسها وهو ابن تسع وأربعين سنة .

انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ..، ٦/٢٥٦ - ٢٦٧ .

فاجعلني حكماً فإنهم يرجعون إليّ، فأدخله داخلاً، ثم أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه، فقال - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - : "اختاروا رجلاً يكون بيني وبينكم"، قـــالوا قد رضينا ميمون بن يامين. فقال: اخرج إليهم. فقال: أشهد أنه رسول الله، فأبوا أن يصدقوه(١).

وجاء القرآن معاتباً اليهود وواصفاً إياهم بالظلم،ومشيداً بشهادة عبد الله بن سلام على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوته في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَـــانَ مِـــنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)[الأحقاف: ١٠].

ولكن قوم عبد الله بن سلام من زعماء يهود مثل: حُيي بن أخطب وكعب بن أسد، سيد قريظة وغيرهما لجوا في عنادهم ومكابرتهم، وقالوا لعبد الله بن سلام: "ما تكون النبوة في العرب، ولكن صاحبك ملك، أي النبي(٣). ثم إن الرسول صلى الله عـــليه وسلم دعا جموع اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمـــته، فما كان جوابهم إلا أن قالوا: "بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعـــلم وخـــيراً منا"(٤). ثم إن القرآن ازدرى آباءهم واتهمهم بقلة العقل ومجانبتهم لطريق الهداية بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُـمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

---

(١) ابن حجر العسقلاني:فتح الباري، ٧/ ٢٥٠.

(٢) ابن كثير : تفسير ابن كثير، ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية " شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله " أن الشاهد هو عبدالله بن سلام، وذكر أسماء طائفة من المفسرين الذين قالوا بذلك، انظر: ٢٧٨/٧ ، ويلاحظ أن سورة الأحقاف مكية.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٢٢٠.

(٤) المرجع السابق ، ٢/ ٢٠٠.

ولكن هذا الجواب البارد من اليهود وإصرارهم على تقليد آبائهم،وإن كانوا عـــلى غير طريق الحق والهداية، لم يثنيا رسول الله و لم يثبطا عزيمته عن الاستمرار في دعوهم والإلحاح عليهم بالدخول في الدين الحق، فيذهب إليهم في بيت المدراس[١] ويدعوهم إلى الله، فيسأله بعض علمائهم، على أي دين أنت يا محمد ؟ فيجيبهم أنه عـــلى ملة إبراهيم. فيردون إن إبراهيم كان يهودياً. فيطلب منهم الرسول صلى الله عليه وسلم الاحتكام إلى التوراة فيأبون عليه ذلك[٢].

ثم يـــأتي القـــرآن مكذبـــاً إيـــاهم ومؤكداً حقيقة دين نبي الله إبراهيم عليه الســـلام، لم يكـــن يهوديـــاً ولا نصرانياً، قال تعالى: ﴿ما كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

ويظهـــر أن بعـــض زعماء اليهود لم يكتفوا برفض نبوة محمد عليه الصلاة والســـلام، و لم يكـــتفوا بتخذيل قومهم وغيرهم من العرب ممن هو على شاكلتهم عـــنه، بل وصل هم الحمق والخروج عن جادة الحق إلى أن عرضوا على رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أن يتهود، قائلين لـــه: "ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد"[٣].

وعندما أخفق اليهود في هذا المسعى وعندما جبههم الحق بقوله تعالى: ﴿قلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

---

(١) بيت المدراس: المدْراسُ، البيت الذي يُـــدرس فيه القرآن، وكذلـــك مدراس اليهود.. والمدراس صاحب دراسة كتبهم.... ومنه الحديث الآخر: حتى أتى المدْراس، هو البيت الذي يدرسون فيه، انظر: محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د: ت)، مادة (درس).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٠١/٢.

(٣) المرجع السابق ، ١٩٨/٢.

طرقوا باباً آخر فقال بعض زعمائهم فيما بينهم: " اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر، فأتوه قائلين: يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وأنا إن اتبعناك اتبعتك اليهود، و لم يخالفونا وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك"؟ فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ليس الهدف من كل ما تقدم، عرض كل ما جاء في القرآن عن اليهود في المدينة ومواقفهم المشينة من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته، فقد سُبقنا في هذا الأمر[2]، ولكن الهدف من هذا إبراز محاولات الرسول صلى الله عليه وسلم الحثيثة لدعوة اليهود إلى الإسلام، وكذلك إظهار النجاح المحدود الذي تمخضت عنه الجهود المخلصة للرسول الكريم.

وفي مجال العبادات، كان من الشعائر التي عمل بها الرسول صلى الله عليه وسلم وحث أتباعه في المدينة على فعلها صيام عاشوراء، قال أبو موسى الأشعري " دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وإذا أُناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه"[3].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية:،٢١٦/٢، وانظر: الواحدي: أسباب النزول ...ص ١٤٧.

(٢) انظر: محمد عزة دروزة: **اليهود في القرآن الكريم** (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٣٤٩/٧.

وجـــاء في روايـــة أخرى عن ابن عباس، تشرح السبب الذي من أجله صام اليهود عاشوراء وتبعهم المسلمون في صيامه، قال: لما قدم النبي المدينة وجد اليهود يصـــومون عاشوراء،فسئلوا عن ذلك، فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبـــني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً لـــه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه"[1].

ثم إن الرســـول صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة كان يتوجه في صـــلاته قِـــبَلَ بيت المقدس، فقد جاء عند البخاري رواية عن البراء[2]، قال: "وأنه صـــلى قِـــبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت (الكعبة)، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معـــه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قـــبل الـــبيت. وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك[3]. وقد استنكر اليهود والمنافقون صرف القبلة إلى الكعبة، وبدؤوا يشككون الناس في صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأنشأت اليهود تقول: قد اشتاق الرجل إلى بلده وبيت أبيه وماهم

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٧/٣٤٩.

(٢) البراء: هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي. أول مشاهـــده أحد وقيل الخنـــدق، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة. وقيل هو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـــ، انظر: عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م) ١/١٩٩-٢٠٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ١/١٢٨- ١٢٩ (كتاب الإيمان حديث رقم ٤٠).

حتى تركوا قبلتهم، يصلون مرة وجهاً،ومرة وجهاً آخر[1]. وقالت اليهود: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء[2].

وأمـــا المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقاً، فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق، فقد كان على الباطل، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس[3] فرد عليهم القرآن الكريم بقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وذكر ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان في مكة كان يصـــلي إلى بيـــت المقدس لكنه لا يستدبر الكعبة،بل يجعلها بينـــه وبين المقدس[4] وذكر ابن حجر أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس يتألف أهل الكتاب،وهذا لا ينفي أن يكون بتوقيف[5].

ثم إن بعـــض علماء اليهود وزعمائهم مثل: رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف وغيرهم استبد بهم الغضب من تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة، وحاولوا فتنته عن دينه، فقالوا له: يا محمد، ما ولاّك عن قبلتك

---

(١) موسى بن عقبة: المغازي، ص ١١٦.

(٢) انظر: محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية: **زاد المعاد في هـــدي خير العباد**، تحقيق عرفان عبد القادر العشـــا، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـــ/ ١٩٩٧م)٣/٥٧.

(٣) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٣/٥٧.

(٤) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ١/١٢٩ – ١٣٢.

(٥) في تفسير هذه الآية، انظر ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٨/٢١٦ - ٢١٧، وقارن، ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٩٨ - ١٩٩.

الـــتي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ! ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك[١].

وهكذا استمر الجدل بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود في أمور العقيدة والعــبادات ومــا كــان لهذا الجدل أن يصل إلى نتيجة نهائية إلا بعد أن أصبحت الكلمة العليا للمسلمين، أي بعد معركة بدر.

إن ممـــا يبعث على الدهشة أن بعض المستشرقين قد فهم أن سياسة اللين التي اتبعها النبي مع اليهود في بداية العهد المدني، وكذلك بعض الشرائع اليهودية التي لم يكن الإسلام قد نسخها بعدُ،مثل التوجه في الصلاة نحو بيت المقدس، إنما هي تقليد لــليهود في شــعائرهم،وأحياناً كان تنازلاً منه عن بعض شعائر دينه، رجاء جلب اليهـــود إليه والإيمان به واتباعه. فقد ذكر بروكلمان Brockelmann، أن الرسول عند وصوله المدينة حاول أن يكسب اليهود،وأن يدخلوا في دينه،وذلك عن طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي[٢].

أما مونتجمـــري واط M. Watt ، فيرى أنه لما أصبح بإمكان محمد الانتقال إلى المديــنة، أراد أن يصوغ الإسلام على شاكلة أقدم الأديان - أي اليهودية - فكان التوجه نحو القدس في الصلاة، وصيام عاشوراء، وهو عيد الكفارة اليهودي، وغير ذلـــك. بـــل يردف واط قائلاً: إن محمداً قبيل الهجرة وبعدها كان يميـــل لصياغة ديانته على شكل الديانة اليهودية، حتى إن صلاة الظهر التي شرعت في المدينة بعد الهجـــرة كانت مجاراة للعادات اليهودية، إذ لم يعرف المسلمون في مكة إلا صـــلاة

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٩٨ -١٩٩.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ص ٤٦-٤٧.

الصبح والمغرب، ولكن في المدينة جاء الأمر القرآني بالحث على الصلاة الوسطى[1]. ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كثيراً من المفسرين يرون أن المقصود بالصلاة الوسطى صلاة الفجر أو صلاة العصر على أرجح الأقوال[2] وليس لصلاة الظهر أي ذكر هنا، فليت شعري كيف تأتى لمونتجمري هذا الفهم ؟

إن آراء هؤلاء المستشرقين أتت من كونهم ينظرون إلى النبي محمد نظرة إنسان عادي تأتي تصرفاته وفقاً لرغباته الشخصية وليدة الساعة، فهم لا يؤمنون به رسولاً يتلقى وحيه من السماء. وعلى أساس هذا التصور لم يكونوا يدركون أن محمداً رسول يدعو إلى دين سماوي جديد يجمع الناس جميعاً تحت رايته، بما فيهم النصارى واليهود، وأن تشابه بعض الأمور في الأديان الثلاثة إنما هو ناتج من كونها نبعت في الأصل من مصدر واحد. والإسلام وحده الذي اعترف برسالات السماء السابقة[3].

وإذا ما تركنا شبهات بعض المستشرقين جانباً فإن العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة قبل أحداث بدر ربما لم تكن على قدر كبير من الوضوح،

---

(١) Towards M. Watt, **Muhammad at Medina.** Pp. 198 - 99, cf. Jacques Waardenberg, **a Periodization of Earliest Islam According to its Relations with other Religions.** Pp. 310 311.

(٢) راجع ابن كثير : التفسير ، ١/٦٤٥ — ٦٥٤ ، ومعلوم أيضاً أن الصلوات الخمس بما فيهن الظهر قد فرضت ليلة الإسراء والمعراج بمكة . انظر : خبر الإسراء والمعراج وفرض الصلاة في رواية ابن إسحاق عند : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢/٣٦ — ٥٠ .

(٣) صالح موسى درادكة: **العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين**، الطبعة الأولى (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص ٢٨١.

فقـــد ذكـــر ابن إسحاق أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم[1].

وجاء عند ابن قيم الجوزية، أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام:

قســـم صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم (وهم اليهود)، وقسم حاربوه ونصبوا له العداء، وقسم تاركوه فلم يصالحوه، ولم يحاربوه بل انتظروا ما يؤول إليه أمـــره وأمـــر أعدائه فصالح يهود المدينة،وكتب بينهم وبينه كتاب أمـــن، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة، وهم : بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة[2].

هـــذه المعاهدات التي ذكرت بعض المصادر الإسلامية إبرامها بين النبي صلى الله عـــليه وســـلم وبين يهود المدينة ستكون محور المناقشة عند الحديث عن الوضع القانوني لليهود في صحيفة المدينة.

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٤٧/٢.

(٢) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد.، ١١٥/٣، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري.، ٣٥٠/٧.

الفصل الثاني

صحيفة المدينة

١ - نسبتها

٢ - رواياتها وتاريخها

٣ - الأمة ويهود الصحيفة

الفصل الثاني

صحيفة المدينة

١ – نسبتها :

قبل مناقشة الصحيفة وإشكالاتها، قد يكون من المفيد معرفة صحة نسبة الصحيفة، أي هل يمكن نسبتها إلى يثرب أم المدينة؟ يظهر أن كلا المسميين قديمان. فيثرب هي كما يزعم أحد المصادر اسم قديم يعود إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل ابن إرم ... أحد أحفاد نوح عليه السلام؛ لأنه أول من سكنها من العرب[١].

أما المسمى الثاني أي "المدينة" فهو قديم أيضاً ويظهر أن له أصلاً آرامياً كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين فهو متحدر من كلمة Medinta و Medinto الآرامية التي تعني بالعربية مدينة[٢]. ويظهر كذلك أن مهاجر رسول الله صلى اله عليه وسلم كان معروفاً بالاسمين معاً أي يثرب والمدينة. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دار هجرته قال: رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل. فذهب وهلي [أي ذهب به وهمه] إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب.. "[٣].

---

(١) انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، مادة "يثرب"، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٤/١٠٨-١٠٩.

(٢) انظر: جواد علي: المفصل ــ ٤/١٣٠، وقارن ما كتبه بول F.Buhl في مادة "المدينة AL-MADINA " في SEI,PP. 291-98.

(٣) انظر: البخاري: الصحيح، ٣/١٣٢٦ (حديث: ٣٤٢٥) ومسلم: صحيح مسلم، ٤/ ١٧٧٩ (حديث: ٢٢٧٢).

وعـــندما هاجر الرسول الكريم إلى المدينة، وشكا بعض أصحابه شدة فراقهم لمكـــة، وعدم احتمالهم وباء المدينة، دعا ربه قائلاً: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد.. "[1].وفي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بدر في السنة الثانية لـــلهجرة، دعا للمدينة بالبركة وأعلن حرمتها، بقوله " ... أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم.." [2].

وأشار القرآن الكريم في موضع واحد إلى "يثرب" حكاية عن المنافقين وذلك في أحـــداث غزوة الأحزاب في قوله: [وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ ...] [الأحزاب: ١٣].

بيـــنما ذكر القرآن المدينة في مواضع كثيرة، وعلى وجه الخصوص في السور التالية [المنافقون:٨، والأحزاب: ٦٠، والتوبة: ١٠١، ١٢٠].

ممـــا تقدم يظهر لنا بوضوح أن الآثار المتقدمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء في القرآن الكريم كذلك كلها تميل إلى تغليب أو تفضيل استخدام مسمى المدينة على مسمى يثرب.

وإذا رجعـــنا إلى مصادر السيرة النبوية نستنطق نصوصها المتعلقة بالصحيفة فإننا نجد أن أقدم رواية حفظت لنا الكتاب أو الصحيفة هي رواية عن ابن شهاب الزهـــري (ت: ١٢٤هـــــ) لدى أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـــ)، فقد وردت الإشـــارة فيه إلى يثـــرب مرتين وإلى المدينة مـــرة واحدة[3]. كما أننا نجد

---

(١) البخاري: الصحيح، ٦٦٧/٢ (حديث: ١٧٩٠).

(٢) محمد بن عمر الواقدي: **المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م)، ١٧٦/١.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام: **كتاب الأموال**، تحقيق محمد عمارة، الطبعة الأولى (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩هـــ) ص ص ٢٩١-٢٩٤.

نصاً لرواية الزهري نفسها لدى حميد بن زنجويه (ت: ٢٥١هـ) ذكر فيه مسمى المدينة مرتين، ومسمى يثرب مرتين كذلك[1]. وهذا فيه اختلاف واضح عن الرواية الواردة عند أبي عبيد وذلك فيما يخص مسمى المدينة ويثرب.

أما رواية ابن إسحاق (ت: ١٥١هـ) التي نقلها ابن هشام فقد ذُكرت فيها يثرب ثلاث مرات، والمدينة مرة واحدة[2].

إن كل ما تقدم يظهر لنا بجلاء أن كلا المسميين يثرب والمدينة كانا مضمنين في الصحيفة. لذلك فلا عجب إذا ما أُطلق على الصحيفة مسمى صحيفة المدينة، عوضاً عن يثرب خصوصاً وأن استخدام مسمى يثرب أصبح مرتبطاً بالمنافقين[3]. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال للمدينة يثرب، بل المدينة [4].

والأمر الآخر المتصل بإشكالات الصحيفة هو: هل هي معروفة في المصادر التاريخية بمسمى الصحيفة أم الكتاب أم ماذا ؟

لقد ورد ذكر مسمى الصحيفة في كل الروايات الواردة عند ابن هشام ،وابن سلام، وكذلك حميد بن زنجويه. فقد جاء ذكر الصحيفة في رواية ابن إسحاق عند ابن هشام ست مرات[5]. وفي رواية ابن شهاب الزهري عند ابن سلام ذكرت

---

(١) حميد بن زنجويه: **كتاب الأموال**، تحقيق شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ٢/٤٦٦-٤٧٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٤٧-١٥٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٤/١٠٧-١٠٨.

(٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٤/١٠٨-١٠٩، انظر أسماء المدينة لدى السمهودي حيث ذكر لها ما يربو على التسعين اسماً. السمهودي: وفاء الوفاء، ١/٨-٢٧.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٤٧-١٥٠.

الصحيفة ست مرات [1]. أما رواية الزهري عند ابن زنجويه فقد ذكرت الصحيفة سبع مرات[2].

أمـــا مســـمى كتاب، فقد ورد مرة واحدة في مستهل كل رواية في المصادر الثلاثة بلفظ "هذا كتاب من محمد النبي.. " ولم يتكرر ذكره بعد ذلك في نصوص الـــروايات ذات الصـــلة بوثيقـــة المدينة. ولذلك فإن مسمى الصحيفة يكون أكثر مناسبة من سواه من المسميات حيث أن التأكيد على الصحيفة ورد مكرراً في كل نصوص المعاهدة.

٢ – رواياتها وتاريخها :

وعـــند السؤال: أكانت صحيفة المدينة واحدة أم اثنتين؟ وهل كتبتا في وقت واحد أم لا ؟ وإن كان غير ذلك فأيهما كتبت قبل الأخرى ؟ ولماذا ؟

إن المتتبع لأحداث السيرة النبوية في طورها المكي الأخير وفي أيامها الأولى في المديـــنة كان يتوقع أن أول شيء يمكن أن يُصار إليه هو كتابة وثيقة بين المهاجرين الطـــارئين عـــلى المديـــنة وبين أهلها من الأنصار لتنظيم العلاقة فيما بينهم وتبيان الحقـــوق والواجـــبات لكل الفرقاء، وقد ألمح أبوعبيد في **كتاب الأموال** إلى ذلك بقولـــــه: إن الكـــتاب الـــذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين، قريش وأهل يثرب ومن تبعهم، كان حدثان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أي ربما في الشهور الأولى لاستقرار النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) انظر: أبو عبيد: الأموال، ص ص ٢٩١-٢٩٤.

(٢) انظر: ابن زنجويه: الأموال، ٢/٤٦٦-٤٧٠.

المدينـــة[1]. كما أن ابن إسحاق سبق أبا عبيد في الإشارة إلى ذلك عندما ذكر أن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَعَ فيه اليهـــود وعاهدهم[2]. وفي هذه الرواية الأخيرة ما يوحي بأن الكتابة بين المهاجرين والأنصار وكذلك موادعة اليهود قد أنجزتا في وقت واحد ولكن يظهر أن تطورات الأحداث وطبيعة العلاقات بين هذه الجماعات كانت تسير على نحو مغاير.

من المعروف جيداً أن بيعة العقبة الثانية التي حضرها أكثر من سبعين من أهل يثرب الأوس والخزرج قد تكفلت بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حل بين ظهـــرانيهم وعـــلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم [3]. ومن المعروف كذلـــك أن يهود يثرب لم يكونوا ممثلين في بيعة العقبة، فقد روي أن أبا الهيثم بن التَّـــيِّهان[4]. قال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهـــود - فهل عسيت - إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله - أن ترجع إلى قومك

---

(١) أبوعبيد: الأموال، ص٢٩٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٤٧/٢.

(٣) عروة بن الزبير: **مغازي رسول الله**، جمع وتحقيق محمد الأعظمي، (الرياض: مكتب التربية لدول الخليج ١٤٠١هـ) ص١٢٥، موسى بن عقبة: المغازي، ص٩١، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٢٧٩/٧-٢٨٠.

(٤) أبو الهيثم بن التيهان: هو مالك بن بلي بن عمرو، حليف لبني عبدالأشهل، وكان أول من أسلم من الأنصار بمكة. وقد شهد أبو الهيثم العقبة مع السبعين من الأنصار وهو أحد النقباء الاثني عشر. وآخى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بينه وبين عثمان ابن مظعون. كان أبو الهيثم بن التيهان يخرص على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما شهد المشاهد كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. قيل: توفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ. انظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**،٤٤٧/٣-٤٤٩.

وتدعـــنا؟[1]. فلو كان اليهود أو من يمثلهم حضوراً في ذلك الاجتماع فإنه من غير المناسب إثارة مسألة قطع العلاقات وإعلان الخلاف معهم. علماً أن النبي صلى الله عـــليه وسلم في العهد المكي لم يكن يناوئ اليهود، أو يدعو إلى السخط عليهم أو قطـــع الحبال معهم، بل ربما كان يرجو أن يكونوا أول مؤمن به إذا قدم إلى بلدهم لأنهـــم أهـــل كـــتاب. لذلك فإن الإشارة هنا إلى اليهود لا تخلو من إشكال، ولا يستبعد أنها مقحمة[2].

عـــلى كل، يبدو أن بيعة العقبة الأخيرة وما تضمنته من شروط بين كل من الـــنبي وأهل يثرب، واختيار الرسول كذلك النقباء ليكونوا كفلاء على قومهم[3]، أقول ربما أغنى ذلك جميعه عن كتابة معاهدة جديدة بين المهاجرين، وعلى رأسهم النبي من طرف والأوس والخزرج ونقبائهم من طرف آخر إثر مقدم الرسول صلى الله عـــليه وسلم إلى المدينة. ولابد أن نظام المؤاخاة الذي أقره النبي صلى الله عليه وســـلم بين المهاجرين والأنصار خلال الأشهر الأولى لمقدمه المدينة [4] كان له أثر بعيـــد الغور في نفوس المهاجرين وإخوانهم من أهل المدينة إذ ساعدهم بسبب هذه

---

(١) عروة بن الزبير: مغازي رسول الله، ص١٢٥، و موسى بن عقبة: المغازي، ص ص ٩١ ٩٢، ابن هشام: السيرة النبوية، ٨٥/٢.

(٢) قارن: ولفنسون، اليهود...، ص ١٠٥، وانظر مغازي عروة فقد جاء فيها على لسان ابن التيهان: "بيننا وبين الناس حبالاً..." ولم ترد الإشارة في حديثه إلى اليهود. ص ١٢٥.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٨٥/٢،و ابن سعد: الطبقات، ٢٢١/١-٢٢٢،و ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٢٨/٧.

(٤) عن بيعة العقبة الثانية والمؤاخاة انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٨١/٢-٩٠، ١٥٠-١٥٣ ؛ وقارن ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢٢١/١ - ٢٢٣، ٢٣٨-٢٣٩.

الروح الأخوية والرابطة الإيمانية على تجاوز الكثير مما قد يشجر بينهم من خلاف.

أمـــا يهود المدينة - كما سلف - فلم يكونوا طرفاً في بيعة العقبة الثانية و لم يدعـــوا الرسول للإقامة بينهم، لذلك فإن الملاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم ربمـــا بـــادر بعد وصوله للمدينة بوقت قصير إلى التفاهم معهم وموادعتهم، بكتابة وثيقة فيما بينهم، وربما أكثر من وثيقة.

ذكـــر المقريزي (ت: ٨٤٥هـــ) في "إمتاع الأسماع" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادَعَ من بالمدينة من يهود وكتب بذلك كتاباً. وكانوا ثلاث فرق: بنو قينقاع، وبنو النضير وبنو قريظة [1]. ونلاحظ أنه في روايته لم يشر إلى المسلمين...!

و لم يذكـــر المقريزي فحوى ذلك الكتاب. علماً أن مفهوم الموادعة: الصلح والســـلم، أو كمـــا جاء في "النهاية في غريب الحديث" "أنه وادع بني فلان، أي صالحهم وسالمهم على ترك الحرب والأذى"[2].

وهـــذا التعريف للموادعة ينطبق تقريباً على ما نقله لنا البلاذري عن موادعة الرســـول صلى الله عليه وسلم لليهود حيث قال: عند قدومه المدينة وادع يهودها وكتب بينه وبينهم كتاباً، واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه وأن ينصروه على من دهمه وأن لا يقاتل عن أهل الذمة [3]. أما الطبري (ت: ٣١٠ هـــ) فذكر أن النبي كان قد وادع حين قدم المدينة يهودها، على أن لا يعينـــوا عليه أحداً وأنه إن دهمه

---

(١) أحمد بن علي المقريزي: **إمتاع الأسماع**، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، د:ت)، ٤٩/١.

(٢) المبارك بن محمد الجزري بن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (بيروت: دار الفكر للطباعة، د:ت) ١٦٧/٥.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٢٨٦/١.

بها عدو نصروه [1].

وبالموازنـــه بين هذه النماذج من الموادعة أو العهد نجد أنها تختلف من وجوه كـثيرة عـــن المعـــاهدة المتعلقة باليهود الموجودة في صحيفة المدينة[2]. وهذا من الأســباب التي تجعل الباحث يفترض أن مثل هذه النصوص من الموادعة قد أبرمها الرســول صـــلى الله عليه وسلم مع قبائل اليهود الكبرى خلال الفترة الزمنية التي ســبقت أحداث بدر. وليس من المستبعد كذلك أن تكون هذه العهود قد أبرمت مــع القـــبائل اليهودية كل على انفراد. وذلك بسبب تفرق ولاءاتهم بين القبائل العـــربية في المدينة فقد كان بنو قريظة وبنو النضير حلفاء للأوس، في حين أن بني قينقاع كانوا حلفاء للخزرج. ولا شك أن أحداث بعاث التي سبقت الهجرة بوقت قصير نسبياً [3]، كان أثرها مستمراً وعميقاً في فرقة اليهود وعدم اجتماع كلمتهم. لذلك فإنه ليس من السهولة أن تجمع كلمتهم صحيفة واحدة كتلك التي رواها ابن شـــهاب الزهـــري، وهذا يقود إلى الافتراض أن الجزء الخاص باليهود في صحيفة المدينة قد كتب بعد معركة بدر، فلم يبق أمام الأطراف المتنافسة في المدينة من يهود وربمـــا غيرهـــم مـــن المشـــركين سوى الإقرار بالأمر الواقع الذي تمخض في بدر والاعتراف بسيادة الرسول صلى الله عليه وسلم المطلقة على مجتمع المدينة.

ولابد من الافتراض أيضاً أن الجزء الخاص باليهود في صحيفة المدينة لم يكتب ويقر اليهود بما فيه إلا بعد كتابة صحيفة المدينة بجزئها المتعلق بالمهاجرين والأنصار. وربما تتضح رجاحة هذه الفرضية عند مناقشة كتابة هذا الجزء من الصحيفة. حيث

---

(١) محمد بن جرير الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة: دار المعارف، د. ت، ٢/٤٧٩.

(٢) راجع: حميدالله: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**. الطبعة الرابعة (بيروت:دار النفائس، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م))،ص ص ٦١ - ٦٢، انظر المواد (٢٤-٤٦).

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٨٨.

إن بيعة العقبة الأخيرة وما تضمنته من الشروط، التي ربما كانت مكتوبة، إضافة إلى مـــبدأ المؤاخـــاة الـــذي أقره الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بين المهاجرين والأنصار قد ألغيا الحاجة إلى كتابة وثيقة جديدة حتى حدثت معركة بدر.

لذلـــك فليس من المستبعد أن الأمور بعد معركة بدر قد تغيرت وتشابكت العلاقـــات والمصـــالح بين الفرقاء مما استدعى كتابة صحيفة المدينة بين المهاجرين والأنصـــار لا ســـيما وأن الأنصار أصبحوا منذ الآن طرفاً في المواجهة ضد قريش وغيرهـــا، فقد جاء في رواية عن ابن شهاب الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب هذا الكتاب:

"هـــذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قـــريش وأهـــل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم، فحل معهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحـــدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعاتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وهـــم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين" ثم ذكر حديثاً طويلاً في المعـــاقل [1]. وواضـــح من بعض الاقتباسات الموجودة لدى أبي عبيد في كتاب "الأمـــوال" أن المقصود بهذا الكتاب الذي رواه الزهري هو في واقع الأمر الكتاب نفســـه الـــذي نقلـــه لنا ابن إسحاق وهو الكتاب عينه الذي نقله لنا أبوعبيد عن الزهري أيضاً ولكن بصورة مطابقة تقريباً لما هو موجود عند ابن إسحاق [2].

إن الغرض من الاستشهاد بهذا النص المختصر الذي جاء عند أبي عبيد رواية عـــن الزهـــري هـــو للتدليل فحسب على أن الكتاب الذي كتب بين المهاجرين والأنصـــار هـــو كتاب منفصل تماماً عن الكتاب الذي بين المسلمين واليهود. لهذا

---

(١) أبوعبيد: الأموال، ص ٢١٠ وقارن: ص ص ٢٩١ - ٢٩٥.

(٢) قارن ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٤٧-١٥٠.

يلاحظ أن الزهري في روايته هذه لم يقل إن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بـين المهاجـرين وأهـل يثرب واليهود، بل ذكر أن الأطراف المشتركة فيه هم المهاجـرون مـن قريش، وأهل يثرب من المسلمين لأن الإشارة إلى اليهود جاءت متأخرة وكأنها دعوة لهم للانضمام للمعاهدة مادة (١٦). وجاء أيضاً في رواية عن أنـس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنـس [١]، وليـس هناك أي معنى لهذه المحالفة سوى أن تكون الصحيفة أو الكتاب الذي كتب بينهم والذي التزم فيه كل فريق منهم ماله من حقوق وما عليه من التزامات.

وربما سأل سائل: ما الذي يمنع أن تكون صحيفة المدينة المتعلقة بالمسلمين قد كُتبت قبل يوم بدر؟ ولا شك أن مثل هذا السؤال على قدر من الوجاهة. والإجابة عـنه يمكن التماسها من خلال معرفة وضع الرسول صلى الله عليه وسلم السياسي في المدينة حتى عشية بدر.

قـدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول حسب بعض الروايات [٢]. وبعد سبعة أشهر من قدومه المدينة وفي شـهر رمضان على وجه التحديد بعث أول سرية إلى سيف البحر بقيادة حمزة بن

---

(١) وذكر البخاري قول أنس: " قد حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داري ". انظر: البخاري: الصحيح، ٨٠٣/٢ (حديث: ٢١٧٢)،وابن سعد: الطبقات، ٢٣٨/١-٢٣٩. ويظهر أن هذه المحالفة وثيقة الصلة بالمؤاخاة، فهم إخوة في الإيمان وحلفاء فيما بينهم. راجع الموضع نفسه المذكور عند ابن سعد.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٤٠/٢، الواقدي: المغازي، ٢/١.

عبدالمطلب (ت:٣هـ) لاعتراض عير قريش القادمة من الشام[1]. ثم توالت الغزوات والسرايا حتى بلغت ثماني بين غزوة وسرية خلال سنة وبضعة أشهر من مقدمه المدينة [2]. والملاحظ أن كل هذه التحركات العسكرية ذات الأهداف والجهات المختلفة لم يشترك فيها أحد من الأنصار.

قال الواقدي في تفسيره لذلك: لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بنفسه إلى بدر، وذلك أنه ظن أنهم لا ينصرونه إلا في الدار [3]. أي بمعنى أن الأنصار حين بايعوه بيعة العقبة الأخيرة كانوا يرون حمايته واجبة عليهم إذا دهمه عدو وهو بينهم في المدينة. ووفقاً لفهم الاتفاق على هذا النحو لم يشأ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطلب منهم الاشتراك في غزواته وسراياه التي يوجهها خارج المدينة، وربما لم يعرض عليه الأنصار الاشتراك في تلك الأنشطة. لذلك لو كانت صحيفة المدينة قد كتبت من قبل لأصبح منتظراً من الأنصار الإسهام الفعلي في كل التحركات العسكرية التي سبقت بدراً.

إن الصورة تبدو أكثر وضوحاً عندما نستحضر موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عشية بدر، يقول الخبر: "لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين ،وقال: "هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/٩-١٠، وقارن ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٤١. حيث التقديم والتأخير في الغزوات والسرايا، وانظر كذلك:

Jones, j.m."The Chronology of the Maghazi - A textual Survey" **BSOAS**, vol: XIX (1957) Pp. 245-280.

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ١/٩-١٩، وقارن ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٤١ فهو يقدم غزوة ودّان على سرية حمزة إلى سيف البحر.

(٣) الواقدي :المغازي، ١/١٠، ٤٨.

إليهـــا لعل الله ينفلكموها". فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يلقى حرباً [1].

ثم تقول الرواية: وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر بمسير قريش لتمنع عيرها فاستشار الناس - وأخبرهم عن قريش - ثم ذكر من أشار عليه من أصحابه مـــن المهاجرين. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل يقول: "أشيروا علي أيها الناس" وإنما يريد الأنصار وذلك أهم عدد الناس، وأهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتـــنا، نمـــنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يـــتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليه أن يسير هم إلى عدو من بلادهم[2].

وجـــاء في رواية أخرى:" فلما رأى سعد بن معاذ كثرة استشارة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فيشيرون فيرجع إلى المشورة، قال سعد: لعلك يا رسول الله تخشـــى ألا تكـــون الأنصار يريدون مواساتك ولا يروها حقاً عليهم، إلا بأن يروا عـــدواً في بيوهـــم وأولادهم ونسائهم. وإني أقول عـــن الأنصار وأجيب عنهم يا رسول الله: فأظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت ..." فلما قال سعد ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيروا على اسم الله" [3].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٥٨،و الواقدي: المغازي، ١/٢٠ - ٢١.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٦٦-٢٦٧،والواقدي: المغازي، ١/٤٨-٤٩،والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٢٥، وقارن المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/٧٤.

(٣) عروة بن الزبير: مغازي رسول الله، ص١٣٦، وموسى بن عقبة: المغازي، ص ١٢٨، والواقدي: المغازي ١/٤٨-٤٩.

وجاء في رواية أخرى أنه عندما سمع مقالة سعد، سُر بقوله ، ونشطه ذلك ثم قال: "سـيروا وأبشروا" [1]. وهكذا فلو كانت صحيفة المدينة مكتوبةً قبل بدر لما تثاقل بعض الناس عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجهته، ولو كانت مكـتوبة قـبل بدر لما ألح رسول الله صلى الله عليه وسلم على سماع رأي الأنصار وموقفهـم من الاصطدام مع قريش، ولو كانت الصحيفة مكتوبةً قبل ذاك اليوم لما وجدنـا المؤرخين يشيرون إلى بيعة العقبة ولما رأينا سعد بن معاذ سيد الأوس يشير إليهـا كذلك. ثم جاء القرآن الكريم ليصف الوضع النفسي والموقف المتردد لفريق مـن المؤمنين حذر الصدام مع قريش إذ قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِـالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [2] [الأنفال: ٥-٦].

هذا الموقف النفسي المتردد من قبل بعض المؤمنين يمكن فهمه أنهم إنما خرجوا لاعـتراض العير والفوز بمصادرة تجارة قريش، ولم يكونوا يظنون أبداً أنهم سيلقون حـرباً ويحاربون عدواً، لذلك أطلعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلية الأمـر وهو منازلة قريش لا محالة، فظهرت من فريق منهم بوادر الضعف والخوف والـتردد، لأنهـم كما وصف حالهم الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَـتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[الأنفال:٧].

عـلى كل حال في هذه اللحظات البالغة الخطورة والأهمية بالنسبة إلى النبي صـلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أعلن الأنصار عن موقفهم الجديد من الحرب

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٦٧/٢.

(٢) انظر: ابن كثير: التفسير...، ١٣/٤ - ١٥.

والسلم وأعطوا النبي صلى الله عليه وسلم على لسان أحد زعمائهم سعد بن معاذ كـــامل التفويض في كل ما يتعلق بأمور الحرب والسلم، وإقامة العلاقات أو قطعها مع أي طرف من الأطراف [١].

وهكـــذا لمـــا عاد المسلمون من بدر ظافرين، وهزمت قريش شر هزيمة كان لابـــد مـــن كتاب جديد أو وثيقة جديدة بين أهل المدينة من المسلمين مهاجرين وأنصـــاراً وغيرهـــم، لأن الأحداث المتلاحقة قد تجاوزت بيعة العقبة الثانية، وعلى وجه خاص بعد النصر المؤزر للمسلمين في بدر في السنة الثانية للهجرة [٢].

إن المـــتأمل في صحيفة المدينة يلاحظ بسهولة أنها تتألف من شقين رئيسين: الشـــق الأول: لابد أن يكون الكتاب الذي كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجـــرين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. والكتاب يتألف من ثلاث وعشرين مادة (٢٣) [٣] تتصل مباشرة بالمسلمين من قريش وأهل يـــثرب، وهي الحقوق والواجبات التي على الأطراف الممثلة في الصحيفة احترامها والالتزام التام بها. لقد أقرت الصحيفة المسلمين من قريش وأهل يثرب على عاداتهم وأعرافهم القديمة التي لا تتنافى مع روح الإسلام ومبادئه، كما أقرت مبدأ العقوبات

---

(١) راجع، عروة بن الزبير: مغازي رسول الله، ص١٣٦، وموسى بن عقبـــة: المغازي، ص ١٢٨، وقارن ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٦٧، والواقدي: المغازي، ١/٤٨-٤.

(٢) وقعت هذه الغزوة في السابع عشر من رمضان على الأرجح في السنة الثانية للهجرة، بين المسلمين والمشركين من أهل مكة. وقد نصر الله فيها المسلمين نصراً مؤزراً، وهزمت فيها قريش هزيمة ماحقة. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٥٧-٣٢٠، والواقدي: المغازي، ١/١٩-١٧٢،والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٢١-٤٧٩.

(٣) انظر: حميدالله: الوثائق السياسية، ص ٥٩-٦١.

والديـــات وعقود الصلح والحرب، وشددت على الجوار وحرمته، وأعلنت الموقف الحـــازم من قريش، فقد جاء في المادة (٢٠ب) أنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفســـاً، ولا يحول دونه على مؤمن[١].ويظهر من هذا النص أن المشركين من أهل المدينة أصبحوا طرفاً في هذه الصحيفة.

أمـــا المـــادة (١٦) فهي دعوة لليهود للـــدخول في معاهدة شاملة وتشترط لهم- إن فعلوا ذلك النصر- والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم [٢]. أما المادة (٢٣) فهي بالغة الأهمية والخطورة من حيث تأكيدها على أن أي خلاف ينشأ بين أهل الصحيفة يجب الرجوع فيـــه إلى الله وإلى محمد [٣].

وهـــنا نلاحظ أنه ربما أول مرة في تاريخ العرب يكون لهم فيه سلطة مركزية ومـــرجعية يجب عدم الخروج عليها أو تجاوزها في أي خلاف يشجر بين الأطراف المشتركة في الصحيفة.

إن التسلســـل المـــنطقي للأحداث المتمثل أولاً بالتغير الإيجابي لموقف الأوس والخزرج من صراع النبي صلى الله عليه وسلم مع خصومه من قريش وقبولهم أخيراً أن يصبحوا طرفاً في ذلك الصراع المسلح المكشوف، وما نتج منه من نصر حاسم للمسلمين على قريش، وما أعقب ذلك من كتابة الصحيفة التي حرصت على إبراز بعض المفاهيم الجديدة مثل: الغزو والجهاد والاعتراف فيه بالسلطة العليا للنبي محمد صـــلى الله عليه وسلم، وأنه هو المرجع في تقرير السياسة العليا للمدينة، إضافة إلى

---

(١) حميد الله: الوثائق السياسية، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص٦١.

توجيـــه الدعوة لليهود للدخول في السلم. أقول: لابد أن هذه التطورات الإيجابية المتلاحقة قد عززت المركز السياسي للرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة. فهذه الصـــلاحيات الدينية والسياسية التي اعترف بها المجتمع المدني للرسول كان لها الأثر الكـــبير في اضـــطرار اليهـــود إلى الدخـــول مع المسلمين في معاهدة شاملة تلغي المعاهدات أو الاتفاقات المنفردة التي لا يستبعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقدهـــا مع قبائل يثرب اليهودية المشهورة: قينقاع والنضير وقريظة إبان الفترة التي سبقت معركة بدر.

وفي هـــذا الســـياق رب سائل يســـأل مستغرباً كيف أصبح بالإمكان جمع القـــبائل اليهودية وبعض الجماعات اليهودية الصغيرة في اتفاقية واحدة بينهم وبين المســـلمين بيـــنما سبق القول بصعوبة مثل هذا العمل في الفترة التي سبقت معركة بدر؟!

إن تسويغ ما حدث لا يخلو من صعوبة، وإن كان في الواقع ما هـــو إلا ثمرة طبيعية من ثمار معركة بدر. فإن انتصار المسلمين في بدر قد أوجد واقعاً جديداً في المديـــنة، وأصبح لزاماً على جميع الأطراف التعايش مع هذا الواقع، ألا وهو بروز قطب جديد على المسرح السياسي في شبه الجزيرة العربية، وبالذات في المدينة، أي ميلاد دولة الإسلام، وعلى رأسها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى اهـــتزاز مركز مكة السياسي، الذي ربما كان لـــه أثر في ضعف المقاومة اليهودية للرســـول صـــلى الله عـــليه وسلم في المدينة. أمام هذا كله كان لابد لليهود من الدخول في السلم والاعتراف بسلطة محمد الرسول السياسية في المدينة. فقد جاء في رواية عن محمد بن كعب القرظي قوله:

"لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وادعته اليهود كلها، وكتب بيـــنه وبينها كتاباً، وألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفائهم وجعل

بينه وبينهم أماناً، وشرط عليهم شروطاً، فكان فيما شرط ألا يظاهروا عليه عدواً" (١).

يلاحظ في هذه الرواية أن ابن كعب القرظي لم يحدد تاريخ الموادعة هل كانت بمجرد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أم بعد يوم بدر ؟ والذي يترجح للباحث من سياق الأحداث أن المعاهدة الشاملة مع اليهود كانت بعد بدر، وربما بعد الكتاب الذي كتب بين المهاجرين والأنصار بوقت قصير، كما ذُكر سابقاً.

إن الأمر الجدير بالاهتمام في رواية ابن كعب قوله: "وألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفائهم" يظهر أن السر في نجاح النبي صلى الله عليه وسلم في معاهدته مع اليهود أنه في هذه المرحلة (أي مرحلة ما بعد بدر) لم يعقد معهم معاهدات فردية على غرار ما حدث قبل بدر. ولكن تمت هذه المعاهدة مع الجماعات اليهودية من خلال حلفائهم من العرب الأوس والخزرج، وذلك أدعى لضمان احترام المعاهدة، فكأن الأوس والخزرج أصبحوا من خلال المعاهدة كفلاء على حلفائهم من يهود. ومن المعروف أن قريظة والنضير كانوا حلفاء الأوس بينما كان بنو قينقاع حلفاء الخزرج (٢). وليس من المستبعد أن للأوس والخزرج دوراً

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٧٦.

(٢) ينبغي التذكير هنا أن بني قينقاع لم يكونوا طرفاً في المعاهدة الشاملة التي أصبح يهود المدينة طرفاً فيها؛ لأن ذلك حدث بعد بدر، حسبما نظن، بينما المعروف أن بني قينقاع قد أُجلوا من المدينة بعد معركة بدر بيسير. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٥٠-٥٢، والواقدي: المغازي، ١/١٧٦-١٨٠، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٧٩-٤٨٣.

فــاعلاً في التأثير في اليهود بصفتهم حلفاءهم للدخول في المعاهدة التي أبرمت بين اليهود والمسلمين.

وإذا جــاز قبول الفرضية القائلة: إن المعاهدة الشاملة مع اليهود، كانت بعد معركة بدر لا قبلها، فإنه من غير السهل تحديد الشهر واليوم الذي أبرمت فيه تلك المعاهدة، غير أنها كتبت بعد بدر وقبل أحد. وهذا وقت طويل قد لا تحتمله العلاقة المتوترة بين الفريقين خاصة بعد إجلاء يهود بني قينقاع. لذلك فلابد من الاستئناس ببعض الروايات التي قد تعين على معرفة الشهر الذي كتبت فيه المعاهدة العامة بين المســلمين ويهــود المدينة. فقد ذكر الواقدي أنه في صبيحة اليوم الذي اغتيل فيه كعب بن الأشرف، فزعت اليهود ومن معها من المشركين، فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبحوا فقالوا: قد طرق صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا، قــتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنه لوقرَّ كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ...." ودعاهم رسول الله صلى الله عــليه وســلم إلى أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً تحت العذق في دار رملة بنت الحارث [1].

وســاق أبو داود السجستاني رواية عن ابن كعب بن مالك عن أبيــه عن حادثــة قتل كعب بن الأشرف، جاء فيها: فلما قتلوه، فزعت اليهود والمشركون فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: طرق صاحبنا، فقتل، فذكر لهم النبي صــلى الله عليه وسلم الذي كان يقول، ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يكــتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبيــنهم وبــين المسلمين عامة صحيفة [2]. ويجب هنا ملاحظة قوله: "بينه وبينهم

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٩٢، والمقصود بالعذق هنا النخلة.

(٢) أبوداود: السنن، ٢/١٧٠.

وبين المسلمين عامة صحيفة" حيث لم يقل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود.

وذكر ابن شبة الرواية السابقة نفسها المتصلة بقتل كعب بن الأشرف وفيها اختلاف طفيف، وهو قوله: ودعاهم (أي الرسول) إلى أن تُكتب بينهم وبينه وبين المسلمين صحيفة فيها جُماع أمر الناس، فكتبها، صلى الله عليه وسلم [1].

كما يلاحظ القارئ أن الروايات الثلاث جاءت بثلاث صيغ مختلفة عن الكتاب الذي كُتب بين الرسول واليهود وأحلافهم من المشركين. فجاء في الرواية الأولى: فكتبوا بينهم وبينه كتاباً. وجاء في الرواية الثانية: فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة. وجاء في الرواية الثالثة صحيفة فيها جُمَّاع أمر الناس.

لذلك فإنه من خلال هذه الصيغ المختلفة لرواية، ربما كانت في الأصل واحدة، يستطيع المرء استنتاج أن المقصود بالصحيفة أو الكتاب، هو المعاهدة الشاملة مع اليهود، وليس من المستبعد أن المقصود باليهود هنا، عموم يهود المدينة دون استثناء، لأن الروايات لم تذكر جماعة معينة. بل يمكن التوسع في التفاصيل أكثر من ذلك، فنقول إن الصحيفة قد كتبت في دار رملة بنت الحارث. وأنها كتبت في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة، وذلك بعد مقتل كعب ابن الأشرف مباشرة [2]، وبعد مضي سبعة أشهر على معركة بدر.

---

(١) عمر بن شبة النميري: **تاريخ المدينة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت (د.ت.ن) ٤٦١/٢.

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ١٨٤/١. وقارن ابن سعد حيث ذكر تاريخ الحادثة وهو الرابع عشر من ربيع الأول، ٣١/٢. ويوجد تضارب في تحديد الوقت الذي قتل فيه كعب بن الأشرف وغزوة ذي أمر. راجع الواقدي: المغازي، ١٨٤/١-١٩٣، وانظر أيضاً Jones, **The Chronology of the Maghazi**. Pp. 262

وغـــني عن القول بعد هذا كله أنه بمجرد النظر إلى صحيفة المدينة يتبين أنها تـــتألف مـــن جزأين، أو بالأحرى صحيفتين: أولاهما المتصلة بالمهاجرين والأنصار ومن تبعهم، وقد سبقت مناقشتها. والصحيفة الثانية تتألف من أربع وعشرين مادة (٢٤-٤٧)[1] كلها تتعلق تقريباً باليهود، وسيناقش بعضها هنا:

المـــادة (٢٤) تشـــترط على اليهود أن ينفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأظـــن أنـــه يمكن قراءتها محاربين [بفتح الراء] بدلاً من محاربين [بكسر الراء]، أي بمعـــنى أنـــه يتوجب على اليهود الإنفاق مع المسلمين إذا تعرضت المدينة لعدوان خارجي، وهذا شرط في غاية العدل، ولا يغلب على الظن أن اليهود ترضى بتمويل الحروب التي يشنها المسلمون خارج المدينة.

والمـــادة (٢٥) تقـــول: "إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم..." ويظهر أن المقصود بالأمة هنا أنهم أمة لها حقوقهـــا، وتعيش مع أمة المسلمين، ولكن لأبي عبيد في كتاب الأموال رأي آخر عـــن مفهـــوم الأمة، قال: "وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين" إنما أراد نصرهم المؤمـــنين ومعاونـــتهم إياهم على عدوهم بالنفقة التي شرطها عليهم..."[2] ثم إن الفقـــرة الثانية من المادة نفسها (٢٥) تعترف لليهود بديانتهم. ويمكن الإشارة هنا إلى أن صحيفة المدينة ربما تعد أول دستور أقر بحرية الأديان. وقد ناقش هذه الفقرة داني فـــردريك Denny Frederick، وفهـــم منها أن اليهـــود يشكلون أمة داخـــل

---

(١) انظر : حميد الله: الوثائق السياسية، ص ٦١-٦٢.

(٢) أبوعبيد: الأموال، انظر: هامش ص٢٩٤ وقد خالفه ابن الأثير في ما ذهب إليه، وقال "إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين" يريد أنهم بالصلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم. كلمتهم وأيديهم واحدة. "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ١/٦٨.

الأمة، ولهم دينهم الخاص [١]. ولكن مما يدعو للدهشة أن أحد الباحثين يقرأ النص المتعلق بالحرية الدينية لليهود بصورة متعسفة، فيقول: إن كلمة دين Din يجب أن تعد دين Dayn، لأنه إذا كان المقصود بكلمة دين Din أي "Religion" فإن العبارة تعدّ غير صحيحة لا منطقياً ولا نحوياً. ولا يبدو أن هذه العبارة إعلان عن التسامح الديني، ولكنها تؤكد مسؤولية المسلمين ومواليهم من اليهود فيما يتعلق بالديون المالية [٢]. ولكن صاحب هذا الرأي لم يبين وجه الخلل اللغوي والمنطقي في عبارة "لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم"!

والمادة (٣٦) تقول: وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ربما كان المقصود بالضمير "هم" هو اليهود، وكلمة لا يخرج غير واضحة، فهل المقصود أنه لا يخرج أحد من اليهود خارج المدينة لأي سبب من الأسباب إلا بإذن رسول الله أم أن المقصود بالخروج الخروج للحرب؟ لقد رجح بعض الباحثين هذا الرأي فقال: كما منع البند (٣٦) اليهود من الخروج من المدينة إلا بعد استئذان الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا القيد على تحركاتهم قد يستهدف بالدرجة الأولى منعهم من القيام بنشاط عسكري في حروب القبائل خارج المدينة مما يؤثر على أمن المدينة واقتصادها"[٣]. وفهم باحث آخر هذه المادة المتعلقة بالخروج أن المقصود بها

---

(١) Frederick M. Denny, "Ummah in the Constitution of Medina" **JNES**, vol,36 (January 1977)(Pp. 39-47) esp. P.44.

(٢) Gil, M.: **"The Constitution of Medina"** P. 63.

(٣) انظر: صالح أحمد العلي: **دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولى** (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤١٠/١٩٨٩م) ص٨٢، والعمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، ٢٩٠/١-٢٩١، وقارن كذلك: M. Watt: Muhammad at Medina, P. 224

الانفصـــال ومَثّلَ عـــلى ذلك بالخوارج الذين انفصلوا عن علي بن أبي طالب [1]. ولاشـــك أن هذا التفسير الأخير ظاهر التكلف، مع ملاحظة أن التفسير الأول لا يخلو من إشكال.

أمـــا المـــادة (٣٧) فقد جاء فيها: "إن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ..." وهي تأكيد على مبدأ المؤازرة والنصرة بين الطرفين مسلمين ويهود ضد كل من أراد شراً بأهل هذه الصحيفة، وعلى كل فريق منهم تحمل النفقة في ذلك.

والمـــادة (٣٨) تكـــرار للمادة رقم (٢٤) من المعاهدة وهي نفقة اليهود مع المؤمنين ما داموا محاربين..

أما المادة (٣٩) فلا شك أنها ذات أهمية خاصة لأنها تتعلق بتحريم المدينة أي وضع حدود جغرافية لها يحرم فيها القتال وقطع الشجر وذعر الطير أو الحيوان "وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة" [2].

ويلاحـــظ أن الســـمهودي الذي أطنب في الحديث عن حرم المدينة وخصه بســـتة فصول، ذكر رواية لابن حجر العسقلاني مفادها أن تحريم المدينة كان بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر [3].

---

(١) Serjeant, R. B. "The Sunnah Jami'ah, " BSOAS, XVII, (1978) Pp.1-142.

(٢) انظر: حميد الله: الوثائق السياسية، ص ٦٢، وانظر كذلك الأحاديث الواردة في حرم المدينة عند البخاري، الصحيح، حديث: ٢/١٧٦٨، ١٧٧٠، ١٧٧١، مسلم، صحيح مسلم، ٢/٩٩١ ٩٩٥. (الأحاديث: ٤٥٤ - ٤٦٧)، السمهودي: وفـــاء الوفاء، ١/ ٨٩ -١١٧.

(٣) انظر: السمهودي: وفاء الوفاء، ١/١٠٩.

ولكن يجب ملاحظة أن كلاً من ابن حجر والسمهودي متأخر، وقد سبقهما الواقدي في الإشارة إلى إعلان تحريم المدينة، وربط بين ذلك الحدث وبين غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، حيث قال: فبعد أن استعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة ورد الصغار منهم وهو في طريقه إلى بدر، صلى عند بيوت السقيا، ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال: "اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة، وإني محمد عبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم وحبب إلينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بخم، اللهم إني قد حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة" [١].

وهكذا يتبين أن إشهار حرم المدينة كان في وقت مبكر نسبياً إذا جاز لنا الربط بينه وبين المسير إلى بدر أي بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بتسعة عشر شهراً تقريباً. وهذا التاريخ المبكر يتناقض تماماً مع ما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين، فمثلاً، يرى سارجنت R.B. Serjeant أن اخفاق الأحزاب في اقتحام المدينة أي في نهاية السنة الخامسة للهجرة كان أفضل مناسبة لإعلان حرم المدينة وقدسيتها [٢]. ثم يعود في بحث آخر ليقول يجب أن يكون تحريم المدينة وقع بعد معاهدة الحديبية - التي حدثت في نهاية السنة السادسة للهجرة تقريباً - ويربط ذلك بالفقرة الثالثة من وثيقة (F) التي وضعها حسب تصنيفه لصحيفة المدينة، وهذه الفقرة تقول:

"وإنه لا تجار حُرمة إلا بإذن أهلها" وهذه الجملة على كل حال لا تخلو من إشكال حيث إن سارجنت وغيره من الباحثين يرون أن المقصود بالحرمة هنا

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/٢١ -٢٢، وقارن: المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/٦٢-٦٣، السمهودي: وفاء الوفاء، ٢/٨٤٣-٨٤٤.

(٢) Serjeant, R. B "The Constitution of Medina"IQ,8 (1964)p.10.

"المـــرأة" ثم يمضـــي سارجنت في مناقشته لعبارة لا تُجار حرمة، أي -امرأة- (١) حســـب فهمه إلا بإذن أهلها ويربط بينها وبين الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيـــنَ ءَامَـــنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ثم يعـــود ليربـــط بين هذه الآية وبين معاهدة الحديبية. وكذلك فإن بركات أحمـــد، وهو من الذين درسوا علاقة النبي صلى الله عليه وسلم باليهود بعناية يكاد يتفق مع ما قرره سارجنت، فيقرر أن حرم المدينة لم يعلن عنه إلا بعد السنة السابعة للهجرة (٢). ولكن من الجدير بالملاحظة هنا أنه يبدو أن كلاً من سارجنت وأحمد لم يطلع على ما جاء عند الواقدي والمقريزي بشأن وقت إعلان حرم المدينة المبكر

---

(١) Serjeant, R. B. "The Sunnah Jami'ah, ." P. 34.

الغريب أن مفهوم "الحرمة" بمعنى المرأة ليس مقتصراً على سارجنت وحده بل نجده لدى الكثيرين ممن ناقشوا صحيفة المدينة. انظر على سبيل المثال فلهاوزن وواط وغيوم وجل في الحاشية أدناه .

"Muhammad's Constitution", P. 131. =

M. Watt, Muhammad At Medina, P. 224.

A. Guillaume, **The life of Muhammad.** (London: Oxford Univ. Press, 1978) P. 233.

M. Gil, "The Constitution of Medina" P. 57.

وليس لدينا في معاجم اللغة ما يفيد بأن الحرمة تعني المرأة، لأن مصطلح الحرمة بمعنى المرأة لم يصبح شائعاً إلا منذ وقت قريب نسبياً. لهذا فقد حاول حميد الله تفسير معنى: "ألا تجار حرمة إلا بإذن أهلها" بقوله: "أظن أن المراد بالحرمة هنا حرمة الجوار، فلا يجوز إعطاء الجوار إلا لأهل قوم أو بإذنهم فلا يجير الجار مستجيراً إلا بإذن مجيره، وفي القرآن "وهو يجير ولا يجار عليه" حميد الله: الوثائق السياسية، ص ص ٥٩٤، وقد تابعه في هذا التفسير محمد سليم العوا. **في النظام السياسي في الدولة الإسلامية.** (القاهرة: المكتب المصري الحديث ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص٣١. ولا يزال هذا التفسير في نظري غير مقنع.

(٢) Ahmad, B., Muhammad and the Jews, P. 46.

لم يطلع على ما جاء عند الواقدي والمقريزي بشأن وقت إعلان حرم المدينة المبكر الـــذي سبقت الإشارة إليه! ولا شك أن المقصود من حرم المدينة هو تحديد منطقة جغـــرافية تمـــنع فيها الحروب والقتال بين القبائل والعشائر،وتثبت السلم في المدينة؛ وبذلك وضع النبي حداً لأقوى عامل في خلق القلق والاضطراب وما يجر من أمور(1).

ونصـــت المـــادة (٤٢) "وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم " وتظهـــر أهميـــة هذه المادة باعتراف اليهود وهم أحد الأطراف في هذه الصحيفة بسلطة النبي صلى الله عليه وسلم وأن أي خلاف ينشب بينهم وبين المسلمين يجب أن يرجعوا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ملاحظة أن اليهود من خلال هذه المادة كذلك اعترفوا ضمنياً بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

"وبهذه المادة أوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سلطة قضائية عامة تسري عـــلى الجميع، وهي مركزية ترجع إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي مصطبغة بصبغة قدسية، ولها قوة تنفيذية؛ لأن أوامر الله واجبة الطاعة وملزمة التنفيذ، كما أن أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم هي من الله وطاعتها واجبة" (2).

واستثنت المادة (٤٣) قريشاً ومن نصرها من حق الجوار "وأنه لا تجار قريش ولا مـــن نصرها" وهكذا تحددت سياسة المدينة إزاء قريش وحلفائها بسبب حالة العداء السائدة بين الطرفين حينذاك (3).

---

(١) العلي: دراسات، ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق ، ص٨٠.

(٣) درادكة: العلاقات العربية، ص٢٧٦.

وهـــذه المادة أيضاً قطعت الطريق على أي تحالفات يمكن أن تقوم بين قريش واليهـــود، ونتـــيجة لذلك فقد حرمت قريش من حلفاء لها في يثرب يمكن التعويل عليهم في خضم الصراع مع دولة الإسلام الناشئة في المدينة.

أما آخر مادة في هذه الوثيقة لها أهميتها فيما نحن بصدده فهي المادة (٤) التي نصـــت على الدفاع المشترك عن المدينة، وأن على كل فريق أن يقوم بما يخصه، أي أن الدفاع عن المدينة أصبح مسؤولية مشتركة بين المسلمين واليهود.

ورب ســائل يســأل بعـــد هذه المناقشة لبعض بنود صحيفة المدينة المتعلقة بـــاليهود قـــائلاً: ثم ماذا؟ وما الأهمية التي أظهرتها مناقشة تلك البنود؟ ونقول: إن الاعـــتراف بـــاليهود أمة إلى جانب الأمة الإسلامية في مجتمع المسلمين،والاعتراف بحريـــتهم الديـــنية، وإلـــزام اليهود بالنفقة إلى جانب المسلمين في حال أي عدوان خـــارجي تتعرض لـــه المدينة، وفرض القيود على تحركات اليهود خارج المدينة إلا بإذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإعلان حرمة المدينة بتحديد منطقة جغرافية لا يجوز القتال فيها ولا قطع الشجر، ولا ذعر الحيوان والطير، إضافة إلى إقرار اليهود بالمـــرجعية العـــليا للنبي صلى الله عليه وسلم في كل خلاف ينشب بين الأطراف المشتركة في الصحيفة. أقول: إن كل هذه المكاسب لم يكن من الممكن تحقيقها قبل معركة بدر التي انتهت لمصلحة المسلمين.

لذلك فإن من الملاحظ أن المسلمين في الصحيفة يمثلون جانب القوة بالنسبة إلى الشـــروط التي قبلها اليهود، ولم يكن لليهود أن يقبلوا بالتبعية لدولة الإسلام أو الاعتراف بالسلطة العليا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لو لم يتحقق النصر العظيم للمســـلمين في بـــــدر. ولو لم يمنح المسلمون في المدينة- وعلى وجه الخصوص الأنصـــار- الأوس والخزرج الرسول صلى الله عليه وسلم ثقتهم المطلقة من خلال

الكـــتاب الذي كتب بين المهاجرين والأنصار، والذي لا يستبعد أن يكون كتب أولاً، أقـــول لـــولا ذلك كله لما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من إقناع اليهود بالانضمام إلى السلام الشامل من خلال صحيفة المدينة.

٣ – الأمة ويهود الصحيفة :

أما الإشكالية الأخرى المتعلقة بصحيفة المدينة فهي الوضع السياسي والقانوني لـــليهود في الصحيفة، وعلاقتهم بالأمة، إذ لا يزال الجدل بين المؤرخين قائماً حول هـــل كـــانت الصحيفة التي كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة تشـــمل يهـــود المدينة جميعهم أم أنها اقتصرت على البعض منهم مثل يهود بعض القبائل العربية؟ وسيشار هنا إلى بعض النصوص التي قد تُمَكّن من معرفة هل كانت هـــذه النصوص تشمل جميع اليهود الموجودين في المدينة آنذاك أم أنها مقتصرة على بعضـــهم. إن فهم هذه الإشكالية قد يعين الباحث على فهم موقف الرسول صلى الله عـــليه وســـلم من يهود المدينة وما ترتب عليه من نتائج بعيدة الأثر بالنسبة إلى اليهود وإلى الدولة الإسلامية الناشئة.

إن أقدم النصوص التي يمكن التعويل عليها بهذا الخصوص ما نقله أبو عبيد في كتاب الأموال رواية عن ابن شهاب الزهري أنه قال "بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب: " هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم فحل معهم وجاهد معهم: إنهم أمة دون الناس.. الخ "[1].

---

(١) انظر: أبو عبيدة، الأموال، ٢٩١-٢٩٤. أورد المؤلف نص الصحيفة كاملاً وقد توج نص الرواية بعنوان من وضعه أي ليس ضمن رواية ابن شهاب الزهري، جاء على هذا النحو: (هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين وأهل يثرب) (وموادعته يهودها، مقدمه المدينة).

ووجد نص الصحيفة كاملاً لدى ابن إسحاق، ولكن دون إسناد، ولا يختلف بشيء عما جاء في رواية الزهري التي ذكرها أبو عبيد إلا في بعض الفروق الطفيفة التي ربما يكون مرجعها إلى أخطاء النساخ. جاء في أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم، هـــذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويـــثرب ومـــن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس.. إلخ"[1].

عـــلى كل إذا أغفلنا تعليقات رواة الصحيفة مثل أبي عبيد،وابن إسحاق فإنه من الواضح أن الجزء الأول من صحيفة المدينة لا يشمل اليهود، وإنما يتصل بتنظيم العلاقة بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم وجاهد معهم. ومن المستبعد كذلك أن عـــبارة " لحق بهم وجاهد معهم " تشمل اليهود؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان في طريقة إلى بدر في السنة الثانية للهجرة، قال: " لا يخرجن معنا رجـــل ليس على ديننا " كما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه إلى أحـــد في الســـنة الثالثة للهجرة، رد جماعة من اليهود، وقال: " لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك "[2].

لذلـــك فإنه من غير الضروري هنا مناقشة مدى صحة الصحيفة من عدمه،

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٤٧/٢-١٥٠. ويلاحظ كذلك أن ابن إسحاق قدم لنص الصحيفة بالعبارة التالية: " وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم".وواضح من هذه العبارة أنها جملة تفسيرية وضعها ابن إسحاق احتهاداً من عنده وليست جزءاً من الصحيفة. راجع المصادر الكثيرة التي تحتوى على بعض مواد الصحيفة عند محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية، ص ص ٥٧ — ٦٤.

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ٤٧/١، ٢١٥ — ٢١٦.

فقـــد ناقشـــها بعض كبار المستشرقين من المهتمين بأمرها، وأقروا بصحتها[1]. وقد انحصـــرت مناقشاتهم في هل كتبت الصحيفة في وقت واحد أم في عدة مناسبات ؟ وهل هي صحيفة واحدة أم عدة صحائف ؟ وهل كتبت قبل بدر أم بعدها ؟ وهل تُعـــدُ قبائل اليهود الثلاث طرفاً فيها أم لا ؟ يذهب فنسنك A. J. Wensinck، وهو مـــن المهتمين بأمر العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة، إلى أن صحيفة المدينة قد كتبت على أبعد تقدير في منتصف السنة الثانية للهجرة، أي قبل معركة بدر[2]، ويوافقه كذلك فلهاوزن J. Wellhausen إذ يرى أن تاريخ الصحيفة يعود إلى ما قبل بدر؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب رأيه بعد معركة بدر تحدث بلغة مختلفة لكل الأطراف وعلى وجه خاص نحو اليهود [3].

أمـــا السؤال هل كانت الصحيفة، صحيفة واحدة أم أنها أكثر من صحيفة؟ وهـــل كتـــبت في مناسبة واحدة أم في عدة مناسبات ؟ فإنه ليس بالإمكان إعطاء إجابة مقنعة في هذا الأمر. فقد ناقـــش مونتجمـــري واط M. Watt بنود صحيفة

---

(١) انظـــر : W. Montgomery Watt, **Muhammad at Medina** (Oxford at the Chlarendon Press, (1977) Pp.225.228;

" The Constitution of Medina, "R. B. Serjeant, **IQ**, 8 (1964) Pp. 3 - 16 ; The Sunnah Jamiah , Pacts with the Yathrib Jews and the Tahrim of Yathrib "Analysis and translation of the documents Comprised in the so called " The Constitution of Medina," BSOAS, XVII, (1978) Pp. 1 -42 ; Moshe Gil," The constitution of Medina " **IOS**, 4 (1974) Pp. 44-65.

وانظر كذلك رأي أكرم ضياء العُمري في مدى صحة الوثيقة في: السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة الأولى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـــ) ١/٢٧٤ – ٢٨١، ومهدي رزق الله أحمد : **السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية**، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـــ/١٩٩٢م، ص: ٣٠٦-٣١٨.

(٢) Wensinck, muhammad and the Jews, P.71.

(٣) Ibid., P.134.

المدينة ولم يصل إلى نتائج حاسمة للإجابة عن الأسئلة السابقة، لكنه يفترض أن تلك الصحيفة مجموعة بنود يعود أقدمها إلى بيعة العقبة الثانية، ثم أضيفت إليها بنود أخرى كلما دعت الحاجة[1]. ولا يختلف كثيراً عن هذا الرأي ما ذهب إليه سارجنت R. B. Sarjeant، فهو يرى أن الصحيفة تتألف من ثماني معاهدات منفصلة يعود أقدمها إلى السنة الأولى من الهجرة وآخرها أضيف في السنة السابعة للهجرة[2]. ولكن من الواضح أن سارجنت لا يشير غالباً إلى الأطراف المشتركة في كل وثيقة أو معاهدة، واعتمد في تقسيمه لها ثماني معاهدات على نهاية الجمل أو المقاطع في الصحيفة[3]. ويظهر أن عون الشريف قاسم هو الآخر يميل إلى أن صحيفة المدينة هي "مجموعة من المعاهدات عقدت في فترات مختلفة بين الأطراف المذكورة، تشمل أحياناً فقرات متشابهة، ثم ضمت إلى بعضها في فترة متأخرة وجمعت في وثيقة واحدة تقوم الفقرات المكررة فيها شاهداً على تعدد النصوص الأصلي"[4]. وهو هنا لا يحدد تاريخاً بعينه لهذه المعاهدات المختلفة حسب رأيه. أما العُمري - وهو في ظني آخر من ناقشوا أمر صحيفة المدينة - فقد ترجح لديه أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، ثم جمع المؤرخون بينهما: إحداهما تتعلق بموادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار

---

(١) Watt. M.Muhammad At Medina, PP.227-228.

(٢) Serjeant, R.B "Sunnah Jami<ah, Pacts with the Yathrib" Pp. 5 - 9

(٣) انظر كذلك :

Al -Tayib Zein al-Abdin, "The Political Significance of the constitution of Medina," **in Arabian and Islamic studies**, (London and New York) Pp. 146-152 esp. P.152

(٤) انظر: عون الشريف قاسم: **نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٢٦.

وحقوقهم وواجباهم[1].

ويـــرى كذلـــك أن وثيقة موادعة اليهود كتبت قبل موقعة بدر الكبرى أما الوثيقة بين المهاجرين والأنصار فكتبت بعد بدر[2].

ويكاد يتفق بركات أحمد Barakat Ahmed مع العُمري في رأيه- وعلى وجه الخصـــوص في الجـــزء المتعلق بالمسلمين من الصحيفة- إذ قال: إنه من المهم جداً ملاحظـــة أنـــه لا الرســـول صلى الله عليه وسلم، ولا سعد بن معاذ قد أشارا إلى الصـــحيفة في أثـــناء الاســـتعداد لمعـــركة بدر التي حدثت في الأشهر الأخيرة من الســـنة الثانية للهجرة[3].ولا شك أن هذه الملاحظة على قدر من الوجاهة، لذلك فهـــو يـــرى أن الصحيفة قد كتبت بعد إجلاء بني قريظة[4]،أي ربما في نهاية السنة الخامسة للهجرة؛ وهذا رأي لا تنقصه الجرأة.

ولنـــترك الآن محاولة الإجابة عن تلك الأسئلة إلى مرحلة لاحقة، ونعود إلى السؤال الأهم والأكثر إلحاحاً وهو: من هم اليهود الذين تضمنتهم الصحيفة؟ ومتى كانت كتابتها ؟

سبقت الإشارة إلى أن ابن إسحاق في تقديمه لصحيفة المدينة ذكر أن الرسول صـــلى الله عـــليه وســـلم "كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود

---

(١) أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/٢٧٦-٢٧. وانظر: درادكة: العلاقات العربية اليهودية، ص ٢٦٩.

(٢) العُمري: المرجع السابق، ١/٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) Ahmad , B.: Muhammad and the Jews, P. 35.

(٤) Ahmad , B.: Ibid., P. 40.

وعـــاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم"[1]. إلا أن الواقـــدي (ت: ٢٠٦هـــ) كان أكثر جزماً وأكثر وضوحاً عندما تناول أمر اليهود ومعاهدة النبي إياهم، ففي سنده عن ابن كعب القرظي[2]، قال: "لما قدم رسول الله صـــلى الله عـــليه وسلم إلى المدينة وادعته اليهود كلها، وكتب بينه وبينهم كتاباً. وألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفائهم، وجعل بينه وبينهم أماناً، وشـــرط عليهم شروطاً، فكان مما شرط ألا يظاهروا عليه عدواً "[3]. كما جاء في روايـــة أخرى للواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير ومن بالمدينة من اليهود ألا يكونوا معه ولا عليه، ويقال: صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه منهم، ويقيموا على معاقلهم الأولى التي بين الأوس والخزرج[4].

وجـــاء عـــند البلاذري (ت: ٢٧٩هـــ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتاباً، وعاهدهم عهداً[5]. أما الطبري

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٤٧/٢.

(٢) ابن كعب القرظي: هو محمد بن كعب بن سليم، أبو عبد الله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، كان من أعلم الناس بالتفسير، وتوفي بالربذة في عام ١٠٨هـــ، ابن ثماني وسبعين سنة. انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٦٥/٥-٦٨، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرين، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة ١٤١٧هـــ: ١٩٩٦م) ٢٥١/٥-٢٥٢.

(٣) الواقدي: المغازي، ٤٥٤/٢.

(٤) المرجع السابق، ١٧٦/٢.

(٥) أحمد بن يحيى البلاذري: **أنساب الأشراف**، تحـــقيق محمد حميد الله، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار المعارف، د: ت) ٣٠٨/١، وقارن أيضاً **فتوح البلدان** للبلاذري، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـــ: ١٩٨٧م) ص ص ٢٦ - ٢٧، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق عزيز بك وآخرين، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م) ص ٢٠٩.

فقـــد ذكـــر أن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم كان وادع حين قدم المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحداً، وأنه إن دهمه بها عدو نصروه[1].

واضـــح من هذه النصوص أن ليس فيها سوى الإشارة مرة واحدة لقبيلتين مـــن اليهود هما: قريظة والنضير، وليس فيها ما يفيد عن وقت كتابة الصحيفة أو الكتاب.

وربما ساعد رأي أبي عُبيد القاسم بن سلام على فهم جزء من هذا الإشكال. فهـــو عندما أورد نص الصحيفة علق على ذلك بقوله: "وإنما كان هذا الكتاب – فـــيما نـــرى – حدثان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب، وكانوا ثلاث فرق: بنو القينقاع والنضير وقريظة[2].

واضـــح أن أبـــا عـــبيد يرى أن تاريخ كتابة المعاهدة مع اليهود كان بمجرد وصـــول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، أي قبل معركة بدر وأحداثها، وهو يقـــرر كذلك أن المقصود باليهود في المعاهدة، هم القبائل الثلاث بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. وهذا الرأي يحتاج إلى تأمل.

ويلاحـــظ أن بعـــض المتأخـــرين مـــن كتاب السيرة، مثل ابن كثير (ت: ٧٧٤هـــ) والسمهودي (ت: ٩١١هـــ) وكذلك الحلبي (ت: ١٠٤٤هـــ) يميلون إلى ما ذهب إليه أبو عُبيد في التأكيد على أن اليهود الذين وادعهم رسول الله صلى

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٩/٢.

(٢) أبو عُبيد: الأموال، ص ٢٩٥.

الله عليه وسلم وعاهدهم هم القبائل الثلاث المشهورة[1]. ولكن إذا عُدنا إلى قراءة مواد صحيفة المدينة التي وردت لدى ابن إسحاق وابن سلام، وخاصة المواد المتعلقة بـــاليهود نجد أنها لا تأتي على ذكر أي من القبائل الثلاث المشار إليها أعلاه. لأن المواد من (٢٥ - ٣٥) ذكرت يهود بني عوف ويهود بني النجار ويهود بني ساعدة ويهـــود بني جُشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة وجفنة وبني الشّطيبة وموالي ثعلـــبة وبطانة يهود[2]. ومن اللافت للنظر أن الصحيفة لم تشر إلى يهود بني زريق علماً بأنهم ممن أعلن عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

والحقيقة أنه ليس من السهل الجزم بأن هذه الجماعات اليهودية الذين ذكرهم الصـــحيفة، هم جماعات عبرانية، تربطهم علاقات ولاء مع قبائل المدينة العربية، أم أنهـــم في واقـــع الأمر عرب وهم جزء من هذه القبائل العربية المشار إليها ولكنهم تهودوا ؟

إن بعض الإشارات ربما أفادت أن بعض هذه الجماعات اليهودية على الأقل ذات أصول عبرانية بدليل أسماء بعض رجالهم مثل: كنانة بن صوريا، من يهود بني

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين (القاهرة: دار أم القرى، د: ت) ٣/٢، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣، السمهودي: وفاء الوفاء ٢٧٧/١ ، علي بن برهان الدين الحلبي: السـيرة الحلبية (دار المعرفة: د: م، د: ت) ٢٩١/٢، ٤٧٤ - ٤٧٥ / وقـــارن ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٣٥٠/٧

(٢) انظر: حميد الله: الوثائق السياسية، ص ٦١. فضلنا الإحالة دائماً إلى صحيفة المدينة المنشورة لدى حميد الله في الوثائق السياسية؛ لأنها مقسمة إلى مـــواد مرقمة مما يسهل الإحالة إلى أي مادة منها، علاوة على إشارة حميد الله إلى الفوارق بين النصوص المختلفة للصحيفة في مصادرها التاريخية.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٦٠/٢ - ١٦٢.

حارثـــة وسلســـلة بن برهام من يهود بني النجار، وشمويل بن زيد من بني قريظة وكذلك وهب بن يهوذا[1].

وهـــذه الجماعات اليهودية المشار إليها آنفاً هي إحدى إشكالات الصحيفة، لأنـــنا لا نعـــرف عنهم إلا أقل القليل. ومما يثير التساؤل أن معظم هذه الجماعات المذكورة بالصحيفة ترتبط بالخزرج دون الأوس، مثل:

يهـــود بني عوف ويهود بني النجار ويهود بني الحارث بن الخزرج ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم. (المواد: ٢٥-٢٩).

وكمـــا أن الصحيفة ذكرت هذه الجماعات اليهودية وصلتها ببطون الخزرج المختـــلفة إلا أنها لم تفصل لنا القول في يهود الأوس، بل اكتفت بالإشارة إلى يهود الأوس باقتضاب شديد في موضعين من الصحيفة فأشارت إليهم المادة (٣٠): وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ... وكذلك أشارت إليهم المادة (٤٦): وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة..

وكما هو واضح هنا لا يعُرَفُ ما المقصود بيهود الأوس أو بني الأوس؟ ولماذا لم تذكرهم الصحيفة حسب علاقاتهم ببطون الأوس المختلفة ؟

في الواقع ليس بالإمكان تقديم إجابة مقنعة، ولكن بعض المصادر أشارت إلى يهود بعض بطون الأوس مثل: كنانة بن صوريا، وابن سنينة اليهودي، من يهود بني حارثـــة[2]. وقـــردم بـــن عمرو من يهود بني عمرو بن عوف[3]. وكذلك أبـــو

---

(١) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ١٦٢/٢، وقارن: البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٨٥، ص ٢٨٥.

(٢) ابن هشام: المرجع السابق، ١٦٢/٢. وقارن البلاذري، أنساب...،١/٢٨٥،ص٢٨٥.

(٣) ابن هشام:المرجع السابق، ١٦٢/٢.

عفـــك[1]. وليس من المستبعد أن عصماء بنت مروان[2] اليهودية تنسب إلى يهود بني خطمة من الأوس.

ومـــن المدهش حقاً أن يهود بني حارثة الذين ذُكر بعضهم هنا لا يوجد لهم ذكـــر في صـــحيفة المدينة (!) علماً أنه من غير المستبعد أنه كان لهم دور خطير في تهديـــد أمن مجتمع المسلمين بالمدينة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد ذكرهم البخاري في صحيحه جنباً إلى جنب مع يهود بني قينقاع من حيث خطورتهم،ففي حديثه عن إجلاء اليهود من المدينة نقل لنا رواية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، جاء فيها:

" ... وأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود المدينة كلهم: بني قينقاع — وهم رهط عبد الله بن سلام — ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة"[3].

ومن المحتمل جداً أن يهود بني حارثة هؤلاء ينسبون إلى بني حارثة بن النبيت بن مالك من الأوس.والحقيقة أن سكوت الصحيفة عن الإشارة إليهم يثير التساؤل! ألا يمكن أن يكون يهود بني حارثة قد أُجلوا مع بني قينقاع في السنة الثانية للهجرة أي قبل كتابة الصحيفة ؟

ومـــن إشـــكالات الصحيفة إشارتها إلى يهود بني ثعلبة، إذ لم تفصل القول فيهم، ومن المحتمل أن المقصود هم يهود ثعلبة بن الخزرج[4] بن ساعدة. وذكر ابن

---

(١) المقريزي: إمتاع الأسماع، ص ١٠٣/١.

(٢) المرجع السابق ، ١٠١/١-١٠٢.

(٣) البخاري: الصحيح، ١٤٧٨/٤ (حديث: ٣٨٠٤).

(٤) انظر: ابن قدامة المقدسي، الاستبصار..، ص ١٠١.

الكلبي أن ثعلبة بن الفطيون.. من ولد الحارث بن عمرو وأنهم أهل بيت بالمدينة مع الأنصار[1]. ولم يذكر شيئاً عن يهوديتهم.

كمـــا أشارت الصحيفة إلى أن جفنة بطن من ثعلبة، ومعلوم أن آل جفنة من أولاد عمـــرو مـــزيقياء بن عامر بن حارثة، منهم آل جفنة ملـــوك الشام، وعداد بعضـــهم في الأنصار بالمدينة[2]. وليس في كتب النسب ما يشير إلى يهوديتهم، أو تحالفهم مع يهود.

وجاء في الصحيفة " أن لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف " وبنو الشطيبة هؤلاء حسب ما جاء في بعض المصادر هم ولد الأختم ولد ثعلبة الذي يتصل نسبه بآل جفنة، وأمه الشطبة بها يعرفون وعدادهم في الأنصار بالمدينـــة[3].

وجـــاء في المادة (٤٦) وهي المادة ما قبل الأخيرة من مواد الصحيفة الإشارة مرة أخرى إلى يهود الأوس ومواليهم ورد فيها:

" وأن يهـــود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.. "[4].

---

(١) هشام بن محمد بن السائب الكلبي: **جمهرة النسب**، تحقيق ناجي حسن، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ص ص ٦١٩-٦٢٠، وقارن بن حزم، جمهرة أنساب..، ص ٣٧٣.

(٢) ابن الكلبي: جمهرة النســب، ص ٦١٧ وقارن ابن حزم: جمهرة أنساب...، ص ٣٧٢.

(٣) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٦١٧، وقارن ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٧٢ حيث ورد عنده الأخثم (بالثاء) بدلاً من " التاء " وأمه النبطية بدلاً من الشطبة أو الشطيبة.

(٤) انظر: حميدالله، الوثائق السياسية، ص ٦٢.

ويلاحظ أن الصحيفة أكدت يهود الأوس وشملت مواليهم، بينما لا يوجد ذكر لموالي يهود بطون الخزرج المختلفة. فما الذي يمكن استنتاجه من ذلك؟ وما المقصود بيهود الأوس يا ترى ؟ وهل هناك فرق في المعنى بين " يهود بني الأوس " في المادة (٣٠) و " يهود الأوس ..." في المادة (٤٦) ؟

ألا يمكن أن يكون المقصود بيهود بني الأوس، العرب المتهودة من الأوس بينما يهود الأوس تعني اليهود العبرانيين المتحالفين مع الأوس ؛أي بني قريظة والنضير ؟وإذا لم يكن هذا التفسير دقيقاً أو صائباً فما معنى الإشارة إلى يهود الأوس مرتين في الصحيفة دون غيرهم ؟

لقد ذهب الظن بسارجنت إلى عدّ الجزء الأخير من الصحيفة، المواد (٤٣-٤٦) الذي يتضمن الإشارة إلى يهود الأوس، أنه في الواقع المعاهدة التي أبرمها النبي صلى الله عليه وسلم مع يهود بني قريظة للدفاع عن المدينة ضد قريش وحلفائها قبيل معركة الخندق أو الأحزاب.

ثم يقول بصورة شبه حاسمة: إن الكتاب الذي مزقه حيي بن أخطب هو في واقع الأمر هذا الجزء، أي المعاهدة المبرمة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة [1].

وواضح من فرضية سارجنت هذه أنها تستبعد بني النضير من المعاهدة، وهم من حلفاء الأوس أو يهود الأوس ؛ وذلك لأنهم أُجلوا من المدينة في السنة الرابعة للهجرة، بينما أُبرمت المعاهدة مع بني قريظة حسب رأيه قبيل غزوة الأحزاب في السنة الخامسة، وهو على كل لم يعط تاريخاً محدداً لكتابتها.

---

(١) انظر: Serjeant, " The Sunnah Jami'ah.." P.37 Document " G ".

أما درادكة، فيرى أن المقصود بيهود بني عوف، يهود بني قينقاع لأنهم حلفاء عـــبد الله بن أُبي العوفي الخزرجي، وأن الصحيفة ساوت بينهم بالحقوق وبين يهود الأوس أي بني قريظة وبني النضير(١).

وفي الحقيقة إذا كان يهود الأوس المنصوص عليهم في الصحيفة هم بني قريظة وبـــني النضير ،وهو احتمال غير مستبعد، فإنه لا يزال من غير المحتمل أن يكون بنو قيـــنقاع هـــم المشـــار إليهـــم في الصحيفة بيهود بني عوف؛ لأن إدراجهم ضمن الأطراف المشتركة في صحيفة المدينة قد لا يخلو من مجازفة علاوة على عدم تطابقه مع السياق التاريخي للأحداث التي ستكشف عنها المناقشة لاحقاً.

وأخـــيراً ألا يمكن تفسير إغفال الصحيفة بعض بطون الأوس أن مرجعه يعود إلى تأخر إسلامهم مثل: بني خطمة وواقف ووائل وأمية(٢) ؟!

وبـــالعودة إلى محاولة الإجابة عن حقيقة يهود بطون الأوس والخزرج الذين ذكرهم الصحيفة ألا يمكن وضع رواية الأصفهاني في الحسبان القائلة:

إنه بعد أن قتل مالك بن العجلان جماعة من يهود المدينة: " ذل اليهود، وقل امتـــناعهم، وخافوا خوفاً شديداً، وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشـــيء يكرهونه، لم يمش بعضهم إلى بعض، كما كانوا يفعلون قبل ذلك، ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم، فيقول:

إنمـــا نحن جيرانكم ومواليكم، فكان كل قوم من يهود قد لجؤوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم "(٣).

---

(١) درادكة: العلاقات..، ص ٢٧٠.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٤٦/٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٠٥/٢٢-١٠٦.

ألا تســـاعد هذه الرواية على تفسير الاختفاء المفاجئ لمعظم البطون اليهودية المذكـــورة في بعض المصادر التي تحدثت عن سكان يثرب قبل الإسلام، مثل: بني ماسكة وبني عكوة وبني حجر وبني القمعة وغيرهم ؟

ألا يمكـــن أن نعدّ يهود بطون الأوس من هذه الجماعات اليهودية التي ذكرنا بعضـــها هنا وأنها مع تقادم الزمن، وربما لأسباب أمنية فضلت الانتساب إلى الأوس والخزرج بدلاً من التمسك بأصولها وأسمائها القديمة ؟

وأياً كان الأمر فإن اليهود الذين أشارت إليهم صحيفة المدينة أصبحوا طرفاً في المعـــاهدة، كمـــا أصـــبح لهم حقوق وعليهم واجبات، فقد أصبحوا جزءاً من الأمـــة[1]. على الرغم من هذه الحقيقة فإن هناك من يرى أن صحيفة المدينة ليست معـــاهدة مـــع اليهود، بل على النقيض من ذلك، فهي إعلان رسمي بفسخ ارتباط العشائر العربية بجيرانهم يهود المدينة الذين كانوا حلفاءهم حتى الأمس القريب[2].

وحسب رأي آخر فإن الصحيفة لا تمثل اتفاقاً مع اليهود، بل على الضد من ذلـــك جـــاءت لتؤكد الأوضاع القديمة مع بعض التعديلات المحدودة التي اقتضتها بالدرجة الأولى مصلحة الأنصار لا اليهود[3] .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا، أن فلهاوزن Wellhausen صاحب هذا الرأي، على رغم اعترافه بصحة الوثيقة، وتحفظه على بعض الجوانب الشكلية فيها وأنـــها - أي الصحيفة -جاءت محققة لمصالح الأنصار أكثرمن اليهود، لا يتردد بالاعتراف أن المقصـــود بيهود بني الأوس وثعلبة المشار إليهم في مواد الصحيفة (٢٥-٣١) لا يمكن أن يكونوا غير النضير وقريظة؛ لأنهم عاشوا بين أوس الله وثعـــلبة بن عمرو

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٤٩-١٥٠.

(٢) Gil,M. " The Constitution.. " P. 65.

(٣) Wellhausen. J. " Muhammad' s Constitution " In A.J.Wensinck., Muhammad and the Jews, P.137.

ابـــن عوف[1]. وهذا من الناحية الواقعية استنتاج منطقي ومعقول. إضافة إلى ذلك فـــإن فنســـنك — في رده على آراء كل من شبرنجر Sprenger ونولدكه Noldeke القائـــلة: إن القبائل اليهودية الثلاث لم تكن ضمن "الأمة" التي تضمنتها المعاهدة — يؤكـــد أن تلك القبائل كانت طرفاً في المعاهدة وجزءاً من "الأمة"، ولو كان الأمر غير ذلك لم يكن هناك حاجة إلى هذه الروايات التي تدافع عن تدابير محمد الأخيرة ضد اليهود[2]. وهذه الحجة فيها قدر كبير من المنطق.

وجـــاء في إحـــدى الدراســـات الحديثة أن كتاب الموادعة (الصحيفة) كان دســـتوراً شـــاملاً لسكان المدينة، وأن المقصود بيهود المدينة، هم قينقاع والنضير وقريظة؛ إذ أن غيرهم من اليهود لم تكن لهم أهمية تذكر في المدينة آنذاك[3].

وعلى النقيض من هذه الآراء جميعها يرى بعض الدارسين أن كلمة "يهود" في الصـــحيفة لا تشمل القبائل الثلاث المشهورة في يثرب؛ لأن هذه القبائل دخلت في اتفاقات لاحقة ومنفصلة عن صحيفة المدينة[4].

---

(١) Ibid.,P.130.

(٢) Wensinck, Ibid., P. 69.

(٣) درادكة: العلاقات العربية اليهودية، ص ٢٧١.

(٤) انظر على سبيل المثال: محمد حسين هيكل: **حياة محمد** (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٣٥٤هـ) ص ٢٢٣. أحمد إبراهيم الشريف: **دولـــة الرسول في المدينـــة** (القاهرة: دار الفكر العربي، د: ت) ص ٩٨، عماد الدين خليل، "العلاقـــات الإسلاميـــة اليهوديـــة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، **المورد**، مج٣، عدد ٢، ص ص ٥٣ - ٦٦، راجع ص ٥٥، عماد الدين خليل، **دراسة في السيرة**، الطبعة الثانية عشر (بيروت: مؤسسة الرسالة ودار النفائس ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ص: ٣١٩ - ٣٥٩. راجع ص ٣٢٥. الواضح أن هذا الجزء من الكتاب هو إعادة نشر لما نشـــر في **مجلة المـــورد** المشار إليها أعلاه.، برهان زريق، **الصحيفة، ميثاق الرسول ودولة الإسلام في المدينة** ... (دمشق، دار النمير ودار معد: د: ت) ص ص: ٥٢٩ - ٥٣٠.

الفصل الثالث

النبي ﷺ ومواقف فردية يهودية

١ – أ – عصماء بنت مروان

ب – أبو عفك

ج – كعب بن الأشرف

٢ – آراء المستشرقين حولها

الفصل الثالث

النبي ﷺ ومواقف يهودية فردية

بعـــد واقعة بدر كشف بعض الشخصيات اليهودية وخاصة الشعراء منهم في المديـــنة عن كرههم للإسلام والمسلمين حيث أعلنوا عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال الهجاء المقذع الذي أصبحوا يبثونه بين الناس، ويظهر أن الغـــرض من وراء ذلك، هو التحريض على النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيب دعوته والمطالبة بطرده من المدينة.

وفي هـــذا الجزء من البحث ستُناقش مواقف هذا الفريق مـــن يهود تجـــاه رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم والسياسة التي انتهجها الرسول معهم ومواقف المستشرقين منها. وأشهر هؤلاء الأفراد من يهود:

١ – أ : عصماء بنت مروان :

اختلفت المصادر في حقيقة نسب عصماء بنت مروان. فقد ذكر الواقدي أنها من بني أمية بن زيد بن حصن الخطمي[1]. وذكر البلاذري أنها عصماء بنت مروان اليهودي[2]، كما أشار أبو عُبيد القاسم بن سلام إلى قصة عصماء اليهودية، وقال

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٧٢.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٣٧٣.

إنمـــا قتـــلت لشتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. وفي حديث ابن دُريد عن بطون الأوس ورجالها ذكر منهم غشمير بن خرشة القارئ، ونعته بأنه قاتل عصماء بنت مروان اليهودية[2]. وكذلك فإن ابن الكلبي عندما تحدث عن بني جُشَم، ذكر منهم عُمير بن خرشة القارئ، وقال عنه: إنه الذي قتل اليهودية التي هجت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم[3]. أما الحلبي، فذكر أنها عصماء بنت مروان اليهودية، وكـــانت متزوجة في بني خطمة، وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الأنصاري أسلم بعد ذلك[4].

وفي رواية ابن إسحاق، أن عصماء تنتسب إلى بني أمية بن زيد، وأنه لما قُتل أبو عفك أظهرت نفاقها، فقالت تعيب الإسلام وأهله:

فباســـت بـــني مـــالك والنّبيت	وعـــوفٍ وباسْـــتِ بني الخـــزْرجِ
أطعـــتمْ أتـــاويَّ من غيـــركم	فـــلا مـــن مـــرادٍ ولا مذحـــجِ
تُـــرجُّونَـــه بعد قتـــل الرّؤوس	كمـــا يُـــرْ تجَـــى مَـــرَقُ المُنضَجِ
ألا أَنِـــفُ يبـــتَغي غِـــرّةً	فيقطـــعَ مـــن أمـــلِ المُرْتجـــي[5]

ثم لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قولها، قال لمن حوله: " ألا آخذ لي مـــن ابنة مروان" ؟ فسمع بذلك عمير بن عدي الخطمي، فسرى إليها في بيتها ليلاً

---

(١) أبو عُبيد: الأموال، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) ابن دُريد: الاشتقاق، ص ٤٤٧.

(٣) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٦٤٢.

(٤) الحلبي: السيرة الحلبية، ١٤٤/٣.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٨٥/٤ - ٢٨٦. وقارن، الواقدي: المغازي، ١٧٢/١.

وقتـــلها، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني قد قتلتها. فقال: "نصرت الله ورسوله يا عُمير " [١].

وجاء في رواية عند البلاذري، أن عصماء كانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيب الإسلام، وقال عمير بن عدي حين بلغه قولها: لله عليَّ أن أقتلها إذا قدمتُ المدينة. وكان مع المسلمين في مغزاهم ببدر. فلما قدم المدينة سأل رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أن يأذن له في قتلها، ففعل، فقتلها لخمس ليال بقين من رمضان[٢].

وفي روايـــة الواقـــدي أن عُميراً لما سمع شعر عصماء الذي تحرض فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر على نفسه لئن رجع رسول الله صلى الله عليه وســـلم من بدر إلى المدينة سالماً أن يقتلها، فلما رجع رسول الله، ذهب إليها عمير في جوف الليل فقتلها[٣].

وجـــاء في رواية أخرى أنه لما أهدر رسول الله دم عصماء، نذر عمير إن ردّ الله رســـوله من بدر إلى المدينة سالماً ليقتلنها. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة عدا عليها عُمير فقتلها[٤]. وفي رواية أنه لما قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم: " ألا رجل يكفينا هــــذه " ؟ يعني عصماء، قال عُمير: أنا لها، فأتاها وكانت تمارة تبيع التمر، فقال لها: أعندك أجود من هذا التمر، لتمر بين

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٨٦/٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٧٣/١.

(٣) الواقدي: المغازي، ١٧٣/١.

(٤) الحلبي: السيرة الحلبية، ١٤٥/٣.

يديهـــا، قـــالت: نعم، فدخلت إلى البيت وانكبت لتأخذ شيئاً من التمر، فضرب رأســـها حـــتى قتـــلها[1]. وهناك روايات أخرى عن مقتل عصماء لا يتسع المقام لذكرها هنا [2].

أمـــا آخر رواية يمكن التعويل عليها بهذا الخصوص فهي رواية ابن عباس التي ذكـــرها أبو داود، قال: إن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقـــع فيـــه فيـــنهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه، فأخذ المغول[3] فوضعه في بطنها واتكـــأ عـــليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال: " أنشد الله رجلاً فعل ما فعـــل، لي حق عليه إلا قام" قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بـــين يـــدي الـــنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشـــتمك وتقـــع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل الـــلؤلؤتين وكانت بي رفيقة، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا اشهدوا أن دمها هدر"[4].

---

(١) الحلبي: السيرة الحلبية، ٣/١٤٥.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٢٨٥ – ٢٨٧، والواقدي: المغازي، ١/١٧٣،وابن سعد، الطبقات، ٢/٢٧ – ٢٨،والحلبي: السيرة الحلبية، ٣/١٤٤ - ١٤٦.

(٣) المغول: بالكسر: شبه سيف قصير، يشتمل به الرجل تحت ثيابه: وقيل هو حديدة دقيقة لها حدّ ماض وقفاً، وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق. ابن منظور، لسان العرب، ١١/٥١٠، مادة (غول).

(٤) أبو داود: السنن، ٢/٥٣٣ (حديث: ٤٣٦١)، وانظرالرواية وتخريج أحاديثها عند: بريك محمد بريك أبو مايلة العُمري، **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة**، الطبعة الأولى (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ص ص: ١٣٣ - ١٣٨.

يظهر جلياً مما تقدم أن المصادر مختلفة في نسبها، وإن كان أكثر تلك المصادر يميل إلى تأكيد أصلها اليهودي. كما تختلف المصادر كذلك في قتلها، هل تم القتل بأمـــر رسول الله صلى الله عليه وسلم أم تطوع به أحد الصحابة، ولعله عُمير بن عـــدي بن خرشة الخطمي[1] ؟ ورواية البلاذري تذكر أن عُميراً كان مع المسلمين في غزوة بدر وأنه نذر إن عاد إلى المدينة ليقتلنها... ومن المعروف أن عُميراً ضرير البصـــر، ولم يشهد بدراً [2]. وليس لدينا رواية صريحة تفيد أن رسول الله صلى الله عـــليه وسلم أمر بقتل عصماء سوى رواية ابن إسحاق بسند منقطع[3]، ولكن مما يزيد في ضعف تلك الرواية هو الربط بين شعر عصماء ومقتل أبي عفك، علماً أن قـــتل أبي عفك جاء من حيث الترتيب الزمني بعد مقتل عصماء[4]. لذلك فإنه من المحتم أنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجاء عصماء البذيء الذي نالت

---

(١) عُمير بن عديّ بن خرشة الخطمي: كان أبوه عديّ شاعراً وأخوه الحارث بن عديّ قُتل بأحد. ذكره ابن السكن في الصحابة. وقال هو البصير الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوره في بني واقف ولم يشهد بدراً لضرارته. وهو الذي قتل عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد كانت تعيب الإسلام وأهله، ومن يومئذ عز الإسلام وأهله في المدينة. وكان إمام بني خطمة وهو أعمى على عهد النبي صلي الله عليه وسلم. ويحتمل أنه مات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٣/٣ - ٣٤ (ت:٦٠٤٣).

(٢) انظر: ابن سعد: الطبقات، ٤١٩/٣ - ٦٢٧ (طبقات البدريين من الأنصار)، وابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٣٣/٣ - ٣٤.

(٣) انظر: تخريج بريك العُمري لرواية ابن إسحاق، السرايا والبعوث، ص ١٣٤.

(٤) انظر: الواقدي: المغازي، ١٧٤/١، وابن سعد: الطبقات، ٨٢/٢، والبلاذري: أنساب الأشراف، ٣٧٣/١ - ٣٧٤.

فيـــه مـــن الرسول والمسلمين، أهدر دمها[1]. ولذلك لما لجت عصماء في عنادها واســـتمرت في غيها وهزأت بمشاعر زوجها المسلم (ولعله عمير بن عدي) هجاء رســـول الله والمسلمين لم يتمالك نفسه وقتلها، لا سيما وأنه وجد في إهدار دمها مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة شرعية في ما أقدم عليه. ثم لما اعترف زوجهـــا بمـــا أقدم عليه من أمر قتلها أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشهد الحاضرين من المسلمين، أن دمها هدر"[2].

ب - أبو عفك :

أحـــد بـــني عمرو بن عوف ثم من بني عُبيدة، وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن صامت[3]. وجاء في رواية أن أبـــا عفك كان شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومئة سنة حين قدم النبي صلى الله عليه وســـلم المدينة، وكان يحرض على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، و لم يدخل في الإسلام. فلما خرج رسول الله إلى بدر وقد ظفّره الله بما ظفّر حسده وبغى فقال:

---

(١) انظر: الحلبي: السيرة الحلبية، ٣/١٤٥.

(٢) أبو داود: السنن، ٢/٥٣٣، انظر: زكريا هاشم زكريا: **المستشرقون والإسلام**، (القاهرة: ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) فهو يشكك في مقتل عصماء بنت مروان، ويرى أن قتلها يناقض تعاليم الرسول الصريحة التي تقضي بعدم قتل النساء، ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٢٨٤ - ٢٨٥. وكان سبب قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم للحارث بن سويد بن الصامت أن المجذر بن ذياد كان قد قتل سويد بن الصامت في الجاهلية وهو شيخ كبير، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أسلم الحارث بن سويد بن الصامت ومجذر بن ذياد، فلما كان يوم أُحد قتل الحارث المجذر غيلة. انظر: الواقدي: المغازي، ١/٣٠٣ - ٣٠٥. وقارن: ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ١/٢٨٠.

قــــد عشـــتُ حيناً وما إن أرى	مـــن النـــاس داراً ولا مجمعـــا
أجـــمّ عقولاً وآتـــــى إلـــى	منيـــب ســـراعاً إذا ما دعـــا
فســـلّبهم أمـــــرهم راكـــبٌ	حـــرامـــاً حلالاً لشـــتى معـــا
فـــلو كـــــان بالملك صدّقتُـــمُ	وبالنصـــــر تابعتُـــم تُبعـــا[1]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لي بهذا الخبيث"، فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف، فقتله[2]. وجاء في رواية عند ابن سعد أن أبا عفك كـــان يهودياً، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الشعر، فقال سالم بن عُمير وهو أحد البكائين، وقد شهد بدراً: عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فقتله[3]. وكان قتله في شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]. وقال البلاذري: إن علي بن أبي طالب أتاه وهو نائم في فراشه فقتله، وكانت غزوة بني قينقاع بعد هذه[5].

يتضـــح اختلاف الروايات حول مقتل أبي عفك حيث نجد أن أقدم الروايات تذكـــر أن سبب إعلانه العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره يعود إلى قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم للحارث بن سويد بن الصامت، وأن الرسول

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٧٤ - ١٧٥، يلاحظ أن الأبيات التي أوردها ابن إسحاق المنسوبة إلى أبي عفك تختلف بعض الشيء عن الأبيات التي لدى الواقدي.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية.، ٢٨٥/٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٢٨/٢. وقارن الواقدي، المغازي، ١/١٧٤ - ١٧٥.

(٤) الواقدي: المغازي، ١٧٥/١، ابن سعد: الطبقات، ٢٨/٢.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٧٣/١ - ٣٧٤.

صلى الله عليه وسلم حرّض على قتل أبي عفك. وجاء في الرواية الثانية أن عداوة أبي عفك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين تعود إلى ظفر المسلمين ببدر فظهر حسده وبغيه. ولدينا رواية واحدة تفرد بها ابن سعد وربما تابعه فيها[1] الحلبي، وهي أن أبا عفك كان يهودياً، وإن صح ذلك فربما كان من متهودة الأوس. ولا شك أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبي عفك لأنه أدرك خطورته على السلم في المجتمع فهو متماد في غيه لدرجة تأليب الناس على الرسول صلى الله عليه وسلم وإثارة الفتنة والشقاق بين المسلمين[2].

جـ - كعب بن الأشرف الطائي اليهودي :

وهو ثالث الشخصيات اليهودية وأخطرها، وأحد الزعامات اليهودية البارزة في المدينة عند قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إليها. وكعب من بني نبهان من طيىء حليف بني النضير وأمه عقيلة بنت أبي الحقيق، حيث إن والده أصاب دماً في قومه فأتى المدينة في الجاهلية وحالف بني النضير[3] وذكر البخاري، في حديث طويل أن سبب مقتل كعب بن الأشرف أنه آذى الله ورسوله، فقال: صلى الله

---

(١) الحلبي: السيرة الحلبية، ٣/١٤٦.

(٢) العُمري: السرايا والبعوث، ص ١٣٠. وانظركذلك رأي زكريا في مقتل أبي عفك حيث أنه يستبعد حدوث ذلك، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهي عن قتل الطاعنين في السن. المستشرقون والإسلام، ص ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٨٤، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٧/٤٢٧ - ٤٢٨ . وقارن كذلك، محمد كامل مراد: "موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة" مجلة كلية اللغة العربية، ٣/٢٥٥، حيث يذكر أن كعباً يهودي أصيل أبوه من بني قريظة وأمه من بني النضير. ولم يذكر مصدره.

عـــليه وســـلم: "مَن لكعب بن الأشرف ؟ فإنه آذى الله ورسوله"،فقام محمد بن مسلمة[1]، فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال: نعم[2].

وذكـــر موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن كعب بن الأشرف اليهودي وهو أحد بني النضير وقيمهم، قد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء، فقال لـــه أبـــو سُفيان: أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق... فقال ابن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلاً[3].

ثم إن كعـــباً عاد إلى المدينة بعد أن أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم معلناً عداوته وهجاءه لـــه، فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: " مـــن لنا بكعب بن الأشرف، قد استعلن بعداوتنا وهجائنا وخرج إلى قـــريش فـــأجمعهم على قتالنا قد أخبرني الله عز وجل بذلك ثم قدم على أخبث ما

---

(١) محمد بن مسلمة: هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن مالك من الأوس، وأمه أم سهم، واسمها خُليدة بنت أبي عُبيد. وأسلم محمد بالمدينة على يد مصعب بن عمير. وذلك قبل إسلام أُسيد بن الحُضير وسعد بن معاذ. وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين محمد بن مسلمة وأبي عُبيدة عامر بن الجراح. وشهد بدراً وأُحداً وكل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا تبوك فقد استخلفه على المدينة. ومات محمد في المدينة في شهر صفر سنة ٤٦هـــ. وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة. انظر: ابن سعد: الطبقات، ٣/٤٤٣ - ٤٤٥، ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٣/٣٨٣ - ٣٨٤. (ت: ٧٨٠٦).

(٢) انظر: الخبر بتمامة عند البخاري، الصحيح: كتاب المغازي (١٢) باب مقتل كعب بن الأشرف. ٤/١٤٨١-١٤٨٢ (حديث: ٣٨١١)، وانظر: مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ١٤٢٥ - ١٤٢٦. كتاب الجهاد والسّير (٤٢) باب مقتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود.

(٣) موسى بن عقبة: المغازي، ص ١٨٠.

كان، ينتظر قريشاً أن تقدم فيقاتلنا معهم "، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ما أنزل الله فيه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [1] [النساء:٥١].

وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت" فقال له محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله أقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم[2]. وذكر الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) في أسباب النزول، في تفسيره للآية:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ٥١].

أنها نزلت في حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف عندما ذهبا إلى مكة وسألتهم قريش أي الفريقين أهدى، قريش أم محمد؟ فأجابوهم: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا[3] . وجاء في رواية أخرى للواحدي نقلها عن بعض المفسرين أن كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أُحد ليحالفوا قريشاً على غدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إن قريشاً لم يطمئنوا لليهود وخافوا غدرهم فقالوا لكعب: إن أردت أن نخرج معك، أي لمحاربة محمد فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما، فذلك قوله: (يؤمنون بالجبت والطاغوت). ثم

---

(١) موسى بن عقبة: المغازي: ص ١٨١.

(٢) موسى بن عقبة: المرجع السابق: ص ١٨١.

(٣) الواحدي: أسباب النزول، ص ص ١١٤ – ١١٥.

قال كعب لأهل مكة ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا[1].

وجاء في رواية عند الرازي شبيهة بما تقدم، قال: إنه لما هُزم المسلمون يوم أحد ارتاب اليهود ونكثوا، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا أبا سُفيان عند الكعبة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري، فقتل كعباً غيلة، وكان أخاه من الرضاعة، ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب، فقال لهم: اخرجوا من المدينة... وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج[2]. هذه رواية الواحدي وشبيهتها رواية الرازي باختصار وهما في ظاهرهما لا تخلوان من إشكال، حيث إنه من المعلوم أن كعب بن الأشرف قد قتل بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل معركة أُحد، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة[3]. أي قبل سبعة أشهر من وقعة أحد[4]. وحتى لو كان صحيحاً أن كعباً قاد وفد اليهود إلى مكة بعد وقعة أُحد، فإن حماسة قريش لمثل هذا التحالف ستكون ضعيفة لا سيما وأنها قد

---

(١) الواحدي: أسباب النزول، ص ١١٥، الحلبي: السيرة الحلبية، ١٤٧/٣. يلاحظ أن الحلبي لم يحدد الوقت الذي خرج فيه السبعون يهودياً من المدينة، ولكنه ذكر قصة السجود للأصنام وأنهم أي اليهود وقريشاً حلفوا عند أستار الكعبة. ويوجد طرف من هذه الرواية عند ابن حجر العسقلاني. انظر: فتح الباري، ٤٢٨/٧. وقارن الواقدي: المغازي، ٤٤١/٢ - ٤٤٣.

(٢) محمد الرازي: ابن ضياء الدين عمر المشهور بخطيب الري، **تفسير الفخر الرازي**، (بيروت: دار الفكر ١٤١٠هـ) ٢٧٩/٢٩.

(٣) انظر: الواقدي: المغازي، ١٨٤/١، ابن سعد، الطبقات، ٣١/٢ - ٣٢.

(٤) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٨٦/٣، وقارن:

Jones, "The Chronology of the Maghazi ....". P. 284..

خــرجت مــن أحد منتصرةً ولو معنوياً على الأقل. لذلك فلابد من الافتراض أن ذلــك الوفــد الــذي تزعمه كعب كان بعد معركة بدر التي انتهت بهزيمة قريش وأصــبحت جــريحة الكــبرياء. لذلك فقد خاف اليهود على مصيرهم في المدينة، فقــرروا التحالف مع قريش وهذا أمر محتمل. أما الاحتمال الثاني فربما يكون هذا الوفــد قــد ذهــب إلى مكة في منتصف السنة الخامسة للهجرة و نجح في تأليب الأحــزاب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من نتائجه غزوة الخندق أو الأحــزاب ومــن المؤكد أن كعباً لم يكن لــه دور في هذا الأمر، لأنه مضى على مقــتله ثــلاث سنوات وبضعة أشهر. وأما ما ذكره الرازي، من حيث الربط بين مقــتل كعب وإجلاء بني النضير، فإنه مخالف لما هو مشهور من أمر كلتا الواقعتين، وسنناقشهما عند بحث علاقة النبي صلى الله عليه وسلم ببني النضير.

أمــا القــول: إن كعباً ومن معه من يهود قد سجدوا لأصنام قريش، وأنهم ألزقوا أكبادهم بالكعبة إمعاناً منهم في توثيق الحلف، فهو أمر يخالف عقيدة اليهود التي يفترض أنها قائمة على عقيدة التوحيد ونبذ الشرك والأصنام.

وقــد روى ابــن أبي حاتم عن عكرمة في تفسيره للآية السابقة، أن حُيي بن أخطــب وكعب بن الأشرف قدما مكة فسألهم أهلها، قالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهــل العــلم فأخــبرونا، عنا وعن محمد... فنحن خير أم هو ؟ فقالوا أنتم خير وأهدى سبيلا[١].

وهكذا مع ما يلاحظ من كثرة اختلاف الروايات في مناسبة نزول هذه الآية فهي تكاد تتفق على أنها نزلت في كعب بن الأشرف وبعض زعماء اليهود. أما إذا

---

(١) ابن كثير: التفسير..، ٢/٣٣٤ - ٣٣٥، وقارن أحمد بن الحُسين البيهقي: **دلائل النبوة**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ٣/١٩٣ - ١٩٤.

حاولـــنا تلمس أسباب عداوة كعب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فقد ذكر بعضها ابن إسحاق، الذي ربط بين تلك العداوة وانتصار المسلمين في بدر (٢ هـــ) و أنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة ببشارة النصر، ارتعـــب كعب لسماع الخبر، فقال لمن حوله: "أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذيـــن يُسمي هذان الرجُلان - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها"[١].

ثم أردف ابـــن إسحاق بقوله: فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة وجعـــل يحـــرض عـــلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينشد الأشعار ويبكي أصـــحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر[٢]. وجاء في رواية عند الواقدي أن كعـــباً حين سمع بقتلى المشركين، ورأى الأسرى منهم مقرنين، كُبت وذَلّ ثم قال لقومه: "ويلكم والله لبطن الأرض خير لكم من ظهرها اليوم! هؤلاء سراة الناس قد قتلوا وأُسروا، فما عندكم ؟ قالوا: عداوته ما حيينا: قال: وما أنتم وقد وطئ قومه وأصابهم. ولكن أخرج إلى قريش فأحضهم وأبكي قتلاهم فلعلهم ينتدبون فأخرجُ معهم". فخرج حتى أتى مكة فجعل يرثي قتلـــــى قريش[٣].

ويـــبدو أن كعباً لم يقتصر على رثاء قتلى قريش والتحريض على النبي صلى الله عـــليه وسلم بل امتد أذاه إلى نساء المسلمين، فبعد عودته من مكة إلى المدينة،

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٣/٥٥، وقارن ابن سعد: الطبقات ٢/٣٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٢٨٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٨٨.

(٢) انظر: القطع الشعرية التي يقال إنها لحسان بن ثابت وغيره من شعراء المسلمين وكذلك شعر كعب بمناسبة هزيمة المشركين ببدر.عند ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥٥ - ٥٧.

(٣) الواقدي: المغازي، ١/١٨٥.

أخـــذ يشبب ببعض نساء المسلمين حتى آذاهم[1]. فقد جاء في رواية عند الطبري، أن كعباً لما عاد إلى المدينة أخذ يشبب بأم الفضل بنت الحارث[2] فقال:

أراحـــلٌ أنت لم تحلل بمنقبـــة وتارك أنت أُمّ الفضل بالحـــرم

صفراء رادعة لو تعصُر انعصرت من ذي القوارير والحنّاء والكتَمِ[3].

ومـــن المعـــلوم إن ثبتت صحة هذه الرواية أن التعرض للمسلمات الغافلات جُرمه عظيم في الإسلام، وهو أمر يصعب السكوت عليه. لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣].

ومـــا دام كعـــب لم يتورع عن هجاء أم الفضل وزوج العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم فالحري به هجاء غيرها من نساء المسلمين[4] وما من شك أن مثل هذا التطاول البذيء على نساء المسلمين وأعراضهـــن قمين بأن يترل بصاحبه أشد العقوبة.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٨/٣.

(٢) أم الفضل: هي لبابة الكبرى، ابنة الحارث بن حزن بن البجير بن الهزم ... وكانت أم الفضل أول امرأة أسلمت بعد خديجة بنت خُويلد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل في بيتها.وهي زوج العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.قيل توفيت في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن سعد: الطبقات، ٢٧٧/٨ - ٢٧،و ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٤٨٣/٤ - ٤٨٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٤٨٨/٢. وانظر: بقية القصيدة في الصفحة نفسها، وقارن البيهقي: دلائل النبوة، ١٩٤/٣.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية مج ٤/٢ ص ص ٧ - ٨.

وأخيراً فإن إحدى الروايات تذكر سبباً آخر لمقتل كعب بـــن الأشرف، فقد صنع طعاماً، وواطأ جماعة من اليهود على دعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الوليمة، فإذا حضر فتكوا به، ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه، فأعلمه جبريل بما أضمروه بعد أن جالسه، فقام فستره جبريل بجناحه، فلما فقدوه تفرقوا، فقال النبي صـــلى الله عليه وسلم حينئذ: من يُنتدب لقتل كعب ؟ ويعلق ابن حجر على هذا الخبر بأنه يمكن الجمع بتعدد الأسباب[1].

كمـــا ذكـــر ابن شبة: أن ابن الأشرف اعتزل قتال بني النضير، وزعم أنه لم يظاهر على المسلمين، فتركه النبي صلى الله عليه وسلم. ثم انبعث يهجوه والمؤمنين ويمـــتدح عدوهـــم من قريش، ويحرضهم عليهم، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قـــريش فاستعداهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]. وما ذكره ابن شبة هنا لا يخـــلو من تناقض سيتبين عند مناقشة علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بيهود بني النضير.

أما وليم ميور W. Muir فيزعـــم أن كعباً تبع النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقت صرف القبلة إلى الكعبة مضافاً إلى ذلك نجاحه في بدر ورفضه لليهودية، كل ذلك أغضب كعباً، فذهب إلى مكة وبدأ بالهجاء[3]. ولكن مصادر السيرة لا تذكر شـــيئاً عن اتباع كعب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يشر ميور إلى مصدر معلوماته هذه.

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٤٢٨/٧. وعلق ابن حجر على هذه الرواية أنها من مرسل عكرمة بسند ضعيف، والحلبي، السيرة الحلبية، ١٤٨/٣.

(٢) ابن شبّة: تاريخ المدينة ٤٦١/٢.

(٣) William Muir, Mahomet and Islam. P. 100.

ويلاحظ أن كستر M.Kister يُرجع أمر العداء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكعب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يجعل سوق المدينة في أرض كعب بن الأشرف، التي عُرفت فيما بعد ببقيع الزبير وأن كعباً منعه من ذلك، وهكذا بدأ الخلاف بين الرجلين(١).

ومن المستبعد أن تكون هذه الحادثة التافهة سبباً في العداء بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كعب، ذلك العداء الذي قاد إلى اغتيال كعب، فالرسول صلى الله عليه وسلم أكرم من أن يُقدم على إزهاق روح لمجرد خلاف دنيوي على قطعة أرض مثلاً. والذي نقله السمهودي عن ابن شبة حول هذه الحادثة هو قوله: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة في موضع بقيع الزبير، فقال: هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطنابها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرم لأنقلنها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة(٢). وليس في هذا الخبر الذي ساقه السمهودي ما يفيد أن الأرض التي ضرب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم القبة كانت أرضاً لكعب بن الأشرف(٣) وليس في ما جاء عند أبي يوسف في كتاب "الخراج" عن إقطاع الزبير ما يفيد بملكيته السابقة لكعب بن الأشرف علماً أن كستر أشار إليه في بحثه(٤). وجاء في رواية عن

---

(١) M. J. Kister, " The Market of the Prophet" In: **Studies in Jahiliyya and early Islam.** (London, 1980) Pp. 272 - 276 esp. P. 274.

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء١/٧٤٧ - ٧٤٨.

(٣) انظر: السمهودي في المواضع نفسها.

(٤) أحال كستر القارئ إلى موضعين لدى أبي عُبيد في كتابه الأموال للتدليل على بقيع الزبير، وبالرجوع إلى الموضعين المذكورين لم نجد فيهما ما يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى أرض كعب وأنها صارت إقطاعاً للزبير. انظر: أبو عُبيد، الأموال، ص ٣٦٧، ٣٧١ - ٣٧٢.

عروة بن الزبير قال: أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُبير أرضاً فيها نخل من أمـــوال بـــني النضير يقال لها الجُرف[1]. ومعلوم أن اغتيال كعب سبق إجلاء بني النضير بعدة أشهر.

وإذا أغفلـــنا مـــا ذكره كستر من سبب الخلاف بين الرسول صلى الله عليه وســـلم وكعب فإن ما يلاحظ في هذه الروايات على اختلاف مصادرها أنها تُجمع عـــلى عداوة كعب بن الأشرف لله ولرسوله والمؤمنين. صحيح أنها قد تختلف في بعض الأسباب التي توردها وفي بعض التفاصيل إلا أنها لا تختلف في أن كعباً أصبح مصدر أذى للمسلمين. ولذلك أهاب الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض أصحابه بقتله والتخلص منه. وعندما عرض محمد بن مسلمة على الرسول الله صلى الله عليه وســـلم قتل كعب، وافق الرسول على ذلك قائلاً: "افعل وشاور سعد بن معاذ في أمره" [2].

ولا غـــرابة في أن يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من محمد بن مسلمة مشـــاورة ســـعد بن معاذ، لأن سعداً زعيم الأوس ومن المعلوم أن يهود بني النضير حـــلفاؤهم[3]. وجاء في رواية لعروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمحمد ابـــن مســـلمة عندما أبدى استعداده لقتل كعب "إن كنت فاعلاً فلا تعجل حتى

---

(١) قارن: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: **كتاب الخراج** (بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٦١. انظر في الهامش. Kister, " The Market of the Prophet" P. 273.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣٢/٢.

(٣) يذكر واط Watt أن سبب اختيار قتلة كعب من بني عبد الأشهل لأنهم حلفاء بني النضير، لذلك فلن يدعو مقتله إلى طلب الثأر من القتلة، انظر:

Muhammad at Medina, P. 211.

تشاور سعد بن معاذ، "قال: فشاوره، فقال له: توجه إليه واشك إليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاماً[1]. فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة والحارث بن أوس بن معاذ، وقد مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد[2]، ثم ودعهم وقال: "انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم" ثم انتهوا إلى حصنه في ليلة مقمرة واستدرجوه حتى نزل إليهم، وبعد محادثة قصيرة قتلوه، ثم عادوا من ليلتهم ووجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي فأخبروه الخبر فقال لهم " أفلحت الوجوه"! فقالوا: ووجهك يا رسول الله [3].

أما تحديد الوقت الذي قتل فيه كعب فإن ابن إسحاق لا يعيّن تاريخاً محدداً، ولكنه يذكر الحادثة قبل يوم أُحد مباشرة [4]، أما الواقدي فقد أرّخ للحادثة في

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٤٢٨/٧ - ٤٢٩.

(٢) بقيع الغرقد: البقيع، مقبرة أهل المدينة، به دُفن أجلة الصحابة وزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته وأبناؤهن، وهو مطلع الشمس من المسجد النبوي، يُرى رأي العين. ويقال له بقيع الغرقد. انظر: عاتق غيث البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، الطبعة الأولى (مكة: دار مكة للطباعة ١٤٠٢هـ) ص ٤٨.

(٣) محمد بن إسحاق: **السيرة النبوية**، تحقيق سُهيل زكار، الطبعة الأولى (د: م، دار الفكر، ١٣٩٨هـ) ص ص ٣١٦ - ٣١٩، ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٤/٣ - ٦٠، الواقدي، المغازي، ١٨٤/١ - ١٩٣، يوجد خلاف في عدد المشاركين وأسمائهم في قتل كعب. انظر: موسى بن عقبة: المغازي، ص ١١١، والواقدي: ١٨٧/١، وعمر بن شبة: تاريخ المدينة، ٤٥٤/٢ - ٤٦٢،و أبو داود: السُنن: ٩٥/٢ - ٩٦ (كتاب الجهاد: حديث: ٢٧٦٨)، انظر: رأي أكرم العُمري في مقتل كعب بن الأشرف في: السيرة النبوية الصحيحة، ٣٠٤/١، وانظركذلك: بريك العُمري: السرايا والبعوث، ص ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٤/٣ - ٦٣.

شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة(١) ووافقه ابن سعد محدداً مقتله بعد مضى أربـــع عشرة ليلة من ربيع الأول(٢). ويلاحظ أن هذا التاريخ الذي حدده ابن سعد يتناقض مع بعض الأحداث التاريخية، وخاصة ما يتعلق بغزوة "ذي أمر" التي سبقت مقـــتل كعـــب بليلتين(٣). ويظهر أن مقتل كعب بن الأشرف ترك أثراً عميقاً في نفـــوس اليهـــود في المدينة. قال محمد بن مسلمة: وهو من الذين اشتركوا في قتل كعـــب: "فأصـــبحنا وقد خافت اليهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها -أي بالمدينة- يهـــودي إلا وهو يخاف على نفسه(٤). وقدم لنا الواقدي وصفاً أكثر تفصيلاً لأثر مقتل كعب في نفوس اليهود وما نتج منه، فقال:

"ففـــزعت اليهـــود ومن معها من المشركين، فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وســـلم حين أصبحوا فقالوا: قد طُرق صاحبنا الليلة وهو سيد مـــن ساداتنا، قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه لو قرّ كمـــا قـــر(٥)غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنـــه نال منا الأذى وهجانا بالشـــعر، ولم يفعـــل هذا أحد منكم إلا كان لـــه السيف ". ودعاهم رسول الله

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٨٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٢/٣١،وذكر المقريزي أن مقتل كعب وقع في الرابع عشر من ربيع الأول على رأس خمسة عشر شهراً من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا يعني أن مقتله سبق معركة بدر، وهذا مخالف لما هو مشـــهور. انظر: إمتاع الأسماع، ١/ ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) انظر: Jones. " The Chronology of the Maghazi " Pp. 262 - 263.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٦٠.

(٥) جاء عند المقريزي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنه لو فرّ كما فرّ غيره، ويظهر أن هذه الكلمة مصحفة عن (قرّ)، راجع: إمتاع الإسماع، ١/١١٠.

صـــلى الله عـــليه وسلم إلى أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً تحت العذق في دار رملة بنت الحارث[1].

فحذرت اليهود وخافت وذلك من يوم قتل ابن الأشرف[2].

وجاء عند كل من ابن إسحاق والواقدي رواية دون سند، قالوا: فلما أصبح رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم من الليلة التي قتل فيها ابن الأشرف، قال: من ظفـــرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فخافت اليهود، فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا وخافوا أن يُبيّتوا كما بُيّت ابن الأشرف[3].

ومما هو جدير بالملاحظة أن ابن سعد لم يشر إلى أمر الرسول صلى الله عليه وســـلم بقـــتل من يُظفر به من رجال اليهود. وواضح أن المقصود برجال اليهود الزعماء البارزون فيهم. ولا يستبعد أن المقصود من ذلك الأمر هو إشاعة نوع من الفزع في نفوس قيادات اليهود لئلا يثأروا لكعب، ولم يكن القصد منه القتل بدليل أنه لم تذكر المصادر المعاصرة لتلك الفترة سوى شخصية يهودية واحدة ربما قُتلت

---

(١) رملة بنت الحارث: من الأنصار من بني النجار، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة، وهي التي حُبس في دارها يهود بني قريظة. انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٤/ ٣٠٥ (ت: ٤٣٢) وقارن السُهيلي، فقد ورد لديه الاسم مختلفاً وذكر أنها كيسة بنت الحارث بن كُريز بن حبيب بن عبد شمس، وكانت تحت مسيلمة الكذاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز، وهي التي حُبس بنو قريظة في دارها، انظر: عبدالرحمن ابن عبد الله السُهيلي، **الروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د: ت) ٣/٢، ص ٣٨٣.

(٢) الواقدي: المغازي، ١٩٢/١، وأبو داود: السُنن، ١٧٠/٢، وقارن ابن ســـعد: الطبقات، ٣٤/٢.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية،٦٢/٣،والواقدي، المغازي، ١٩٠/١ - ١٩٢،وأبو داود: السُنن، ١٧١/٢.

نتيجة الحماس المفرط من أحد الصحابة، ولا يزال اسم ذلك اليهودي القتيل محل خلاف بين الرواة [1]. بل لعل ما يضعف ذلك الخبر ما جاء في رواية لابن هشام أن اليهودي القتيل هو كعب بن يهوذا وكان عظيماً في بني قريظة فدفعه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مُحيصة بن مسعود و أبي بُردة بن نيار فقتلاه يوم قريظة[2] أي في نهاية السنة الخامسة للهجرة، وليس له علاقة بأحداث السنة الثالثة للهجرة وما أعقب ذلك من قتل كعب.

٢ – آراء المستشرقين حولها:

على كل، نظراً لغموض أصل كل من عصماء بنت مروان و أبي عفك، أكانوا يهوداً أصلاً أم عرباً تهودوا أم مشركين لذا فلم يعرهم الكثير من المستشرقين الذين تحدثوا عن أمر اليهود بالمدينة وعلاقتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كبير اهتمام مقارنة بكعب بن الأشرف اليهودي.

ومن المستشرقين الذين تعرضوا لمقتل كل من عصماء وأبي عفك ميور Muir فهو ينظر إلى قتلهم أنه من الأعمال الدموية وغير الشرعية التي كانت إنذاراً لمن بقي في المدينة ينظرون إلى الغرباء والدين الجديد نظرة شك وكراهية، وفوق كل شيء، بدأ الرعب يدب في قلوب اليهود، وهم محقون في ذلك[3].

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية،٦٢/٣،،والواقدي: المغازي، ١٩٠/١ – ١٩٢،وأبو داود: السُنن، ١٧١/٢.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية،٦٣/٣، وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/٤، فقد نقل هذه الرواية بسندها عن ابن هشام.

(٣) William Muir, **The life of Muhammad**, (Edinburgh,1923)P. 240

وكذلك أشار مرجليوث Margoliouth إلى مقتل عصماء وأبي عفك ولاحظ أن المجتمع نظر إلى مقتلهم بأنه على أنه عمل مسوغ صادر عن قوة سلطية، وجدوا أن مقاومـــتها فـــوق طاقتهم وقدروا أنه من المناسب الاستمتاع بما توفره لهم تلك السلطة من حماية [١]. ومن الملاحظ أن مرجليوث عندما تعرض لمقتل عصماء وأبي عفك، أعرب عن رأيه في مقتل عصماء بقوله:

ومـــن ثم فإذا صحت نسبة الأبيات إلى عصماء التي حرضت فيها أهل المدينة عـــلى قـــتل النبي، فقتلها لا يعدُّ إجراءً قاسياً بأي معيار. ومع ذلك يجب ألاّ نغفل خطورة أثر الهجاء عند العرب، فأثره أقوى من السلاح [٢].

وناقش فنسنك Wensinck مقتل عصماء وأبي عفك باختصار شديد، وكان مـــن رأيـــه أن ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم ضدهم من عمل بغيض تثير تفاصـــيله الاشمـــئزاز، ليـــس بسبب أنهم يهود بل لأنهم شعراء هجاؤون ثم يردف فنســـنك ذلـــك بقولـــه: إن أسباب هذه التصرفات الدموية بحق أولئك الشعراء الهجـــائين[٣] قد تبدو لنا غير ذات أهمية، ولكن في مدينة مملوءة بالعداء كان يتوجب على محمد أن يدافع عن نفسه ضد أي شيء يمكن أن يلحق الضرر في قضيته[٤].

أما كعب بن الأشرف، فقد قال ميور عن مقتله: يجب على المرء ألاّ يتغاضى عـــن تـــلك الأعمال الوحشية الجبانة التي سودت صفحات حياة النبي محمد، لقد أدرك محمـــد أن التعـــبير الحر عن مشاعر العداء من قبل أشخاص ذوي نفوذ مثل

---

(١) D.S. Margoliouth, Muhammad and the Rise of Islam, P. 278

(٢) Ibid., P. 278.

(٣) Wensinck, Muhammad and the Jews of Medina, P.110.

(٤) Ibid., P. 110.

كعب بن الأشرف، يمكن أن يقوض سلطته في المدينة، [1]. ثم يضيف ميور قائلاً: إنه يعطي أدق التفاصيل لمقتل كعب، لأنها توضح بإخلاص التعصب الذي لا يرحم، إذ إن تعاليم النبي انحرفت بسرعة عن مسارها[2]. ومن العجيب في أمر ميور إدراكه خطورة إثارة الجماهير ضد النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته وفي الوقت نفسه ينكر عليه إسكات أصوات النشاز، مثل كعب بن الأشرف وغيره من الشعراء الذين وقفوا ضد الإسلام ونبيه !

أما "مرجليوث" فيرى أن قصة مصرع كعب لابد أن تكون حدثت بطريقة مخالفة لما هو شائع في كتب السيرة التي تذكر لنا أن الرسول يطلب علناً ممن حوله من أصحابه أن يقتلوا كعب بن الأشرف. وكذلك لا يمكن تصديق أن شراء الطعام مقابل ضمان يحتاج أن يكون سراً [3]. لذلك فإن مرجليوث، يفترض أن قصة الهجوم الليلي على كعب قصة مختلقة، ولابد من الافتراض أن كعباً خرج ليلاً لمقابلة أصحابه بذريعة الهجوم على النبي، وهي مغامرة جعلتها خيانة رفاقه تأخذ اتجاهاً مغايراً وغير متوقع[4].

ومهما يكن نصيب فرضيات مرجليوث من الصحة فإن المقدم عليها ما جاء في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله،وهي الرواية التي يؤكد فيها أن محمد بن مسلمة ورفاقه ذهبوا إلى كعب بن الأشرف بذريعة شراء الطعام منه ورهنه السلاح وما نتج من ذلك من قتل لكعب؛لأنه"قد آذى الله

---

(1) Muir, The life of Muhammad., P. 246.

(2) Ibid.,P. 248.

(3) Margoliouth, Muhammad., Pp. 278 - 88.

(4) Ibid.,P. 288.

ورســوله"[1]وحتى لو كان الأمر حسب ما افترض مرجليوث فإن تلك الفرضيات ليســت ذات أهمية بالنسبة إلى مقتل كعب، فالسبب في مقتله واضح، أما الذريعة التي توسل بها من تطوعوا لقتله فليست بذات أهمية.

وكذلــك فإن تور أندريه T. Andrae تطــرق بإيجاز إلى سبب مقتل كعب، ويــرى أن كعباً الذي تجرأ على الذهاب إلى مكة بعد معركة بدر بغرض تحريض قــريش عــلى الثأر من محمد عن طريق قصائده الساخرة سقط هو الآخر ضحية لانــتقام الــنبي[2]. ويظهر أن تور أندريه وغيره من المستشرقين أمثال مرجليوث وفنســنك قد غاب عن بالهم أن كعب بن الأشرف أحد يهود بني النضير البارزين ولابــد أنه كان طرفاً في المعاهدة أو المعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه إبان مقدمه المدينة وأنه يَعدُّ أحد مواطني الدولة التي نشأت حديثاً في المديــنة برئاسة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أي خروج عليها أو تحريض على الــنيل مــنها يُعَدُّ خيانة يجب العقاب عليها وخرقاً للاتفاقيات الموقعة بين الجانبين. إضــافة إلى ذلــك فلو سكت النبي صلى الله عليه وسلم على تصرفات كعب غير اللائقة التي عبر عنها في قصائده، ونال فيها من شخص الرسول الكري،م وخدش سمعة بعض نساء المسلمين في المدينة، إضافة إلى تحالفه مع قريش – أقول لو سكت الرســول عــلى ذلك كله لتجرأ الكثير من اليهود والمنافقين على الرسول وجماعة المسلمين مما يؤدي بالضرورة إلى اهتزاز هيبة الدولة الناشئة، مما يهوّن على الأعداء التحرش بها. لذلك فلم يكن هناك بد من إسكات ذلك الصوت النشاز، الذي نشأ عن إسكاته خوف اليهود، فأصبح كل يهودي بالمدينة يخاف على نفسه [3].

والغــريب في أمــر تــور أندريه أنه يدرك مدى خطورة الهجاء بالنسبة إلى

---

(١) البخاري: الصحيح، ١٤٨١/٤ – ١٤٨٢ (حديث: (٣٨١١).

(٢) T . Andrae, Muhammad the Man and his Faith, Pp. 207 - 208.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٦٠/٣، والواقدي: المغازي، ١٩١/١ – ١٩٢.

العرب، فهو يقول: يجب ألاّ ننسى أن شعر الهجاء السياسي يُعَدُّ في بلاد العرب في ذلك الوقت بصورة خاصة سلاحاً مميتاً [(١)]. ثم يضيف قائلاً: بالنسبة إلى رجل مثل محمـــد الـــذي يعتمد نجاحه على قدر كبير من الاحترام الذي يستطيع تحقيقه، فإن الهجاء قد يكون أكثر خطورة عليه من الهزيمة في معركة[(٢)]. فما دام الهجاء بمثل هذا القـــدر من الخطورة، لإنه سلاح مميت وأشد خطورة من الهزيمة في ميدان المعركة، فمـــا الـــذي ينتظر أندريه وغيره من المستشرقين من رجل مثل النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعله تجاه كعب بن الأشرف ومن على شاكلته من الشعراء الذين وظفوا شـــعرهم للـــنيل من النبي الكريم والمجتمع المسلم ؟ أليس في قتلهم قطع لدابر الفتنة وسد لمنافذ الشر ؟

---

(١) Andrae, T., Muhammad , P. 208

(٢) Ibid.,P. 208.

الفصل الرابع

العلاقة مع بني قينقاع

١ – الموادعة والخروج عليها

٢ – المستشرقون ومصير بني قينقاع

الفصل الرابع

العلاقة مع بني قينقاع

بـــنو قيـــنقاع إحدى القبائل اليهودية الثلاث المشهورة في المدينة، وكانوا حلفاء للخزرج، وقاتلوا إلى جانبهم ضد إخوانهم من يهود قريظة يوم بُعاث[1]. ثم لمـــا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وادع يهودها، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم[2]. وذكر ابن حجر نقلاً عن ابن إسحاق أن الـــنبي صلى الله عليه وسلم وادع اليهود لما قدم المدينة وامتنعوا من اتباعه، فكتب بينهم كتاباً وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع والنضير وقريظة[3].

وذكـــر الواقدي رواية عن ابن كعب القرظي أكثر تفصيلاً، قال: "لما قدم رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم المدينة، وادعته اليهود كلها، وكتب بينه وبينها كتاباً، وألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفائهم، وجعل بينه وبينهم أماناً، وشرط عليهم شروطاً، فكان فيما شرط ألا يظاهروا عليه عدواً [4].

وجاء عند البلاذري رواية تختلف بعض الشيء عما أورده الواقدي بخصوص المعـــاهدة مع اليهود، ولم يذكر سند الرواية، قالوا " وكان رســـول الله صلى الله

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٨٨ - ١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ٢/١٤٧.

(٣) ابـــن حجـــر العسقلاني: فتح الباري، ٧/٣٥٠، لم يرد في سيرة ابن هشام الإشارة إلى القبائل اليهودية الثلاث، بل اكتفى بالتعميم إذ قال: وادع يهود وعاهدهم، ٢/١٤٧.

(٤) الواقدي: المغازي، ١/١٧٦.

عليه وسلم عند قدومه المدينة وادع يهودها، وكتب بينه وبينهم كتاباً واشترط عليهم ألاّ يمالئوا عدوه وأن ينصروه على من دهمه وألاّ يقاتل عن أهل الذمة "[1].

ولدينا رواية للبلاذري في فتوح البلدان أكثر اختصاراً ذكر فيها أنه "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كتب بينه وبين يهود يثرب كتاباً وعاهدهم عهداً... "[2] وجاء عند الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وادع حين قدم المدينة يهودها، على ألا يعينوا عليه أحداً وأنه إن دهم بها عدو نصروه[3].

من الواضح أن كل هذه الروايات التي تشير إلى الموادعة أو العهد أو الكتاب بين النبي واليهود إنما تشير إلى ذلك الحدث بصورة عامة ولا تقدم تفاصيل وافية ولا تنص على قينقاع بصورة خاصة، وهذا يقود إلى استنتاج أن هذا الضرب من الموادعة لا يعدو كونه نوعاً من التفاهم المبدئي على التعايش بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود؛ وذلك قبل يوم بدر وما أسفر عنه من نتائج غيرت مجرى الأحداث، وليس من المستبعد كذلك أن هذا النوع من التفاهم قد تم بين النبي صلى الله عليه وسلم والقبائل اليهودية الأخرى كل واحدة على انفراد؛ وذلك لصعوبة جمعهم في صحيفة واحدة للأسباب التي سبق الحديث عنها، لعل من أهمها عدم الوئام فيما بين تلك القبائل بسبب ذلك العداء التاريخي فيما بينهم.

١ - الموادعة والخروج عليها :

يظهر من روايات السيرة أن قبيلة بني قينقاع كانت أول القبائل اليهودية التي أسلم بعض أفرادها إما عن إيمان ويقين، مثل حبرهم عبد الله بن

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٨٦/١، وقارن، ص ٣٠٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٤٧٩/٢.

ســـلام[1] أو تعوذاً بالإسلام وهم يضمرون النفاق. وقد ذكر ابن إسحاق ثمانية من كبار أحبارهم الذين اشتهروا بالنفاق[2].

إن المتتبع للعلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قينقاع في المرحلة الأولى يظن أن الأمر ربما ينتهي بإسلام معظم بني قينقاع لاسيما أن سيدهم وكبير أحبارهم عبد الله بن سلام قد أعلن إسلامه في الأيام الأولى لمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولكن الغريب في الأمر أن العلاقة بين الطرفين لم تتطور أو تصل إلى هذا المستوى المرجو ! بل سارت على النقيض من ذلك.

لهـــذا الســـبب فإن الباحث يسأل ما الذي قاد إلى سوء العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني قينقاع حتى آل الأمر إلى طردهم من المدينة ؟

إن أولى الروايات التي تتعلق بما حدث بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قيـــنقاع ما ذكره ابن إسحاق من أنه فيما بين بدر وأُحد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع في سوقهم، ثم قال:

" يـــا معشـــر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم"، قالوا: يا محمد إنك ترى، أنا قومك ! لا يغرنك أن لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٨٨ – ١٨٩.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٧٤ – ١٧٥، فقد ذكر ثمانية من أحبار يهود من بـــني قينقاع وهم: ١– سعد بن حنيف، ٢– زيد بن اللُّصَيت، ٣– نعمان بن أوفى بن عمرو، ٤ – عثمان بن أوفى، ٥ – رافع بن حُريملة، ٦ – رفاعة بن زيد بن التابوت، ٧ – سلسلة بن برهام، ٨ – كنانة بن صوريا، وقارن البلاذري في: أنســـاب الأشراف، حيـــث يلاحظ بوضوح الاختلاف في أسماء زعماء بني قينقاع وزعماء قريظة سواء من تعوّذ منهم بالإسلام أو من بقي على يهوديته. ص ص: ٢٨٤ – ٢٨٥.

منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس[1]. ولم يذكر ابن إسحاق السـبب الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يهود بني قينقاع إلى الإسلام دون غيرهـم من القبائل اليهودية الأخرى. ثم ذكر ابن إسحاق آيتين من سورة آل عمـران وقـال: إنهما نزلتا في بني قينقاع، وهما قولـه تعالى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢].

وقوله تعال: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

ثم يردف ابن إسحاق قائلاً: إن عاصم بن عمر بن قتادة حدثه أن بني قينقاع كـانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاربوا فـيما بين بدر وأُحد. فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمـه. ويشير ابن إسحاق بعد ذلك إلى تدخل عبد الله بن أُبي بن سلول لصالح بني قينقاع، حيث منّ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقـال لابن أُبي، " هم لك " وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة[2].

ومـن الملاحظ أنه في أثناء عرض ابن هشام لرواية ابن إسحاق المتعلقة ببني قيـنقاع يضيف في السياق رواية لعبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عـن أبي عـون لم ترد عند ابن إسحاق ومضمونها أن امرأة من العرب ذهبت إلى سوق بني قيـنقاع وجلست إلى صائغ هناك فجعل اليهود يريدونها على كشف وجهها وهي تأبى ثم عمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضـحكوا بها، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[3].

---

(١) ابن هشام: السيرة، ٣/٥٠، وأبو داود، السنن، ٢/١٧٠ (حديث: ٣٠٠١).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥١ - ٥٢.

(٣) ابن هشام: المرجع السابق، ٣/٥١.

أما ابن عبد البر فإنه ينسب إلى ابن إسحاق، أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر أتاه بنو قينقاع، فقالوا له: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أن نلت من قومك ما نلت، فإنه لا علم لهم بالحرب، أما والله لو حاربتنا لعلمت أن حربنا ليس كحربهم وإنا لنحن الناس[1]. وهذا يخالف المشهور من رواية ابن إسحاق.

ويقدم الواقدي أكثر من رواية لتفسير سبب الصدام الذي وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قينقاع: الرواية الأولى ينتهي سندها بابن كعب القرظي، وفحواها أنه لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر منتصراً بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد، فأرسل إليهم فجمعهم، ثم قال: " يا معشر يهود، أسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش". فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من لقيت، إنك قهرت قوماً أغماراً ،وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا. فبيناهم على ما هم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد، جاءت امرأة نزيعة من العرب تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع، فجلست عند صائغ، في حُليّ لها، فجاء رجل من يهود بني قينقاع فجلس من ورائها ولا تشعر، فخلّ درعها إلى ظهرها بشوكة، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، فاجتمعت بنو قينقاع فقتلوا الرجل ونبذوا العهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاربوا وتحصنوا في حصنهم. فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم، فكانوا أول من سار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُجلي يهود قينقاع، وكانوا أول يهود حاربت "[2].

---

(١) يوسف بن عبد الله بن عبد البَرْ النمري القرطبي: **الدُرر في اختصار المغازي والسير**، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثانية (دمشق وبيروت: مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). ص ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) الواقدي: المغازي، ١/١٧٦ - ١٧٧.

أما الرواية الثانية للواقدي التي نقلها عن الزهري عن عروة، فهي تكاد تكون على النقيض من الرواية الأولى، قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿ وإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]

فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية. فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب. قالوا: أفننزل وننطلق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، إلا على حُكمي !

فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بهم فربطوا. قال: فكانوا يكتفون كتافاً ... ثم توسط في شأنهم عبد الله بن أُبي بن سلول فأطلقوا وكانوا أربع مئة دارع وثلاث مئة حاسر. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعنهم الله ولعنة معهم وأمر بهم أن يجلوا من المدينة[1].

أما ابن سعد كاتب الواقدي فيقدم رواية لا تختلف كثيراً عن الرواية الثانية للواقدي، وتفيد أن بني قينقاع من يهود، وكانوا حُلفاء لعبد الله بن أُبي بن سلول، فوادعوا النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمرة (المدة؟) فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ وإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أخاف بني قينقاع". فسار إليهم بهذه الآية فحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة سنة ٢هـ، فكانوا أول

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٧٧ - ١٧٨.

مـــن غدر من اليهود وحاربوا وتحصنوا في حصنهم. فحاصرهم أشد الحصار حتى قـــذف الله في قـــلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. على أن لـــه أموالهم، ولهم النساء والذرية. وأمر بهم أن يُجلوا من المدينة[1].

إن الروايات السابقة تكاد تجمع على أن بني قينقاع نقضوا العهد الذي بينهم وبـــين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ذلك حدث بعد غزوة بدر الظافرة، إذ بغـــت اليهود ونقضت عهدها مع رسول الله. ثم يلاحظ في الروايات السالفة أكثر من محاولة لتفسير ما حدث من اضطراب في أمر العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وســـلم ويهود بني قينقاع، فمثلاً ذكر ابن إسحاق في روايته أن الرسول صلى الله عـــليه وسلم عندما عاد من بدر جمع بني قينقاع في سوقهم[2] ،ودعاهم إلى الإسلام ولكـــنهم قابـــلوا دعوته بالرفض والسخرية وتخويفه من بطشهم، وأنهم أول يهود نقضـــوا العهـــد. وأن رســـول الله صلى الله عليه وسلم حاصرهم حتى نزلوا على حكمه.

من الواضح أن رواية ابن إسحاق ليس فيها من الأسباب ما يدعو إلى الحرب بـــين الطـــرفين، فالرســـول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بني قينقاع إلى الإسلام فيرفضون الدعوة. ومعروف أن اليهود أهل كتاب، وليس هناك حاجة لقتالهم إذا لم يدخـــلوا في الإســـلام لأن الإسلام يكفل لهم حرية العقيدة، وإذا كانوا قد جاهروا

---

(١) ابـــن ســـعد: الطبقات، ٢/٢٨ – ٢٩، وقارن الواقدي: المغازي، ١/١٧٨ – ١٧٩، ويذكـــر محـــرر مادة (قينقاع)في **الموسوعة اليهودية**، أن بعض بني قينقاع رحلوا إلى منطقة الخليج العربي .

انظر: EJ, vol: 13, Pp. 1418-1149.

(٢) انظر: سوق بني قينقاع، عند السمهودي: وفاء الوفاء، ٢/٤ ١٢٣٨ – ١٢٣٩.

الرسول صلى الله عليه وسلم بغليظ القول، فلم يكن معروفاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم سهولة الاستثارة بمثل سخيف القول الذي ينسب إلى بني قينقاع بل على العكس من ذلك يعرف عنه الحلم والتسامح.

أما ما أضافه ابن عبد البر على لسان ابن إسحاق من أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين عاد من بدر، ذهب إليه بنو قينقاع وقللوا من قيمة النصر الذي أحرزه على قريش وهددوه وتوعدوه. فإن مثل هذا التصرف آخر ما يمكن فهمه بل قبوله، إذ لا يمكن منطقياً أن تذهب جماعة صغيرة من اليهود وتستدعي عداوة القائد المنتصر وتطلب منه المنازلة، فالقائد الذي قاد قلةّ من أصحابه إلى النصر الحاسم على ما يقارب الألف من أعدائه ليس بعاجز عن منازلة من هم أقل منهم شأناً وأهون بأساً كبني قينقاع مثلاً.

أما رواية الواقدي الأولى فتذكر أنه لما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم، من بدر منتصراً، بغت اليهود وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الإسلام وحذرهم مغبة ما حدث لقريش، ولكنهم استخفوا بذلك، وهددوا رسول الله، وحذروه من الصدام معهم،وأن العداوة بقيت بينهم كذلك ،مع نبذ العهد حتى حدثت حادثة المرأة المسلمة في سوق بني قينقاع وما أسفر عنها من قتل اليهودي على يد المسلم وثأر اليهود لقتيلهم، وأنهم حاربوا وتحصنوا في حصنهم.

إن التأمل في هذه الرواية يبين أنه لم يُحدد المقصود باليهود الذين بغوا وقطعوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هم يهود المدينة عموماً أم يهود بني قينقاع بوجه خاص؟ ثم هل يمكن عَدّ انتصار المسلمين في بدر مناسبة جيدة لأن يكشف اليهود عن قطعهم للعهد وغدرهم بالرسول ؟ إنه أمر يصعب قبوله، لو حدث هذا يوم أُحد مثلاً لأصبح أكثر قبولاً.

أمـــا حادثة المرأة المسلمة وما تعرضت لـــه من إهانة في سوق بني قينقاع إن كـــانت هذه الحادثة قد وقعت فعلاً علماً أن ابن سعد والطبري لم يعيراها بالاً و لم يأتيـــا عـــلى ذكرها في حديثهم عن غزوة بني قينقاع[1]. فإن أمرها قد حُسم بأن ثـــأرت جميـــع الأطراف لنفسها، فلم يبق ما يدعو إلى الحرب. زد على ذلك إذا كـــانت بـــنو قينقاع قد نبذوا العهد وحاربوا وتحصنوا في حصنهم، فكيف تكون الحـــرب وهم قد حصروا أنفسهم في حصنهم أو حصوهم ؟ المعروف أن المحاربين يخـــرجون مـــن الحصـــون ويقاتلون الأعداء وهذا لم يحدث لبني قينقاع فقد ظلوا محصورين في حصنهم حتى استسلموا لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن الذي يستنبط من كلام الواقدي أن الموقف بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهـــود ظل متأزماً بعد معركة بدر، ويمكن فهم سبب التأزم، وقد جاءت حادثة سوق بني قينقاع ففجرت الصراع بين المسلمين ويهود بني قينقاع فكانت كالقشة التي قصمت ظهر البعير. وسبق لابن هشام أن ذكر أن سبب القتال الذي وقع بين المســـلمين وبـــني قينقاع يعود بشكل رئيس إلى حادثة سوق بني قينقاع، علماً أن القصـــة بمقيـــاس المحدّثـــين ضعيفة جداً [2]. أما الرواية الثانية التي ساقها الواقدي، وكذلك الرواية التي نجدها لدى ابن سعد فإنهما متشابهتان إلى حد كبير، سوى أن روايـــة ابن سعد تذكر أن بني قينقاع كانوا قد وادعوا النبي صلى الله عليه وسلم، فهمـــا تعـــزوان سبب محاربة الرسول لبني قينقاع إلى خشيته من خيانتهم، لأن الله تبارك وتعالى أنزل على نبيه قوله تعالى:

﴿ وإِمَّـــا تَخَـــافَنَّ مِـــنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) انظر: ابن سعد:الطبقات، ٢/٢٨-٢٩، والطبري:تاريخ الرسُل والملوك: ٢/٤٧٩- ٤٨٢.

(٢) انظر: العُمري: السيرة النبوية الصحيحة، ١/٣٠٠ .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:" أنا أخاف بني قينقاع". فسار إليهم وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه[1].

ولكن لعل ما يجعل هذا السبب أقل قبولاً عند المؤرخ، ما يجده عند المفسرين في تأويل هذه الآية الكريمة. فقد ذكر الطبري أن هذه الآية نزلت في عموم من تخاف خيانته من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد. ثم ذكر في موضع آخر، وقيل: نزلت هذه الآية في بني قريظة[2]. أما القرطبي فقد أورد عدة أقوال في تفسير الآية وأول هذه الأقوال، أنها نزلت في بني قريظة وبني النضير[3] أما بقية الأقوال فإنها لم تشر لبني قينقاع لا من قريب ولا من بعيد[4].

وعلى كل، إذا كانت هذه الآية التي تتحدث عن الخيانة لا تتصل بيهود بني قينقاع بل تخص يهوداً غيرهم. فما الخيانة التي ارتكبوها بحق النبي وأصحابه وما الغدر الذي قاموا به ضد المسلمين، حتى تصفهم مصادر السيرة بأنهم " أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد"[5]. وتصفهم كذلك بمثل عبارة " بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد "[6].

---

(١) انظر: ابن سعد: الطبقات، ٢/٢٩، وانظر كذلك مادة: قينقاع (Qaynuqa) في: Ej, vol: 13, Pp. 1418 - 1419.

فقد اعترف كاتب المادة أن يهود بني قينقاع كانوا قد نقضوا عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) محمد بن جرير الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (بيروت: دار الفكر ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ٩/٢٦ - ٢٧، وقارن: تفسير ابن كثير، ٤/٧٩-٨٠.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨/٣١.

(٤) القرطبي: المرجع السابق: ٨/٣١-٣٣.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥١.

(٦) الواقدي: المغازي، ١/١٧٦.

ورواية ثالثة تقول: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من بدر أظهروا الغش "[1] ورواية رابعة جاء فيها عن بني قينقاع " فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة "[2] ومن الواضح كذلك أن كل هذه التهم ليس فيها ما يفيد عن طبيعة الجرم الذي ارتكبه بنو قينقاع على وجه التحديد، فالحسد والغش صفات لأمراض نفسية لا تعالج بالحصار والحرب. أما البغي وهو مجاوزة الحد اصطلاحاً فلا يمكن تحديد طبيعة ذلك التجاوز إلا بتفسير المقصود منه على وجه أكثر دقة. فهل المقصود بتجاوز الحد أو البغي أن بني قينقاع تآمروا مع أعداء المسلمين أو أنهم زودوا أعداء المسلمين بالسلاح أو الميرة أو دلوهم على العورة؟ إن تحقيق هذه التهم على وجهها الصحيح يحتاج إلى جُهد كبير، وليس في المصادر المتاحة للبحث ما يساعد على تحقيق ذلك.

أما القول إنهم نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنهم بغوا وقطعوا ما كان بينهم وبينه من العهد. فمن المعروف بداهةً أنه إذا كان هناك عقد بين طرفين ورغب أحدهم في فسخه فليس هناك ما يحول دون ذلك.

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه إذا أوجس خيفة أو شك في صدق وولاء ممن بينه وبينهم ميثاق أو عهد، فعليه أن يخطر الطرف الآخر بالرغبة في فسخ ذلك الاتفاق لقوله تعالى:

﴿ وإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٨٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٢/٢٩، جاء عند ابن سعد أنهم نبذوا العهد والمرة، وصوابها المدة حسب ما جاء عند ابن سيد الناس في عيون الأثر، ١/٢٩٥.

وهكـــذا فـــإن بـــني قينقاع نبذوا عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحاربوا وتحصنوا في حصنهم[1]، وكانوا أول يهود حاربت[2].

إن العـــرض السابق لمرويات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قينقاع ليس محاولة للدفاع عن بني قينقاع ولا لتبرئة ساحتهم. فاليهود عموماً عُرف عـــنهم المكـــر والخـــداع ونقض العهود. والقرآن الكريم أصدق شاهد على ذلك وحاضـــر اليهـــود وما يفعلونه في فلسطين وفي غيرها شاهد صدق على ما جاء في القرآن عنهم، ولكن الذي تحاول هذه الدراسة الوصول إلى معرفته هو طبيعة الجناية التي قام بها بنو قينقاع حتى استحقوا عقوبة الجلاء.

ليس في الروايات التي سبق عرضها ما ينبئ على وجه دقيق عن طبيعة الجُرم الذي ارتكبه يهود بني قينقاع، حيث إن قصة المرأة في سوق بني قينقاع لا تعد من الناحية المنطقية سبباً كافياً لمعاقبة بني قينقاع. أما أن يتحرش اليهود بالرسول صلى الله عـــليه وســـلم وأصحابه بعد مرجعه من بدر منتصراً واستدراجه للحرب فأمر مســـتبعد تماماً، فلو أن ذلك تمَّ قبل بدر لأمكن قبوله ولو تم بعد غزوة أُحد لأصبح أكـــثر قـــبولاً لا سيما أن وضع الرسول السياسي أصبح حينذاك حرجاً وذلك من الناحية العسكرية على الأقل فقد، أصبح أقل قوة منه في يوم بدر مما أغرى الأعداء بالنيل من هيبة المسلمين[3]. أما بعد بدر فإن الأمر صار مختلفاً تماماً ومن المستهجن أن يحدث مثل هذا التصرف من اليهود لأنه يدل على الطيش والحمق وقصر النظر.

---

(١) الواقدي: المغازي، ١٧٧/١، وقارن ابن هشام: السيرة النبوية، ٥١/٣، وانظر أقوال المفسرين في معنى نبذ العهد لدى القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣١/٨-٣٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ١٧٧/١.

(٣) انظر مثلاً: يوم الرجيع سنة ٣هـ وكذلك بئر معونة في صفر سنة ٤هـ، عند: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٧٨/٣ - ١٩٣ - ١٩٩ .

ثم ماذا فعلوا بعد أن أغروا الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم ؟ لقد نبذوا العهد وأعلـــنوا الحرب وأغلقوا دونهم أبواب حصونهم. وهل تكون الحرب بهذه الصفة ؟ أي أن يعتصـــموا بحصونهم ! ويفرضوا على أنفسهم الحصار حتى يستسلموا لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

إن أمـــر بـــني قينقاع وما وقع منهم تجاه المسلمين وما نتج من ذلك من عقوبـــة لهم لا يزال في نظر أي باحث مدقق بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء، ومن المؤســـف أن المصادر المتوافرة للبحث حالياً لا تسعف في الخروج برأي دقيق حول مـــا حـــدث. ولابـــد أنهم قاموا بجرم كبير أكبر مما تذكره المصادر حتى استحقوا مصادرة الأموال وتجريدهم من السلاح وإجلائهم عن البلاد[1] بل قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد همّ بقتلهم[2]. فمن المحتمل أنه في أثناء إنشغال الرسول في معـــركة بدر وبعد عودته منها أدرك مدى خطورة مجاورة بني قينقاع للمسلمين في المديـــنة، وربما أنه قد بدر منهم في ذلك الوقت ما ينبئ عن ذلك إذ لا يستبعد أنهم كـــانوا عيناً للعـــدو على المسلمين يدلونه على عوراتهم ويفضحون أسرارهم كما كانوا يسعون للدس بين المهاجرين والأنصار، ممـــا أدى إلى تأزم الأمر بين الفريقين

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٧٧ - ١٧٨، وابن سعد: الطبقات، ٢/٢٩، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٤٨١. ويذكر محمد غنايم عندما تحدث عن موقف بني قينقاع من الرسول صلى الله عليه وسلم: " كان المفروض أن يقف هؤلاء اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حربه ضد الكفار في غزوة بدر ولكنهم على العكس من ذلك أخذوا يروجون الشائعات ضد المسلمين... حيث نقلوا كافة المعلومات عن نوايا المسلمين وحركاتهم إلى قريش، كما أنهم قد تلقوا رسالة من قريش تحرضهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فأظهروا الحسد والبغي بعد انتصاره على المشركين "، ص ٥١٣.

(٢) الواقدي: المغازي، ١/١٧٧ - ١٧٨، وابن سعد: الطبقات، ٢/٢٩، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٤٨٠.

و أصبح أقل حادث – كحادث السوق مع المرأة – كفيل بالغليان الشعبي. لهذا قام الرسول صلى الله عليه وسلم بطردهم من المدينة.

٢ – المستشرقون ومصير بني قينقاع:

أما المستشرقون فلهم نظرتهم الخاصة بالنسبة إلى العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبني قينقاع، فإدوارد جيبون (ت: ١٧٩٤) Edward Gibbon مثلاً يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم استغل بعض الاضطراب العارض في المدينة ليجتمع ببني قينقاع، ويخيرهم بين اعتناق دينه (الإسلام) أو الحرب. وأن موقف بني قينقاع كان ضعيفاً جداً وذلك أنهم أجابوا محمداً بهلع وهم يرتجفون قائلين: نحن لا نحسن استخدام السلاح، ولكننا نتمسك بدين آبائنا، وهكذا حُسم الصراع غير المتكافئ بعد خمسة عشر يوماً لمصلحة محمد، الذي أبقى بعد إلحاح شديد على حياة الأسرى[1].

فالمسألة في نظر جيبون هي خيار صعب بين تغيير المعتقد أو الحرب، وأما ما عدا ذلك من الأسباب فلا قيمة له. وينسى جيبون أنه" لا إكراه في الدين" وأن الإسلام يعترف بحرية العقيدة، ويحترم عقائد أهل الكتاب، بل إن ما عرف بصحيفة المدينة كفلت لليهود حريتهم الدينية، ويظهر جلياً أن جيبون لم يحاول التعرف إلى الأسباب التي دفعت بالأمور إلى تلك النهاية المرة بين الطرفين. وكذلك فإن ميور يقول إن مقاصد محمد أصبحت بالنسبة إلى يهود بني قينقاع واضحة، إن المسألة ليست مجرد حادثة تافهة كإهانة المرأة؛ لأن الدم قد أهريق بين الطرفين، ولو لم

---

(١) Edward Gibbon and Simon Ockley . **The Saracens : Their history and the Rise and fall of their Empir.** (London: 1984) P. 35.

يكـــن هناك عداوة لا تلين وتصميم مسبق لاقتلاع اليهود، لكان بالإمكان تسوية الخلاف بسهولة. زيادة على ذلك يقول ميور: إن المعاهدة تلزم محمداً بالتعامل مع قبيـــلة بني قينقاع بعدل وبصورة ودية، بحيث إن المذنب وحده هو الذي يجب أن يعاقب. وبالطبع، كما يقول ميور، فإن نزاعاً غير ذي أهمية كهذا، لدرجة أن بعض مؤلفـــي الســـيرة لم يشيروا إليه على الإطلاق أي - حادث سوق قينقاع - كان مسوغاً كافياً للوحي الإلهي أن يهاجم اليهود ويكشف خيانتهم(١).

يلاحـــظ هنا أن ميور يجعل من حادث سوق بني قينقاع صُلب المشكلة التي نشـــأت بـــين الـــنبي صلى الله عليه وسلم وبني قينقاع، علماً أن تلك الحادثة قد أُسقطتْ من قبل المحدّثين وأُهملت من قبل بعض المؤرخين، كما ذُكر سابقاً. ولكن ميـــور يُصر في موقفه هذا على مشكلة السوق، ويسخر كذلك من الوحي، بحيث أن الوحـــي أصـــبح في نظـــره يتصيد الفرص لإلصاق التهم ببني قينقاع ووصمهم بالخيانة. ولأن ميور لم يكلف نفسه البحث عن أسباب أخرى للمشكلة، فليس من العـــدل إضـــاعة وقت القارئ في الرد عليه. لذلك فإن حادثة السوق لا تصلح أن تكـــون مســـتنداً تاريخياً لتسويغ ما حدث ليهود بني قينقاع في أواخر السنة الثانية للهجرة.

أما " فنسنك " فقد أشار إلى الآية الكريمة:

﴿ وإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

في معرض حديثه عن غزوة بني قينقاع وعلق عليها قائلاً: إنه من الممكن أن محمـــداً كان يتمنى أن يُوحى إليه مثل هذه الكلمات [هكذا] قبل أن يقوم بالعمل،

---

(١) Muir, The Life of Muhammad, P. 242.

وعلى أي حال إن أفعال محمد هذه تؤكد رأينا بأنه لم يكن هنـــاك غش أو مخاتلة من جانب اليهود[1]، لذلك فإن أول الضحايا نتيجة لتغير تصرف محمد بعد معركة بـــدر كـــانوا بـــني قينقاع[2]. ولم يبين فنسنك الدليل على أن يهود بني قينقاع لم يظهروا غشاً ومخاتلة، ولم يبين كذلك ممن كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى أن يوحى إليه بالآية السابقة.

وكذلـــك فـــإن جرونباوم Grunebaum [3] حين تطرق إلى قضية بني قينقاع ذكر أن محمداً (الرسول) استغل هذه الموجة من الحماسة والاحترام والهيبة المتزايدة لمصـــلحته، مســـتخدماً بعـــض الحوادث التافهة ذريعة لطرد أول قبيلة من القبائل اليهوديـــة بعد شهر من غزوة بدر. فبعد حصار قصير أُجبرت قبيلة بني قينقاع على مغادرة المدينة تاركين وراءهم أسلحتهم وممتلكاتهم غير المنقولة، التي استولى عليها المهاجـــرون[4]. وواضح هنا أن جرونباوم مثله مثل فنسنك لم يذكر، الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى حصار بني قينقاع ومن ثم طردهم عن المدينة، فهـــو يوحي للقارئ أن موقف النبي من اليهود قائم على الكراهية لهم والرغبة في

---

(١) Wensinck, Muhammad and the Jews., P. 108.

وقارن مادة:(قينقاع) " Kainuka " للكاتب نفسه في: .SEI., P. 208,.

(٢) Ibid., P. 110.

(٣) جوستاف جرونباوم (١٩٠٩-١٩٧٢): مستشرق نمساوى أمريكي، ولد في فينا، وهاجر إلى أمريكا ودرس في بعض جامعاتها المشهورة. ومن أهم أعماله كتابه: **الإسلام في العصر الوسيط**، ثم اتجهت أبحاثه إلى ميدان الشعر العربي ودراساته. انظر: عبد الحميد حمدان: **طبقات المستشرقين**، ص ص ١١٢ - ١١٣، وانظر: بدوي: موسوعة المستشرقين، ص ١١٩.

(٤) G.E. von Grunebaum, **Classical Islam, A History 600-1258**, trans by Katherine Watson.(Chicago: 1970) Pp. 36-37.

الاستفادة من ثرواهم، لذلك فقد أصبح ما خلفوه من ثروة من نصيب المهاجرين. وهو موقف بلا شك لا يخلو من تحامل وعدم موضوعية.

ولا يـــبعد عن هذا الذي اتخذه جرونباوم، موقف تور أندريه، فقد زعم أن الرســول صلى الله عليه وسلم استخدم نفوذه المتصاعد في المدينة ليثأر من أعدائه اليهـــود. فقد حدث أن يهودياً من بني قينقاع مزح [هكذا] مع إحدى السيدات المـــتزوجات من المسلمين في سوق بني قينقاع وسرعان ما حاصر محمد القبيلة في منازلها. وبعد حصار قصير اضطرت القبيلة إلى الاستسلام فاستفاد محمد من ثروهم التي أُجبروا على تركها لعلاج مشكلة الفقر لدى المهاجرين[1].

إن تفســـير أندريه لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود بني قينقاع يكاد يماثل تماماً تفسير جرنباوم فهو مبني على التعصب لليهود، واقام الرسول صلى الله عـــليه وسلم في موقفه منهم. فالسبب فيما جرى لبني قينقاع يقوم على حادثة الســـوق، والهدف من وراء إجلائهم ومصادرة أموالهم هو حل مشكلة الفقر لدى المهاجـــرين ! ومن الطريف في حادثة بني قينقاع أن ابن إسحاق وهو من أوائل من نقـــلوا أخـــبارها لم يذكـــر قط إجلاءهم أو مصادرة أموالهم، بل لم يشر حتى إلى مصادرة سلاحهم[2].

أما من جاء بعده من المؤرخين مثل الواقدي وابن سعد والطبري وغيرهم فقد ذكـــروا أن الـــنبي صلى الله عليه وسلم ترك للقبيلة الرجال والنساء وأخذ السلاح والأموال وأجلاهم عن المدينة، وأن الأموال قسمت بين عامة أصحاب رسول الله

---

(١) Andrae, Muhammad, P. 207

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥٠ - ٥٣.

صـــلى الله عليه وسلم[1]. لذلك فإن أموالهم لم تكن مقصورة على المهاجرين دون ســـواهم مـــن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهنا يظهر بطلان مقولة أندريه من إن مصادرة أموالهم كان الغرض منها حل مشكلة الفقر لدى المهاجرين. ولعـــل مـــن أكـــثر مواقف المستشرقين غرابة من قضية بني قنيقاع ما نجده لدى مرجـــليوث إذقـــال: إن شـــحب الوحي لليهود قد مهد في ذلك الوقت الطريق للمسلمين لمهاجمتهم. لذلك فإن نهب متاجرهم سيقدم حلاً سهلاً ومرضياً ومخرجاً مـــن الضائقة التي سببها تهور حمزة[2]. ومن المحتمل أن المشاجرة مع بني قينقاع قد أدت إلى إلغاء المعاهدة ومن ثم مهاجمة منازل الصاغة (بني قينقاع) وما من شك في أن منازل سبع مئة من أغنى أفراد المجتمع حينذاك وممتلكاتهم جعلت المسلمين أغنياء بالموازنـــة بحالهم السابقة. ولهذا فإن علي بن أبي طالب يستطيع الآن أن يوفر هدية الزواج الضرورية لفاطمة، وهكذا فقد أُنجز احتفال الزواج السعيد[3].

وهكـــذا فـــإن مستشـــرقاً كبيراً مثل مرجليوث لا يتعدى تفسيره لما حدث المفهوم المادي، فعنده أن منازلة بني قينقاع ومصادرة ثرواتهم وإجلاءهم كان سببها اقتصادياً خالصاً وهو تعويض علي بن أبي طالب عن فقدانه لجماله التي ذبحها حمزة وكان علي يُعدها للزواج من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم

---

(١) الواقدي: المغازي، ١٧٦/١ - ١٧٧، وابن سعد: الطبقات، ٢٩/٢ - ٣٠، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٤٧٩/٢ - ٤٨٢.

(٢) يشير مرجليوث هنا إلى حادثة حمزة بن عبد المطلب عندما بقر بطون نياق علي بن أبي طالب وكان ثملاً، انظر: البخاري، الصحيح، ٨٣٧/٢ (حديث:٢٢٤٦) باب بيع الحطب والكلأ، ومسلم: صحيح مسلم، ١٥٦٨/٣ - ١٥٧٠، كتاب الأشربة (حديث: ١، ٢).

(٣) Margoliouth, Muhammad and the Rise of Islam, Pp. 282 - 86

أيضاً توفير المال اللازم لعلي لإتمام مراسيم الزواج. وكل هذا حسب رأي مرجليوث على حساب يهود بني قينقاع وتشريدهم.

الحقيقة أن الوقت الذي تزوج فيه علي من فاطمة غير متفق عليه، ولكن ليس من المستبعد أنه بعد بدر[1]، وجاء في رواية أنه ربما كان في ذي القعدة من سنة اثنتين بعد وقعة بدر[2]. وذكر البخاري عن علي بن أبي طالب قوله: " أصبت شارفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر، قال: وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفاً أخرى فأنختهما يوماً عند باب رجل من الأنصار وأنا أُريد أن أحمل عليهما إذخراً لأبيعه، ومعي صائغ من بني قينقاع فأستعين به على وليمة فاطمة... "[3]. وواضح هنا أن استعداد علي للزواج من فاطمة ربما كان سابقاً لغزوة بني قينقاع بدليل أن أحد الصاغة من يهود بني قينقاع كان مع علي بن أبي طالب في غمرة استعداده لتجهيز حفل الزواج. ثم إن ابن سعد قدم أكثر من رواية عن صداق علي لفاطمة وليس في تلك الروايات أية إشارة لمغانم بني قينقاع أو نصيب علي منها بل إن أكثر روايات ابن سعد عن صداق فاطمة أنه درع من حديد قيمته أربعة دراهم[4]. وجاء في رواية واحدة فقط ربما تكون أقرب إلى الصواب أن علياً تزوج فاطمة فباع بعيراً له بثمانين وأربع مئة درهم[5]. لذلك فالأمر لا يحتاج إلى تجريد غزوة وحصار قوم وتشريدهم من أجل إتمام زواج

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٦/٢٥٤.

(٢) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/١١٩.

(٣) انظر: البخاري: الصحيح، ٢/٨٣٧ (حديث: ٢٢٤٦)، مسلم: صحيح مسلم، ٣/ ١٥٦٨ - ١٥٧٠.

(٤) انظر: ابن سعد: الطبقات، ٨/٢٠ - ٢١، والبيهقي: دلائل النبوة، ٣/١٦٠ - ١٦١.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ٨/٢١.

علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأمر أيسر مـــن ذلـــك .فالرسول صلى الله عليه وسلم أجاز أن يكون الصداق ولو خاتماً من حديد أو سورة أو أكثر من القرآن الكريم[١].

أما "الفريد دونر" F. Donner فهو يرى أن انتصار النبي في بدر قد دعّم موقفه في المدينة لدرجة شعر معها أنه قادر على طرد بني قينقاع. وما من شك في أن فعله هذا قد قوى مركزه في المدينة، وساعد على إسكات المعارضة إلى حين. ثم يضيف دونر قائلاً: إن أسباب طرد بني قينقاع لم تتضح حقيقة في المصادر[٢]. وبما أن دونر لا يعتقد بصحة أسباب طرد بني قينقاع التي تقدمها المصادر الإسلامية، فهو يفترض أنـــه بما أن بني قينقاع يشتغلون بالتجارة والصناعة فقد نشأت بينهم وبين المكيين علاقات قوية وكان محمد قد بدأ باتخاذ مواقف معادية تجاه نشاط مكة التجاري[٣]. وهكـــذا فـــإن دونر يعتقد أن طرد بني قينقاع ربما كان إحدى الوسائل لإضعاف تجارة مكة.

والحقيقة أنه ليس في المصادر الإسلامية المتوافرة ما ينبئ عن العلاقة التجارية بـــين بني قينقاع ومكة. أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلـــم المعادي لقريش والقاضـــي بمضايقتها تجارياً فقد أصبح معروفاً قبل بدر بل ربما منذ الأشهر الأولى لمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حســـب بعض الأقوال[٤].

---

(١) البخاري: الصحيح، ٥/١٩٧٣ - ١٩٧٤ (حديث: ٤٨٤٢) .

(٢) انظر Fred Donner. " **Muhammad's Political Consolidation**" MW, Lxix, No, 4. Oct, 1979, Pp. 231-232.

(٣) Ibid., P. 232

(٤) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٤٧- ١٤٨، أبو عُبيد: الأموال، ص ص ٢٩١ - ٢٩٤، وحميد الله: الوثائق السياسية، ص ص ٥٩ - ٦٠.

لذلك فإن تفسير دونر لا يقوم على أساس من الصحة. ولا يبعد عن موقف دونـــر من حيث الضعف والتهافت ما ذهب إليه مكسيم رودنسون M.Rodinson حيث يرى أن أحد الدوافع التي دفعت النبي صلى الله عليه وسلم للتخلص من بني قيـــنقاع أنهم أضعف الجماعات اليهودية في المدينة، وضعفهم ليس من حيث القلة العددية بل لأنهم في معظمهم حرفيون[1]. أما الدافع الثاني من وجهة نظر رودنسون الـــذي جعـــل الـــنبي صلى الله عليه وسلم يغزو بني قينقاع فكان نتيجة لحسابات سياســـية وهي أن بني قينقاع كانوا حلفاء لعبد الله بن أُبي بن سلول الزعيم المدني القـــوي، الـــذي قد أيّد قضية محمد ولكن ليس إلى الحد المنتظر من قائد سياسي. لذلـــك فإن ابن أُبي احتفظ بقدر من الاستقلالية جعله خطراً، كما أعطى قدراً من الشك في أن ينقلب ذات يوم ضد محمد ! لذلك كان من الضروري كإجراء وقائي أن يقلل ضرره، وذلك بحرمانه من القوات التي يمكن أن تقدم لـــه العون المحتمل[2] والمقصود بهذه القوات بالطبع هم بنو قينقاع، حلفاء عبد الله بن أُبي.

وغني عـــن القول أنه إذا كان ضعف بني قينقاع يكمن في كونهم حرفيين فـــإن من حاربوهم كانوا في أكثريتهم فلاحين، لذلك تنتفى المفاضلة بين الفريقين. كذلك يجب عدم إغفال قوة بني قينقاع العددية، فقد كانوا أربع مئة دارع وثلاث مـــئة حاســـر[3]. في حـــين كانت عدة المسلمين يوم بدر ثلاث مئة وبضعة عشر مقاتلاً[4]. وكانت عدة المسلمين يوم أُحد أي بعد غزوة بني قينقاع بسنة، مساوية

---

(١) Maxim Rodinson, **Muhammad**. Tr. From french by Ann Carter, nd. Eng. Ed. (England, Benguin Books, 1996) P. 172

(٢) Ibid., P/172.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥٢، الواقدي: المغازي، ١/١٧٧.

(٤) انظر: شام

تقريباً لعدة بني قينقاع[1] فالمسألة إذاً ليست بالعدد ولا كذلك بنوعية حرف المقاتلين.

أما أن يعمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى محاصرة بني قينقاع، ويصادر أموالهم، ويطردهم من المدينة من أجل تجريد عبد الله بن أُبي من قوته؛ حتى لا يصبح خطراً يهدد سيادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فذلك أمرٌ لا يخلو من مبالغة وافتئات. فما كان رسول الله ليظلم قبيلة بكاملها، ويجليها عن موطنها للرغبة فقط في إضعاف خصمه " الخطر " عبد الله بن أُبي خصوصاً وأن ابن أُبي لم يُسلم إلا بعد موقعة بدر، فقد قال هو ومن معه من المشركين: هذا أمر قد توجه، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام[2]. بل ربما لم يُسلمْ ابن أُبي إلا بعد حادثة بني قينقاع، فقد كان يتحدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم بشأنهم مخاطباً إياه باسمه المجرد كقوله: يا محمد، أحسن في موالي [3]، أو قوله: يا محمد، إني امرؤ أخشى الدوائر[4]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: خلّوهم، لعنهم الله ولعنه معهم[5]، فلو كان ابن أُبي مسلماً حينذاك لم يلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

---

(١) جاء في بعض مصادر السيرة أن عدد المسلمين يوم أُحد سبع مئة رجل، انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٧٠/٣، وابن سعد: الطبقات، ٣٩/٢.

(٢) البخاري: الصحيح، ١٦٦٣/٤ - ١٦٦٤ (حديث: ٤٢٩٠)،والبيهقي: دلائل النبوة، ٥٧٨/٢.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٥١/٢،والواقدي، ١٧٧/١.

(٤) الواقدي: المغازي، ١٧٨/١.

(٥) المرجع السابق، ١٧٨/١ .

ولو كان ابن أُبي مسلماً يوم بني قينقاع لتلطف بالقول، وأظهر من الاحترام مـــا يليق برسول الله صلى الله عليه وسلم وما يجب عليه نحوه كمسلم. ورُبّ قائل يقـــول: ومـــا علاقـــة توقيت إسلام ابن أُبي بقضية بني قينقاع ؟ وهو سؤال لــــه وجاهـــته. والإجابة عنه ربما تكون أكثر وجاهة، لأنها تتعلق بالشق الثاني من مقولة رودنســـون Rodinson ،فإذا كان ابن أُبي كافراً إبان أحداث بني قينقاع فما أسهل التخـــلص منه، ولا يحتاج الأمر إلى تجريد جيش، وقتال قبيلة من أجل إضعافه، لقد كـــان من الممكن جداً الإيعاز إلى أحد رجال قومه من الخزرج بالتخلص منه دون كـــل هذا الضجيج. ولكن يبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم تغاضى عن سوء أدبـــه وصـــلافته طمعاً في إسلامه، لاسيما وأن ابنه عبد الله بن عبد الله سبقه إلى الإســـلام، وكان بدرياً[1] إضافة إلى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار، الأوس والخزرج، فربما صبر على أذى ابن أُبي إكراماً لقومه الخزرج.

أمـــا " إسرائيل ولفنسون " فله جملة آراء حول أسباب غزوة بني قينقاع لعل مـــن أهمها، رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تطهير المدينة وأحياء الأنصار من المشركين ومن جميع من يخالفون دينه. وأن يهود بني قنيقاع كانـــوا أغنى طوائف اليهـــود في يـــثرب، لهم الأموال الطائلة والحُلي الكثيرة من الذهب والفضة، وكان العرب يطمعون في ذلك[2].

إن آراء ولفنسون لا تحتاج إلى تعليق لأنها قائمة على التعصب لبني جنسه لا غير. لذلك فهو يفسر بواعث غزوة بني قينقاع بالكراهية لليهود، والرغبة في تطهير

---

(١) ابـــن سعد: الطبقات، ٣/٥٤٠ – ٥٤٢، وخليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص ١١٤، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/٣٢١ – ٣٢٣.

(٢) ولفنسون: ص ١٢٨ .

البلاد منهم والحاجة إلى مصادرة ثرواهم. فالمحرك الأساس لكل ما حدث مرجعه في نظر ولفنسون إلى أسباب دينية ومادية خالصة. وغاب عن باله أن عيش بني قينقاع داخل الأحياء المسلمة في المدينة، ربما جعل منهم عيناً لأعداء المسلمين، ولا يستبعد كذلك أهم كانوا عنصر شغب في المدينة؛ ولأهم أكثر اليهود احتكاكاً بالمسلمين بسبب المخالطة في السكن، فلا غرابة أن أصبح أكثر المنافقين من اليهود هم من بني قينقاع[1]. ومن يتعوذ بالإسلام ويبطن الكفر فلا يستبعد أن يجلب الشر والأذى لمن يعيش بينهم.

ومن بين الآراء التي جانبها الصواب في أمر بني قينقاع، ما ذهب إليه واشنجتون إرفنج Washington Irving [2] فهو يحصر سبب إجلائهم من المدينة بقصة المرأة المسلمة وما حدث لها في سوق بني قينقاع، والمسألة في نظره لا تتعلق بما قيل عن كشف عورتها، كما جاء في بعض المصادر، بل كشف وجهها، فقد روى الحادثة على النحو الآتي: أن بعض شباب اليهود من قينقاع هرهم جمال إحدى الفتيات العربيات، وطلبوا منها أن تكشف الخمار عن وجهها، فرفضت، فغافلها أحد الصاغة اليهود، فربط خمارها بالمقعد الذي كانت تجلس عليه فلما ذهبت واقفة انكشف وجهها. فقام أحد المسلمين وقتل الصائغ، ثم اجتمع اليهود على المسلم فقتلوه، فحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع حتى استسلموا [3].

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٧٤ – ١٧٥.

(٢) واشنجتون إرفنج Washington Irving: مستشرق أمريكي، له عدة كتب وأبحاث لعل من أهمها: **حياة محمد (سيرة النبي العربي)** ١٨٤٩، **فتح غرناطة إسبانية، أوراق إسبانية**، انظر: العقيقي: المستشرقون، ٣/١٣١.

(٣) انظر: واشنجتون إرفنج: **حياة محمد**، ترجمة علي حسني الخربوطي، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار المعارف، د:ت) ص ص ١٦٢ – ١٦٣ .

ومعلوم أن آية الحجاب قد نزلت في نهاية السنة الخامسة للهجرة أي بعد الأحزاب [1]، ثم كيف يبهر اليهود جمال تلك المرأة المسلمة وهي مغطاة الوجه كما يزعم إرفنج ؟ وكشف وجه المرأة المسلمة أهون على الله وعلى رسوله من أن تقوم من أجله حرب وقتال وجلاء قبيلة بكاملها من موطنها، ولهذا فإن ما حدث في سوق بني قينقاع إن كان لابد من تصديقه ما هو إلا أحد الأسباب، بل ربما أضعفها التي دفعت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حصار بني قينقاع وطردهم من المدينة.

وكذلك فإن تفسير بروكلمان لحادثة إجلاء بني قينقاع لا يقل غرابة عما ذكر إرفنج، فهو يرى أن سبب ما حل بهم يعود ظاهرياً إلى قتل اليهود لرجل من المسلمين كان قد قتل يهودياً لخلاف جرى بينهما [2]. ومن الواضح هنا ما يهدف إليه بروكلمان فكأنه يريد القول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد إجلاء يهود بني قينقاع من المدينة، وإنه استغل ظاهرياً قتل اليهود للمسلم. وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون صارماً مع اليهود لكونهم يهوداً فقط، ولكن أعمالهم الاستفزازية هي التي دفعته إلى اتخاذ مواقف متشددة معهم[3].

في الواقع إن شكوكاً تحوم حول المصير الحقيقي لبني قينقاع، فمن الملاحظ مثلاً أن ابن إسحاق الذي يُعدُّ من أوائل من نقلوا أحداث الصدام بين الرسول صلى الله عليه وسلم و بني قينقاع لم يذكر على الإطلاق أمر إجلائهم ولا كذلك أمر مصادرة سلاحهم ومنازلهم[4].

---

(١) انظر: ابن سعد: (ترجمة زينب بنت جحش) ٨/١٠١ - ١١٥.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ص ٥٠ - ٥١.

(٣) انظر: رأي مونتجمري وات في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود في المدينة في كتابه: **محمد في المدينة**، تعريب شعبان بركات، (صيدا: د:ت) ص ص ٣١٨- ٣٣٤ .

(٤) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥٠ - ٥١.

أمـــا يحيى بن آدم (ت: ٢٠٢هـــ) صاحب **كتاب الخراج** فيذكر عن الكلبي أن أول من أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو النضير، ويستشهد بقوله تعالى:

﴿ هُـــوَ الذي أخـــرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهـــــم لأول الحشر ﴾ [الحشر : ٢] [١].

وهذا يعني ضمناً أن بني قينقاع ربما لم يجلوا من المدينة إلا بعد بني النضير.

وجـــاء في رواية عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بيهود قينقاع فرضخ لهم ولم يسهم لهم[٢]. ولم يحدد ابن عباس وقت استعانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قينقاع هل كان ذلك قبل غزوهم أم بعده.

وذكر بركات أحمد أنه لم يتم إجلاء بني قينقاع إلا في عهد عمر بن الخطاب إذ تم الإجـــلاء العام لليهود من المدينة. وحجة بركات أحمد في ذلك أن البخاري ومســـلماً لم يشيرا إلى أي خلاف وقع بين بني قينقاع والنبي صلى الله عليه وسلم، وأنـــه جـــاء ذكر بني قينقاع في هذين المصدرين في خلافة عمر بن الخطاب حيث الجلاء العام لليهود[٣].

وفي الحقيقة أن مصادر السنة الموثوقة ومن بينها البخاري ومسلم أشارت بما لا يـــدع مجالاً للشك إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى بني قينقاع مع غيرهم

---

(١) انظـــر: يحيى بن آدم القرشي: **كتاب الخراج**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت: دار المعرفة، د:ت) ص ص ٣٤- ٣ (حديث: ٨٤) مجموع مع كتاب الخراج لأبي يوسف **والاســـتخراج لأحكـــام الخراج** لابن رجب الحنبلي، وقارن كذلك البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠.

(٢) محمد بن إدريس الشافعي: **الأم**، تحقيق محمد زهري النجار (بيروت: دار المعرفة، د:ت) ٣٤٢/٧.

(٣) Ahmad, B. Muhammad and the Jews, P. 59.

مــن يهــود، فقــد جاء عند البخاري رواية عن ابن عمر، قال: حاربت النضير وقــريظة، فأجــلى بني النضير وأقرّ قريظة ومنّ عليهم، حتى حاربت قريظة فقتل رجــالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع وهم رهــط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة[1]. وجاء عند مسلم رواية عن ابن عمر قولــه:... وأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود المدينة كــلهم: بني قينقاع " وهم قوم عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة وكل يهودي كان بالمدينة[2].

أمــا الواقــدي فلديه تفاصيل لا بأس بها عن جلاء بني قينقاع، فقد ذكر أن رســول الله صلى الله عليه وسلم أمر عُبادة بن الصامت أن يجليهم. وأن بني قينقاع قالوا: يا محمد إن لنا ديناً في الناس. قال النبي صلى الله عليه وسلم تعجلوا وضعوا ! فــأخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء، وطلبوا فسحة من الوقت فقال لهم عبادة: ولا ســاعة من نهار. لكم ثلاث (ليال) لا أزيدكم عليها ! هذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما مضت ثلاث خرج في آثارهم حتى سلكوا إلى الشام[3].

وفي روايــة عن الرّبيع بن سبرة عن أبيه، قال: إني لبالفلحتين مقبل من الشام إذ لقيــت بــني قينقاع يحملون الذرية والنساء، قد حملوهم على الإبل وهم يمشون فسألتهم، فقالوا: أجلانا محمد وأخذ أموالنا. قلت: فأين تريدون ؟ قالوا: الشام[4].

---

(١) البخاري: الصحيح، ١٤٧٨/٤، (المغازي: حديث رقم ٣٨٠٤) .

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ٨٧/٣ - ١٣٨٨ (كتاب الجهاد والسير: حديث ٦٢)، وقارن: أحمــد بن حنبل: المسند، ١٤٩/٢ (حديث: ٦٣٦٧)، وأبو داود: السُنن، ١٧٢/٢ - ١٧٣ (حديث: ٣٠٠٥).

(٣) الواقدي: المغازي، ١٧٩/١.

(٤) المرجع السابق، ١٨٠/١.

واضح مما تقدم في مصادر السنة النبوية، وكذلك السيرة أن إجلاء بني قنيقاع قد تم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن سكوت ابن إسحاق وعدم ذكره لذلك لا يعنيان أبداً عدم رحيلهم. ولكن من اللافت للنظر أنه خلال حصارهم واستسلامهم ومن ثم رحيلهم، لم نسمع عن رئيس لهم لا في قيادة الحرب ولا في مفاوضات الاستسلام وهذا على عكس ما نعرفه عن قيادات النضير وقريظة.

أما الإشكال الآخر، فهو على الرغم من أنهم كانوا يجاورون المسلمين في المدينة، إلا أنه لا يعرف شيءٌ عما آلت إليه حصونهم هل سكنها المهاجرون أم الأنصار أم قسمت بينهم بالسوية[1] ؟كذلك بالنسبة إلى العدد المقاتلين من بني قينقاع تكاد تجمع مصادر السيرة أنهم سبع مئة مقاتل، ثلاث مئة دارع وأربع مئة حاسر[2]. ويظهر أن معظم من كتبوا عن غزوة بني قينقاع من كتّاب السيرة، نقلوا عدة بني قينقاع عن مصدرين هما: محمد بن إسحاق والواقدي. إلا أنه مما يثير التساؤل أن ابن سعد في حديثه عن غزوة بني قينقاع، لم يتعرض لعددهم[3].

أما المسعودي، فقد ذكر أن بني قينقاع كانوا أربع مئة[4] ولكنه لم يشر إلى مصدره الذي أخذ عنه. وهكذا، يتبين الاختلاف بين المؤرخين حتى في عددهم. فليس هناك رقم ثابت يمكن التعويل عليه.

---

(١) انظر: الحلبي: السيرة الحلبية، ٤٧٦/٢.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٢/٣، والواقدي: المغازي، ذكر الواقدي أنهم أربع مئة دارع وثلاث مئة حاسر، ١٧٧/١،والبيهقي: دلائل النبوة، ١٧٤/٣، وابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٢، ص ص ٤ – ٥، وابن عبد البر، الدُرر: ص ص ١٥٠ – ١٥١، وابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢٩٦/١.

(٣) انظر: ابن سعد الطبقات، ٢٨/٢ – ٢٩.

(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول: إن مشكلة بني قينقاع لايزال يلفها الكثير من الغمـــوض وتحتاج إلى أكثر من دراسة لكشف ذلك الغموض والإجابة عن الأسئلة التي أُثيرت في غضون هذه الدراسة، التي ربما تكمن الإجابة عنها في مصادر تاريخية لّما يُمط عنها اللثام.

الفصل الخامس

إجلاء بني النضير

١ – الأسباب

٢ – المستشرقون والإجلاء

الفصل الخامس

إجلاء بني النضير

١ – الأسباب :

سبقت الإشارة إلى وجود بني النضير في يثرب، وكذلك الإشارة إلى علاقتهم بالأوس حيث كانوا هم وبنو قريظة حلفاء لهم، لكن المهم الآن معرفة علاقتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم. حيث إن معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم الشاملة مع اليهود والمشار إليها في أثناء مناقشة مسألة صحيفة المدينة ربما كانت بعد بدر، وعلى وجه التقريب في السنة الثالثة للهجرة. أما قبل ذلك التاريخ فليس من المستبعد أنه كان هناك اتفاقات منفردة أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع القبائل اليهودية الثلاث كل على حدة، وقد جاء عند الواقدي وكذلك ابن سعد ما يفيد أنه كان هناك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني النضير[١]. بل ذكر أكثر من مصدر أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه. وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم[٢]. وعلى الرغم من وجود هذا النوع من التفاهم على التعايش بين الطرفين، فإن بعض علماء بني النضير وزعمائهم كانوا يضمرون العداء لرسول الله صلى الله

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ٣٦٥/١،وابن سعد: الطبقات.، ٥٧/٢.

(٢) الواحدي: أسباب النزول، ص ٣١٠، والرازي: تفسير الرازي، ٢٧٩/٢٩، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/١٨.

عــليه وسلم وللجماعة المسلمين مثل:حُييّ بن أخطب وأخويه أبي ياسر بن أخطب، وجُــدي بــن أخطــب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وغيرهم[1].وربما أســهمت بعض الأسئلة ذات الصفة الغيبية التي كان يثيرها بعض علماء يهود بني النضــير في تــأجيج الخلاف بين النبي واليهـــود.وكمــا قال ابن إسحاق: إنهم يسألون النبي ويتعنتونه، ويأتونه باللبس، ليلبســوا الحق بالباطل[2].

وذكر ابن إسحاق أن حُييّ بن أخطب وأخاه ياسر بن أخطب كانا من أشد اليهــود حســداً للعرب، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا [3].

ولا شــك أن يهود بني النضير مثل بقية اليهود لم يكونوا سُعداء بما أسفرت عنه معركة بدر من نتائج، فقد أعز الله المسلمين وكسر شوكة المشركين؛ لذلك ما إن مضى شهران تقريباً على وقعة بدر، حتى بدأت تظهر دسائس يهود بني النضير وتأليبهم على المسلمين. ولعل أول مؤامراتهم المكشوفة ضد المسلمين في المدينة هو مــا حدث في غزوة السويق فقد جاء أبو سفيان على رأس قوة من فرسان قريش حــتى نزل بالقرب من المدينة، ثم توجه إلى بني النضير فاستقبله سيدهم وصاحب كنزهــم حينذاك سلام بن مشكم، فقراه وسقاه وكشف لــه عن خبر المسلمين. فبعث أبو سفيان رجالاً من فرسانه فعاثوا فساداً في بعض نخيل المدينة وقتلوا رجلاً مــن الأنصــار وحليفاً لــه. فما إن علم بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

---

(١) ذكر ابن إسحاق أسمــاء اثني عشر رجلاً من يهود بني النضير كانوا يناصبون الرسول صلى الله عليه و سلم العداء. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٦٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٦٠.

(٣) المرجع السابق، ٢/١٩٧.

سار في طلبهم فبلغ قرقرة الكُدْر[1] ولكن القوم فاتوه بعد أن تخففوا مما كانوا يحملون من أزواد السويق. فسميت غزوة السويق[2].

ثم إن كعب بن الأشرف الذي سبق الحديث عنه في موضع سابق من هذا البحث، وهو أحد سادة بني النضير، قد شرق بريقه وأغاظه نصر الله للمسلمين في بدر، فذهب إلى مكة مغاضباً ومحرضاً قريشاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فأمر رسول الله باغتياله عند عودته من مكة إلى المدينة[3]. وكان مقتله في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة [4]. وقد أثار مقتل كعب موجة استياء وذعر لدى اليهود، فجاؤوا صباح اليوم التالي يشكون الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا طُرق صاحبنا فقتل فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول، ودعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة [5]. وجاء في رواية عند الواقدي ما يشير إلى المكان الذي كُتبتْ فيه الصحيفة، فقال: فكتبوا

---

(١) قرقرة الكُدْرْ: وهي بالتحديد، إذا سرت من المدينة، فكنت بين الصويدرة والحناكية، توم القصيم، فهي على يمينك في ذلك الفضاء الواسع الذي يمتد إلى معدن بني سُليم، (مهد الذهب اليوم) غير أن الاسم غير معروف الآن. انظر: عاتق غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٦٢. وانظر: مادة (كدر) في معجم البلدان.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٤٧ -٤٩، والواقدي: المغازي ١/١٨١ - ١٨٢.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥٤- ٦٠، والواقدي: المغازي، ١/١٨٤ - ١٩٣، وابن سعد: الطبقات، ٢/٣١ -٣٤، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٤٨٧- ٤٩١.

(٤) الواقدي: المغازي، ١/١٨٤، وابن سعد: الطبقات، ٢/٣١، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٤٨٧.

(٥) أبو داود: السُنن، ٢/١٧٠، وقارن الواقدي: المغازي، ١/١٩٢.

بيـــنهم وبيـــنه (أي النبي) تحت العذق، في دار رملة بنت الحارث. فحذرت اليهود وخافت وذلك من يوم قتل ابن الأشرف [١].

في الحقيقـــة أن كـــلاً مـــن أبي داود والواقدي اللذين أشارا إلى خبر كتابة الصـــحيفة أو الكـــتاب، قالا في خبرهما: فزعت اليهود والمشركون. [٢] ولم يعينوا بالضـــبط مـــن المقصـــود باليهود هنا، فلم يذكروا بني النضير بالنص، ولذلك فلا يستبعد أن المقصود باليهود هم بنو النضير وقريظة والجماعات الصغيرة الأخرى من يهـــود المديـــنة إضافة إلى المشركين، حسب ما ذُكر في موضع سابق، أي المعاهدة العامة.

ويبدو أن تحريض ابن الأشرف لقريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم هـــو الذي دفع بها إلى أن تكتب كتاباً إلى اليهود، تستعديهم على رسول الله صلى الله عـــليه وسلم والمسلمين، فقد جاء عند الزهري أن قريشاً كتبت إلى اليهود بعد وقعـــة بـــدر: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهو – الخلاخل-. فلما بلغ كتابهم اليهـــود، أجمعـــت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم اخـــرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ولنخرج في ثلاثين حبراً حتى نلتقي في مكـــان كـــذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنا كلنا [٣].

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٩٢.

(٢) انظر: أبو داود: السُنن، ٢/١٧٠،والواقدي: المغازي، ١/١٩٢.

(٣) محمد بن مسلم بن شهاب الزهـــري: **المغازي النبوية**، تحقيق سُهيل زكار: الطبعة الأولى (دمشق: دار الفكر. ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م) ص ص ٧٢ – ٧٣.

وفي نهايـــة الرواية يكتشف الرسول صلى الله عليه وسلم نية الغدر لدى بني النضير فيحاصرهم بالكتائب في اليوم الثاني، ويقول لهم: "لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه"، فأبوا عليه ذلك، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء[1].

الملاحظ هنا أن هذه الرواية لا تخلو من القيمة التاريخية من حيث إشارتها إلى الـــتآمر فيما بين قريش ويهود المدينة ضد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وإن كانت تنسب إلى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر اسمه.[2] الرواية تجعل وقت إجلاء بني النضير بعد بدر وقبل أُحد وهذا يخالف المشهور حيث أن المتواتر في الروايات التاريخية أن وقعة بني النضير وجلاءهم كانا بعد أُحد، أي في أوائـــل السنة الرابعة للهجرة وهذا سبب آخر من أسباب ضعف الرواية.[3] للمرء أن يســـأل ما الذي يمنع بني النضير من معاهدة رســـول الله صلى الله عليه وسلم، أيهمـــا أهون عليهم، كتابة العهد أو الجلاء عن الأرض وتـــرك الأموال ؟ ثم أليس مـــن طبعهم نقض العهود؟ ألم يصفهم الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦] [4].

---

(١) الزهري: المغازي النبوية، ص ص ٧٢ – ٧٣، والبيهقي: دلائل النبوة، ٣ / ١٧٨- ١٨٠، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٤٢١/٧.

(٢) انظر: الزهري: المغازي النبوية، ص ٧١.

(٣) انظر:. Jones, " The chronology of the Maghazi " P. 249 ; P. 268

وانظر: ما ذكره محقق دلائل النبوة في شان غزوة بني النضير، دلائل النبوة، ١٧٦/٣ في حاشية ١٧٦.

(٤) ذكر المفسرون أن المقصود بهذه الآية، هم يهود بني قريظة والنضير: انظر: الطبري: جامع البيان، ٢٥/٩، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩/٨ — ٣٠.

وقد أورد عروة بن الزبير رواية أخرى عن وقعة بني النضير، وأنها وقعت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصرهم، حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة، يعني - السلاح - فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام[1].

ووجه الإشكال في هذه الرواية أنها لا تفصح عن سبب حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني النضير وإجلائهم إلى الشام، إضافة إلى تاريخ الغزوة وتوقيتها بستة أشهر بعد بدر، أي في الربع الأول من السنة الثالثة للهجرة، وهذا موضع خلاف كبير بين المؤرخين[2].

وعموماً فإن توقيت هذه الرواية يتزامن مع اغتيال كعب بن الأشرف[3] وجلاء يهود بني النضير المزعوم، حسب إحدى الروايات[4]، وإذا صح الجمع بين الحدثين وأنهما حدثا في وقت واحد، فذلك على النقيض مما جاء عند أبي داود والواقدي بخصوص كتابة الصحيفة بين المسلمين واليهود في صباح اليوم الذي اغتيل فيه كعب[5]. ولذلك فإنه من العسير الاطمئنان إلى هذه الرواية.

---

(١) انظر: الزهري: المغازي النبوية، ص ٧١، والبيهقي: دلائل النبوة، ١٧٨/٣.

(٢) انظر:. Jones," The chronology of the Maghazi " P. 249 , P. 268

(٣) في ص ٢٦٣ يشير جونز Jones إلى التعارض الموجود لدى الواقدي في توقيت اغتيال كعب بن الأشرف في الرابع عشر من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة وغزوة ذي أمرّ التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة والتي غاب فيها عن المدينة أحد عشر يوماً.

(٤) قارن: الحلبي: السيرة الحلبية، ٥٦٢/٢، والسمهودي: وفاء الوفاء، ٢٩٨/١.

(٥) انظر : أبو داود: السُنن، ١٧٠/٢، والواقدي: المغازي، ١٩٢/١.

وذكر موسى بن عقبة سببين متعارضين لغزوة الرسول صلى الله عليه وسلم لبني النضير، أحدهما: أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج يستعين ببني النضير في دية الكلابيين[1]، والسبب الثاني: أن بني النضير كانوا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا أُحُداً لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة، فلما كلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دية الكلابيين قالوا: اجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم ونتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له. ثم يذكر في نهاية الرواية أن بني النضير تآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله أوحى لنبيه بنية غدرهم فغادر المكان، وعاد إلى المدينة، وأن الله أمر رسوله بإجلائهم وإخراجهم من ديارهم فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله تعالى فيهم فحاصرهم، ثم قاضاهم على أن يجليهم ولهم أن يتحملوا بما استقلت به الإبل من الذي كان لهم إلا ما كان من حلقة أو سلاح. وكان إجلاء بني النضير في المحرم من السنة الثالثة للهجرة[2].

وكما هو واضح فإن هذه الرواية تختلف اختلافاً بيناً عن الروايات السابقة فيما يتعلق ببواعث غزوة بني النضير. فأحد البواعث هو طلب الرسول منهم

---

(١) قصة الكلابيين: كان عمرو بن أُمية الضمري، أحد الناجين من مذبحة بئر معونة، التي وقعت في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة على يد بني عامر من بني كلاب... وفي طريق عمرو إلى المدينة التقى برجلين من بني عامر عائدين من المدينة فغافلهما وقتلهما، وظن أنه قد أخذ بثأر شهداء بئر معونة. وعندما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك. قال له: "بئس ما صنعت" أو قال: " لقد قتلت قتيلين، لأدينهما". انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٩٣/٣ - ١٩٥.

(٢) موسى بن عقبة: المغازي، ص ص ٢١٠ - ٢١٣، وقارن عروة بن الزبير: مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص ص ١٦٤ - ١٦٥، وقارن: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٤٢١/٧.

إعانته في دفع دية القتيلين من بني كلاب. أما الآخر فهو انحياز بني النضير إلى جانب المشركين من أهل مكة في غزوة أُحد[1].

وستُناقش هذه الأمور لاحقاً، إلا أن أكثر ما جاء في هذه الرواية من غرابة هو توقيت غزوة بني النضير في المحرم من السنة الثالثة وهو ما يصعب قبوله.

وساق السيوطي رواية عن عكرمة تتعلق بسبب إجلاء بني النضير تخالف المعروف من الروايات، إذ قال فيها: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا يوماً إلى بني النضير ليسألهم كيف الدية فيهم، فلما لم يروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير أحد أبرموا بينهم على أن يقتلوه ويأخذوا أصحابه أسارى ليذهبوا بهم إلى مكة ويبيعوهم من قريش، فبينما هم على ذلك إذ جاء رجل من اليهود من المدينة فلما رأى أصحابه يأتمرون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: ما تريدون ؟ قالوا: نريد أن نقتل محمداً ونأخذ أصحابه. فقال لهم: وأين محمد ؟ قالوا: هذا محمد قريب، فقال لهم صاحبهم: والله لقد تركت محمداً داخل المدينة فأُسقط بأيديهم، وقالوا: قد أُخبر، إنه انقطع ما بيننا وبينه من العهد. فانطلق منهم ستون حبراً ومنهم حُيي بن أخطب والعاصي بن وائل حتى دخلوا على كعب وقالوا: يا كعب أنت سيد قومك وممدحهم، احكم بيننا وبين محمد، فقال لهم كعب: أخبروني ما عندكم ؟ قالوا: نعتق الرقاب ونذبح الكوماء، وإن محمداً انبتر من الأهل والمال، فشرفهم كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

---

(١) ذكر القرطبي، في تفسيره لقوله تعالى: (ما قطعتم من لينة..) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بني النضير – وهي البويرة – حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أُحد أمر بقطع نخيلهم وإحراقها. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦/١٨.

(٢) عبد الرحمن السيوطي: **الدُر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: محمد أمين دمج،د.ت) ١٩٠/٦.

ولكـــن عند تدقيق النظر في هذه الرواية يلاحظ أنها تتألف من جزأين، الجزء الأول وهـــو مـــا يتصل بالمؤامرة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن ثم بيع أصـــحابه إلى أهل مكة ويظهر أن السيوطي تفرد بذكره دون سواه. وهو على كل حـــال أمر ضعيف الاحتمال، لأن اليهود يعرفون جيداً أن المسلمين من أهل المدينة سيثأرون لنبيهم وقتلاهم من أصحابه.

أمـــا الجزء الثاني من الرواية فيظهر أنه يتصل بكعب بن الأشرف وأهل مكة حين ذهب إليهم كعب على رأس جماعة من اليهود وظاهروهم علـــى رسول الله صـــلى الله عـــليه وسلم، فسألهم أهل مكة: أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن نعتق الرقاب ونذبح الكوماء ... فقال لهم كعب: أنتم خير منه[1]. وليس مفهوماً كيف اختلط الأمر على السيوطي حتى جمع بين قصتين لا يجمع بينهما جامع .

أمـــا الرواية الثالثة الأكثر شيوعاً في مصادر السيرة النبوية فموجودة عند ابن إســـحاق، قال: "ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عـــليه وسلم عقد لهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه،ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ، فمن رجل يعلو هذا البيت، فيلقى عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصـــعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من

---

(١) انظر: ابن كثير: التفسير، ٢/٣٣٤.

أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عنهم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم"[١].

تبين هذه الرواية أن سبب غزوة بني النضير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم يطلب منهم دفع حصتهم من دية قتيلي بني عامر، وأنهم تآمروا على قتله، ولذلك فقد حاصرهم وأجلاهم عن المدينة بعد مصادرة ممتلكاتهم. وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة[٢].

وبالعودة إلى رواية موسى بن عقبة نجدها تشترك مع رواية ابن إسحاق في أمر الطلب من بني النضير دفع نصيبهم من دية قتلى بني عامر، وهذا السبب أشارت إليه الكثير من مصادر السيرة. وأما ما انفردت به رواية ابن عقبة عن بقية

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية.، ٣/١٩٩ - ٢٠٣، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/ ٥٥١ - ٥٥٢، وابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢/٤٨ - ٥١، والواقدي: المغازي، ١/ ٣٦٣ - ٣٧٦. وقد أورد الواقدي:تفاصيل مختلفة بعض الشيء عما نجده لدى ابن إسحاق: ولكن جوهر الرواية واحد، وهو دية القتيلين ومحاولة بني النضير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانظر: ابن سعد: الطبقات، ٢/٥٧ - ٥٩، والملاحظ أن البيهقي ساق خمس روايات تتعلق بغزوة بني النضير ليس بينها رواية ابن إسحاق ولا الواقدي. انظر: البيهقي: دلائل النبوة، ٣/١٧٦ - ١٨٢، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٣/١١٦ - ١١٨،، ٢١٥ - ٢١٦ وانظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٧/٤٢٠ - ٤٢١.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/١٩٩، وذكر الواقدي أنها في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة. المغازي، ١/٣٦٣.

الروايات فهو أن يهود بني النضير، سبق أن تآمروا مع مشركي قريش في أثناء غزوة أُحـــد، وأهم شجعوهم على قتال المسلمين ودلوهم على نقاط الضعف عندهم أو كمـــا قال: "ودلوهم على العورة". ويمكن فهم تآمر بني النضير مع المشركين يوم أُحـــد، ربمـــا يكون سببه مصرع كعب بن الأشرف أحد سادة بني النضير على يد المســـلمين، وذلك قبل وقعة أُحد بسبعة أشهر تقريباً. فكان تآمرهم مع قريش يوم أُحد انتقاماً من المسلمين لمقتل كعب.

ويقـــدم بعض الباحثين تفسيراً ضعيفاً ومتناقضاً أحياناً لرواية موسى بن عقبة وخاصة الجزء المتعلق منها بموقف بني النضير مع كفار مكة ضد المسلمين يوم أُحد، جاء فيه: "وكانوا دسوا إلى قريش حيث نزلوا بأحد لقتال رسول الله صلى الله عليه وســـلم فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة" فيعلق كستر Kister على ذلك بقولـــــه: إن هذه العبارة تشرح السبب لماذا ذهب النبي إلى بني النضير طالباً منهم المســـاعدة على دفع دية العامريين اللذين قتلهما أحد أتباعه. لأن بني النضير اتهموا بالتعاون مع قريش عندما هاجموا جيش المسلمين في أُحد، ومطالبتهم بدفع جزء من التعويض كان نوعاً من العقوبة نظراً لموقفهم المعادي من النبي [(١)]. ولكن من المعلوم أن حادثـــة بئر معونة وقعت بعد مضي خمسة أشهر من معركة أُحد، فلماذا ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم كل هذا الوقت حتى تقع مأساة بئر معونة ليذهب إلى بني النضـــير مطالباً إياهم بالتعويض. وإذا كان حقاً أن بني النضير قد تآمروا مع قريش ضـــد المسلمين يوم أُحد، فلماذا لم يقتص منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحال ! أو بعد شهر من الحادثة مثلاً ؟ ثم ما العلاقة بين قتلى بني عامر وموقف بني النضير يوم أُحد؟ إن ما قدمه كستر من تسويغ لا يعد مقنعاً ولا منطقياً. وقد غاب

---

(١) M. J. Kister, "Notes on the Papyrus texst About Muhammad s Campaign against the Banu Al-Nadir " **archiv Orientalni** (1964), 32, Pp. 233 - 236. esp. Pp. 234 - 235

عن بال كستر أن بني النضير كانوا حلفاء لبني عامر، لذلك فهم ملزمون بالاشتراك في دفع الديات[١].

أما نبية عبود Nabia Abbott فقد قدمت تفسيراً وفهماً مهلهلاً للعبارة الواردة في روايـــة موسى بن عقبة فيما يتعلق بخيانة بني النضير يوم أُحد، لأنها أساءت فهم الـــنص العربي[٢]؛ لذلك فإنها لم توفق في تقديم تفسير مقبول لموقف بني النضير مع المشـــركين في موقعة أُحد، بل زعمت أن المقصود بقريش في نص موسى بن عقبة، القرشـــيون الذين وقفوا إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أُحد، لا قبيلة قريش كلها[٣].

عـــلى كل فإن الذي يمكن استنتاجه من كل ما سبق من الروايات ضعيفها وقويهـــا أنها كلها تقريباً تتجه إلى اتهام يهود بني النضير بمحاولة الغدر برسول الله صـــلى الله عـــليه وســـلم والتآمر على حياته، بل لم تبق المؤامرة في بعض الأحيان مقصورة على حياة الرسول ولكنها تتعداه إلى تهديد أمن المسلمين في المدينة عموماً

---

(١) انظـــر : Nabia Abbott, **Studies in Arabic literary Papyri, I, Historical Text.** (Chicago, the University of Chicago Press 1957) Pp. 73 - 74.

(٢) انظر : Ibid., P.69 ، وقارن : ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩/٣، والواقدي، المغازي، ٣٦٤/١.

(٣) انظر: Ibid., P. 74 ومن الإنصاف لـــ Nabia Abbott يجب الإشارة إلى أن قطعة البردي الـــتي استقت منها معلوماتها عن حادثة بني النضير في يوم أُحد وكذلك مقتل الكلابيين كانت مكتوبة بأسلوب يصعب فهمه على نحو مستقيم. وذكر أحد الـــدارسين أن من أسباب تأزم العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منهم يوم أُحد الإسهام في نفقات الدفاع عن المدينة وأنهم رفضوا ذلك.

انظر: محمد كامل مراد، "موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة"، ٣/ ٢١١. ويلاحظ أن صاحب هذا الرأي لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك.

مثل حادثة غزوة السويق وكذلك موقف بني النضير مع قريش في يوم أُحد، إن جاز قبول هذه الرواية. وهناك بعض الروايات التي تحدثت عن حصار الرسول صلى الله عليه وسلم لبني النضير وجلائهم، ولكنها لم تقدم سبباً أو تفسيراً معقولاً لما حدث. ومثل هذه الروايات الأخيرة يصعب التسليم بها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يقدم على عمل عسكري كهذا فيه طرد أقوام ومصادرة أموال بدافع رغبة شخصية خالصة ليس غير. بل لابد أن يكون هناك أسباب في غاية الوجاهة والخطورة دفعت الرسول الكريم لاتخاذ مثل هذه القرارات الصعبة في حق بعض الجماعات كاليهود مثلاً.

ولعل أفضل شهادة تدين يهود بني النضير، هو ما نزل فيهم من آي الذكر الحكيم، فقد نزلت فيهم سورة الحشر كاملة[1]، وعرفت عند بعض العلماء بسورة بني النضير[2]، أفاضت تلك السورة في بيان مساوئهم وإظهار معايبهم ووصفتهم بالكفر وأنهم شاقوا الله ورسوله. قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ* وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [3] [الحشر: ٢ – ٤].

---

(١) الواحدي: أسباب النزول، ص ص ٣١٠ – ٣١٤.

(٢) انظر: البخاري: الصحيح، ١٤٧٨/٤، (باب ١١: حديث بني النضير) وانظرحديث رقم (٣٨٠٥) عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة النضير.

(٣) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦/١٨.

هذه هي الصورة العامة التقريبية للعلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير من خلال الروايات التاريخية والنصوص القرآنية، وتكاد كلها تجمع على أن أسـباب تدهـور العلاقة بين الطرفين تعود إلى اليهود أنفسهم بالدرجة الأولى حيـث إنهم كثيراً ما ينقضون العهود والمواثيق ويتآمرون على حياة النبي صلى الله عـليه وسلم ويهددون أمن المجتمع وسلامته بالتحالف مع العدو، وإنهم شاقوا الله، أي عادوه وخالفوا أمره، وعصوا ربهم فيما أمرهم به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ومن يخالف الله في أمره ونهيه فإن الله شديد العقاب[1].

أما إذا عدنا إلى آراء المفسرين في إجلاء بني النضير فإن اللافت للنظر فيها أنها عند مناقشتها لتلك المشكلة تذكر أسباباً كثيرة لإجلاء بني النضير إلا أنها لا تذكر تهمـة تآمرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنها تغفل كذلك أمر دية قتلى بني عامر، فالطبري مثلاً لا يذكر سبباً واضحاً في نفي بني النضير، ففي تفسيره لقولـه تعـالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٢]

اكـتفى بالقول: وهم بنو النضير حي من اليهود، فأجلاهم نبي الله صلى الله عـليه وسـلم من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أُحد[2]. بل لعل ما يزيد الأمر لبساً إشـارته إلى أن إجـلاء بـني النضير كان بعد معركة أُحد مباشرة، وهذا يخالف المشـهور مـن أمر تلك الغزوة حيث أنها حدثت في السنة الرابعة للهجرة[3]. أما

---

(١) انظر: الطبري: جامع البيان، ٣٢/٢٨.

(٢) المرجع السابق، ٢٨/٢٨.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩/٣، والواقدي: المغازي، ٣٦٣/١ - ٣٦٤، وابن سعد: الطبقات، ٥٧/٢، وقارن ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٤٨/٢.

القـــرطبي فيربط بين موقف بني النضير مع قريش يوم أُحد وغزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ [الحشر: ٥].

قـــال: وذلـــك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بني النضير وهـــي الـــبويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أُحد، أمر بقطع نخيلهم وإحـــراقها[١]. ولعل من أكثر مواقف المفسرين إشكالاً، ما جاء عند الرازي، حين قـــال: "فلما هُزم المسلمون يوم أُحد ارتابوا، أي يهود بني النضير، ونكثوا، فخرج كعـــب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا أبا سفيان عند الكعبة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري، فقتل كعباً غيلة، وكان أخاه من الرضاعة، ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب"[٢].

والمعـــروف أن كعباً ذهب إلى مكة بعد غزوة بدر، وبعد مرجعه إلى المدينة وقـــبل أُحـــــد ببضعة أشهر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم محمد بن مســـلمة باغـــتياله[٣]. والربط بين حادثة مقتل كعب بن الأشرف وإجلاء بني النضير مباشرة مغايـــر لتسلسل الأحداث التاريخية لتلك الفترة. وشبيه بهذا ما جاء عند السيوطي، وهو من المتأخرين (ت: ٩١١هـــ) فقد ذكر في روايته الأولى أن رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم ذهب إلى بني النضير في حاجة، فهمّوا به،فأطلعه الله على ذلك، فصـــالحهم على الجلاء. والرواية الثانية أنه ذهب إليهم ليسألهم كيف الدية فيهم؟ فـــتآمروا على قتله وأخذ من جاء معه من أصحابه وبيعهم لقريش في مكة في خبر طويل. وهكذا فإن هذه الروايات الأخيرة لا تشير إلى تاريخ مُعين لحادثة إجلاء بني

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦/١٨.

(٢) الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي، ٢٧٩/٢٩.

(٣) الواقدي: المغازي، ١٨٤/١، وابن سعد: الطبقات.، ٣٢/٢، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك،٤٨٧/٢.

النضير ولا هي تفسير لآية بعينها، فلهذا فإن قيمتها التاريخية تظل محدودة جداً، ولا يمكن الاعتماد عليها.

وبما أن المفسرين في تفسيرهم لسورة الحشر أو سورة بني النضير كما يسميها ابن عباس لم يتطرقوا لمؤامرة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعض المتأخرين منهم، وأن المؤرخين وعلى رأسهم ابن إسحاق لم تثبت لديهم المؤامرة بسند صحيح، فإنه من الجائز القول: إن تهمة المؤامرة لم تخرج من فراغ، ولابد أن لها أساساً تاريخياً.

إن قرار إجلاء بني النضير لم يكن وليد لحظة، أي لم يكن قراراً متعجلاً، فلا بد أنه كان نتيجة لتجاوزات متراكمة أقدم عليها بنو النضير بدءاً من انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم في بدر وما أعقب ذلك من نشاط بني النضير المحموم لدى قريش لإثارتها ضد المسلمين مروراً بأحد وما قاموا به من تآمر مع قريش ضد المسلمين، ثم موقفهم من دية قتلى بني عامر، هذه الأسباب مجتمعة ربماكانت وراء اتخاذ قرار إجلائهم عن المدينة، لأن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معهم خلال أربع سنوات أثبت استحالة التعايش معهم؛ لأنهم أصبحوا خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره.

ثم يجب ألا يغيب عن البال أنه لابد من التسليم بأن قرار نفيهم عن المدينة لم يكن قراراً شخصياً اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحض إرادته، ولكنه كان بتوجيه إلهي، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢].

ومـا دام الأمر كذلك فلابد أنهم قد اقترفوا ذنباً يتناسب والعقوبة الإلهية التي حلت بهم.

٢ – المستشرقون والإجلاء :

ما من شك أن للمستشرقين المهتمين بقضية بني النضير آراءهم المختلفة بشأن العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير، وهي آراء مبنية غالباً على الاستنتاج والتفسير الشخصي، وفي غالب الأحوال لا تستند إلى مصادر مغايرة للمصادر الإسلامية التي تُعدُ المحور الأساس الذي تدور عليه العلاقة بين النبي واليهود في المدينة فمثلاً يقول إدوارد جيبون: (ت: ١٧٩٤) E. Gibbon: إن جرم بني النضير الأكبر أهم تآمروا على اغتيال النبي، لذلك فقد حاصر حصنهم، لكن تصميمهم على الدفاع عن أنفسهم جعلهم يحصلون على استسلام مشرف. إن جيبون يحاول هنا أن يجعل ذنب بني النضير غير ذي أهمية وفي الوقت نفسه يُظهرُ عظم العقوبة التي حلت بهم[١]. وكذلك فعل ميور عندما ناقش مصير بني النضير، فقد أشار فقط إلى قضية الكلابيين أو قتيلي بني عامر، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وبعض رجاله إلى بني النضير طالباً مساعدتهم على دفع دية القتلى لأن بني النضير حلفاء لبني عامر، وأنه شعر أنهم يتآمرون على قتله فانسل من بين الحاضرين ذاهباً إلى المدينة، وأصدر أمره بجلاء بني النضير لأنهم هموا بقتله[٢]. ثم إن ميور يشكك في أمر المؤامرة بقوله: "ولكنه لم يشر إليها [هكذا] في القرآن الذي تحدث بإسهاب عن الحصار، ولم يحدث ما يثير شكوك أصحابه، لذلك فإن القصة مشكوك فيها. ويستطرد ميور قائلاً: على كل حال يمكن القول إن محمداً كان مصمماً على ألاّ تبقى هذه القبيلة بجواره في المدينة[٣]. وفي موضع آخر يناقش

---

(١) Gibbon and Ockley, The Saracens..., P. 35.

(٢) Muir, The lîfe of Muhammad, Pp. 280 - 281.

(٣) Ibid., p. 281

ميور أهمية انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم على بني النضير قائلاً: إن طرد بني النضير يعد انتصاراً مادياً لمحمد، الذي أخذ يدمر المستوطنات اليهودية الواحدة بعد الأخـــرى مضـــعفاً بذلك أسباب السخط عليه؛ لأنه في حالة حدوث أي وئام بين اليهـــود وأي مـــن أعـــداء الإسلام فإن ذلك سيشكل خطراً على سلامة محمد في المدينة [١].

والغـــريب في موقف ميور تجاه مؤامرة بني النضير هو قوله: إن محمداً لم يشر إليهـــا في القرآن وكأن القرآن، بزعمه من صنيع أو تأليف الرسول صلى الله عليه وســـلم. ثم لـــو أشار القرآن الكريم إلى تلك الحادثة، هل سيصدقها ميور ؟ أليس القـــرآن في نظـــره مـــن تأليف الرسول ؟ ! أو محمد كما يدعوه. وكذلك الأمر بالنسبة إلى قوله: إن أصحاب محمد الذين كانوا برفقته لدى بني النضير لم يلاحظوا عـــلى تصرفات اليهود ما يثير الشكوك. ومن البدهي أن اليهود إن كانوا حقاً قد أرادوا التخلص من الرسول بقتله غيلة، فإنهم لن يقوموا بأي حركة تثير شكوكه أو شـــكوك أصحابه، ولابد أن يبالغوا بالحيطة والحذر. ولذلك فإن الرسول صلى الله عـــليه وسلم قال لأصحابه حين عادوا إليه في المدينة: إن الخبر جاءه من السماء[٢]، ولم يقـــل إنه لاحظ في تصرفات يهود بني النضير ما أثار شكوكه ومخاوفه. وما دام الوحي يأتيه من السماء فما وجه الغرابة أن يأتيه كذلك بخبر بني النضير ؟

وأخيراً فإن ميور حين يشكك بقصة المؤامرة فإنه في الوقت نفسه يكاد يؤكد أن طـــرد بني النضير من المدينة كان وليد رغبة صادقة في التخلص من اليهود، فهم في نظره لم يرتكبوا جرماً. وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يدفع برسول الله صلى

---

(١) Ibid., Pp. 283 - 84

(٢) الواقدي: المغازي، ٣٦٦/١، وقارن: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٠٠/٣.

الله عـــليه وسلم إلى طردهم ؟ هل لأنهم يهود فقط ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى آثر ميور عدم الكشف عنها ؟

وكذلـــك فإن المستشرق الهولندي فنسنك يكاد يتفق مع ميور بشأن إجلاء بـــني النضير، فهو يرى أن موقف النبي صلى الله عليه وسلم تجاه يهود بني النضير كـــان قـــد تقرر منذ البداية بأنه يجب التخلص منهم إلى الأبد لأن وجودهم كان عائقـــاً في سبيل إقامة حكومة دينية في المدينة (١)، ثم يستطرد قائلاً: إن القرآن لم يشـــر إلى أي سبب واضح وراء توتر العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبني النضـــير(٢) وللـــباحث أن يســـأل هنا أولاً كيف عرف فنسنك أن اليهود كانوا يعارضون قيام حكومة دينية في المدينة ؟ ثم إذا كانت مثل تلك الحكومة ستوفر لهم الأمـــن والاستقرار إضافة إلى كفالة حقوقهم الأساسية وعلى رأسها الحرية الدينية فمـــا الذي يريد اليهود أكثر من ذلك ؟ ألم يكن اليهود في المدينة قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إليها يفتقرون إلى الحياة الآمنة المستقرة ؟ ألم تنهكهم الحروب والنـــزاعات التي طالما نشبت بينهم وبين حلفائهم من القبائل العربية ؟

أمـــا قوله: إن القرآن لم يذكر سبباً واضحاً لتوتر العلاقة بين الطرفين، فيمكن طرح السؤال بطريقة أخرى وهي، لو ذكر القرآن سبباً واضحاً وأكد فيه على جُرم يهـــود بني النضير فهل لفنسنك أن يقبل به ؟ لأنه إن قبل ذلك فسيكون الموقف مختلفاً تماماً.

ومرجـــليوث Margoliouth عندما يناقش مسألة بني النضير يلاحظ أنه يميل أيضـــاً إلى التشـــكيك في الرواية الإسلامية، ولكن دون تقديم الأساس الذي يدعم

---

(١) A. J. Wensinck, Muhammad, P. 116.

(٢) Ibid., P. 117.

شـــكوكه ! فهو لا يصدق الرواية القائلة: إن بني النضير تآمروا على حياة الرسول صـــلى الله عليه وسلم بمحاولة رمي الحجر عليه من علٍ، لأنه لا يجد شيئاً عن ذلك في المصادر اليهودية. ثم يقول: ولكن بما أن الرسول لديه فكرة ثابتة أن اليهود دائماً يرغبون في قتله وهي فكرة تعود في أصلها إلى مقولة "أن اليهود قتلة الأنبياء" وهي الـــتهمة التي أطلقها عليهم مؤسس المسيحية،.فمن الممكن أن النبي اقتنع أن اليهود حاولوا التآمر على حياته، لذلك فقد جمع أنصاره وحاصر بني النضير(١). وهكذا في نظر مرجليوث يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يحاصر قبيلة ويصادر أملاكها ويجليها مـــن بلادهـــا بســـبب بسيط وتصور ساذج وهو ظنه بأنهم يتآمرون على حياته. فالرســـول ليس لديه أي سبب آخر لاتخاذ مثل هذا الموقف الصارم من بني النضير سوى شكه في تآمرهم على حياته !!

ثم يمضـــي مرجـــليوث موضحاً الأمر فيقول: إن التهمة الرئيسة التي وجهها القـــرآن لبني النضير والتي كانت سبب الحملة ضدهم هي مقاومتهم للرسول ليس غـــير، ثم يردف قائلاً: ومن الممكن جداً أن محمداً اكتشف في الوقت نفسه الذى أُوحـــي إليـــه بسورة الحشر أن شكوكه في بني النضير (أي تآمرهم على حياته) لم يكـــن لهـــا أســـاس من الصحة. وواضح أن الغرض من الوحي هو إعطاء المسوِّغ الشرعي لتوزيع أراضي بني النضير على المهاجريـــن دون سواهـــم(٢).

إن مرجـــليوث يحـــاول من خلال هذا التفسير لما حدث لبني النضير أن يُقنع القـــارئ بـــأن الرسول صلى الله عليه وسلم مثله مثل أي إنسان عادي، يتخذ من القرارات ما يمكن أن يكون فيه خاطئاً تماماً، فحملته على بني النضير لم يكن لها أي

---

(١) Margoliouth, Muhammad., P. 314 .

(٢) Ibid., P. 316

مســـوغ، فهـــي قائمة على الظن ليس غير، وقد أثبت الوحي في زعمه عدم صحة مخـــاوف الـــنبي من بني النضير، لأن التهمة التي وجهها القرآن لهم: هي مقاومتهم للرسول ولاشيء غير ذلك.

ثم إن مرجـــليوث يغـــالط نفسه حين يقول: إن الوحي جاء لتسويغ قسمة الأرض بـــين المهاجرين دون غيرهم. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: ممن جاء الوحـــي ؟ وإلى مَنْ ؟ إن كان الوحي من عند الله فلا مجال لمناقشته، وإن كان من عند محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يوحي محمد إلى نفسه ؟

ومـــرة أخرى يمكننا القول بأن ما يرمي إليه مرجليوث من مثل هذه المقولة، هو تأكيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل سياسي تحركه طموحاته السياسية ورغباته الدنيوية، وأنه أبعد ما يكون عن النبوة.

وفي موضـــع آخر يذكر مرجليوث أن نفي بني النضير من المدينة وضع بعض الأوراق الـــرابحة في يد النبي ،فقد أمكن تأمين مصدر رزق ثابت للمهاجرين الذين طالمـــا اعتمدوا على صدقات الأنصار، ومن الناحية الأخرى فقد أظهرت غزوة بني النضير الضعف والتردد وعدم القدرة على المنافسة لدى الحزب الآخر(١) ،وهو هنا ربما يشير إلى اليهود وإخوانهم من المنافقين.

ويجـــب أن يتذكر مرجليوث أن للحرب جوانب إيجابية وأخرى سلبية، وإن كان من إيجابيات إجلاء بني النضير التخفيف من الضائقة المعيشية للمهاجرين، فإن ذلـــك لم يكن الهدف الأول من الحرب، بل إحدى نتائجها. وليس من المستغرب كذلك ظهور الضعف الواضح لدى أنصار بني النضير بعد إجلائهم.

---

(١) Margoliouth, Muhammad., P. 314.

ويلاحظ كذلك أن بول .Buhl F [1] المستشرق الدنمركي قد جانب الصواب وهو يناقش قضية بني النضير فهو يرى أن القرآن ألصق بهم كل أنواع الجرائم، وأنه بعـــد محاصــــرتهم عـــدة أسابيع اضطروا إلى الهجرة إلى خيبر وسورية، وقد خلفوا وراءهـــم ثرواتهم من الذهب والفضة التي احتفظ بها الرسول لنفسه[2]. ومثل هذه الســـطحية في العرض والتجاوز الفاضح للموضوعية العلمية يغني عن الرد على مثل هـــذه الافتراءات. ومن أسف أنه قد أُسند لصاحب هذا الرأي تحرير مادة "محمد" Muhammad في دائـــرة المعارف الإسلامية، وهي مادة يفترض أنها من أكثر المواد أهميـــة وخطورة بالنسبة إلى المسلمين بوجه خاص وإلى غيرهم ممن لا يعرفون عن الإسلام إلا القليل بوجـــه عام [3].

أمـــا المستشـــرقة الإيطالية فرجينـــيا فاكا Varjinia Vacca[4] فقد عالجت مشـــكلة بني النضير بقدر من السطحية، فهي ترى أن سبب المشكلة بين النبي وبني

---

(١) فرانتز بول (١٨٥٠ – ١٩٣٢) مستشرق دنمركي، ولد وتوفي في كوبنهاجن. وكان أستاذاً للغات السامية في جامعتها. لـــه كتاب في **جغرافيـــة فلسطين القديمة** وكتاب "**حياة محمد**"، انظر: عبد الحميد صالح حمدان، **طبقات المستشرقين**، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د: ت) ص ١٠٧.

(٢) Frants Buhl, Art. "Muhammad" **SEI** , Pp. 390 - 405, esp. Pp. 399-401.

وكيف يحوز النبي صلى الله عليه وسلم ثروات بني النضير من الذهب والفضة وشروط الجلاء تنص على [... أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة – السلاح –] وأنهم احتملوا ما أقلت الإبل من الأمتعة وأبواب بيوتهم وأخشابها، فهل يعجزهم بعد ذلك إخفاء ما يحملون من الذهب والفضة. !

(٣) انظر: قصة بني النضير وإجلائهم ومصير ثروتهم عند: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ١٩٩ – ٢٠٥،والواقدي: المغازي، ١/٣٦٣ – ٣٨٣.

(٤) فرجينيا فاكا (١٨٩١ – ؟): ولدت في روما وعاشت بعض الوقت في القاهرة وتعلمت العربية، ولها إسهامات كثيرة في الشعر والأدب العربي إضافة إلى قضايا الشرق السياسية. انظر: العقيقي: المستشرقون، ١/٤٤٤ – ٤٤٥.

النضـــير هـــو مطالبتهم بدفع نصيبهم في دية بعض القتلى، وأنه بعد مفاوضة بعض زعمائهم تأكد للنبي عداوتهم الشخصية لـــه، وشك في أنهم يخططون لقتله، لذلك فقد قرر التخلص من جيران خطيرين كهؤلاء(١).

وهكذا فإن قضية إجلاء بني النضير في رأي فاكا أساسها مخاوف النبي صلى الله عـــليه وســـلم مـــن أنهم يدبرون أمر مقتله. وبالشك والظن لا غير يقوم النبي المعصـــوم بطـــرد قبيـــلة بكاملها عن أرضها ويصادر أملاكها !. ولا يختلف رأي المستشـــرق الفرنسي إميـــل درمنغم Emile Dermenghem كثيراً عن رأي فاكا في قضـــية إجـــلاء بني النضير، فهو بعد أن أشار إلى حادثة بئر معونة، ذكر أن أحد الناجين من أصحاب الرسول قتل اثنين من اليهود ظناً منه أنهم من أعداء المسلمين ونظراً لذلك فقد توجب على النبي صلى الله عليه وسلم دفع الدية، وذهب إلى بني النضـــير ليتباحث معهم في الأمر. وفي أثناء ذلك ظن الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يدبرون خيانته فيما بينهم، حيث سبق لهم التآمر عليه، وكان قد قرر منذ زمن طـــردهم من المدينة ولكن معركة أُحد عاقت تنفيذ ذلك القرار. ثم أنذرهم بمغادرة المدينة خلال عشرة أيام وبالفعل غادروها حاملين معهم أمتعتهم الشخصية متجهين نحو خيبر والشام(٢).

إن المدهش حقاً فيما ذهب إليه درمنغم في معالجته لمشكلة بني النضير، أنـــه – زيادة على جهله في معرفة سياق الحدث التاريخي– لم يتورع عن الافتئات على رســـول الله صلى الله عليه وسلم. فالمعروف جيداً أن الرجلين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية الضمري لم يكونا يهوديين بل عربيين وثنيين من بني عامـــر، وكان معهما

---

(١) Virginia Vacca, art. "Banu Al - Nadir "**SEI**, Pp. 429 - 30.

(٢) Emile Dermenghem, **The Life of Mahomet**. (London:1930) Pp. 233-34

مــــن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب جوار وأمان[1]. ثم إن رسول الله صلى الله عـــليه وسلم عندما ذهب إلى بني النضير كان يطلب منهم الإسهام في دفع دية العامــــريين ؛لأن بني النضير كانوا حلفاء لبني عامر[2]، وهكذا يقضي العرف القبلي بالاشتراك في المغارم. ولذلك فإن عرض درمنغم للمشكلة يوحي للقارئ بأن القتلى مــــن يهود بني النضير، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إليهم للتباحث في أمـــر قـــتلاهم. وهــــذا عكس ما جاء في الروايات التاريخية. ثم إن درمنغم يقع في الإشــــكال نفســـه الذي وقع فيه غيره من المستشرقين مثل فنسنك وفاكا وغيرهما، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ قرار إجلاء بني النضير ومصادرة ثرواتهم بناءً على شكوك وظنون شخصية من أنهم يتآمرون على حياته. بل إن درمنغم يزيد عــــلى من سبقه من المستشرقين في تحليله لتوتر العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وســـلم وبني النضير، بأن الرسول كان قد قرر طردهم من المدينة منذ زمن ولكن معـــركة أُحـــد حالت دون تحقيق ذلك. وهو هنا لا يذكر شيئاً عن مصدره الذى عرف من خلاله القرار المسبق للنبي بنفي بني النضير.

أمـــا المستشرق الإيطالي فرانسيسكو جابرييلي Francesco Gabrieli[3] ففي معالجـــته لغزوة بني النضير يلاحظ أنه يربط بينها وبين نتيجة معركة أُحد؛ ولذلك

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٩٥/٣، والواقدي: المغازي.، ٣٦٤/١، والمقريزي: إمتاع الأسماع، ١٧٣/١ - ١٧٤.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٩٩/٣، الواقدي: المغازي، ٣٦٤/١.

(٣) فرانسيسكو جابرييلي: (١٩٠٤ - ؟) كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعة رومة، برز في دراسة الشعر العربي من الجاهلية حتى الوقت الحاضر، وفي تحقيق التاريخ الإسلامي وفي دقة ترجماته. وهو عضو في المجامع والجمعيات العلمية. انظر: العقيقي: المستشرقون، ٤٥١/١ - ٤٥٤.

يوحـــي للقارئ أن تدهور الروح المعنوية للمسلمين في أعقاب أُحد كان لابد من التغــلب عــليه، فقــرر الــنبي مهاجمة بني النضير متعللاً بسبب تافه مما أسفر عنه محاصرتهم ونفيهم من المدينة مخلفين وراءهم أسلحتهم ونخيلهم المثمر[١].

وهكذا يرى جابرييلي أن تدهور معنويات المسلمين في أُحد اقتضت المعالجة بمهاجمة قوم آخرين لا ذنب لهم مثل بني النضير، وذلك من أجل أن تعود للمسلمين روحهـــم المعنوية العالية وأن النبي تذرع من أجل الوصول إلى ذلك الهدف بذريعة تافهة كما يشير إليها في سياق حديثه عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من بني النضير. لذلك فإنه خلال هذا العرض السطحي للمشكلة ربما كان يهدف من ورائـــه إعطـــاء القـــارئ الانطباع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان متعطشاً لـــلحرب ومصـــادرة الأموال، وأنه كان يضمر العداء والكراهية لليهود بالدرجة الأولى لأنهـــم يهود لا غير. وهذا التصور الخاطئ معارض لما عُرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وشـــبيه برأي جابرييلي بخصوص مشكلة بني النضير ما نجده لدى المستشرق النمســـاوى الأصـــل جرونباوم G. Grunebaum فهو لم يحاول التعرف إلى أسباب تدهور العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير، بل اكتفى بالإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمد على ذريعة تافهة لإجلائهم من المدينة. وأن الغـــرض من نفيهم هو تقوية مركز النبي في المدينة[٣]. أما تلك الذريعة التي يعتبرها جرونباوم تافهة،ولكنها لم تعجز عن تأزم العلاقة بين النبي واليهود، فمن أسف أن

---

(١) Franesco Gabrieli , **Muhammad and the conquests of Islam .** trant. from the Italian by Virginia Huling (New York, 1968) P. 71.

(٢) انظر:. Watt, Muhammad at Medina, P. 217

(٣) G. E. von Grunebaum, Classical Islam, P. 40.

المؤلف لم يذكرها وإذا سألنا لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى تقوية مركزه في المدينة ؟ فإننا لا نجد لدى جرونباوم إجابة مباشرة عن السؤال. ولكنه يشير من بعيد إلى معركة أُحد وما أسفرت عنه من هزيمة ظاهرية للمسلمين وكأن جرونباوم يريد أن يقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يعوض عن هزيمته في أُحد بغزوة بني النضير وبذلك يُعيد الاعتبار إلى هيبته وهيبة المسلمين في المدينة. ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يروم تحقيق هذا الهدف لسارع إلى تحقيقه في خلال الأسبوع الأول أو الثاني على أبعد تقدير بعد غزوة أُحد.

ومما هو جدير بالاعتبار أن الواقدي أشار إلى عدة غزوات وسرايا سبقت غزوة بني النضير وهي: غزوة حمراء الأسد، وسرية أبي سلمة إلى بني أسد، وغزوة [هكذا] بئر معونة وغزوة [هكذا] الرجيع[1]. أي أن غزوة بني النضير حدثت بعد مُضي خمسة أشهر تقريباً على أحداث أُحد. ومن الواضح أن تلك السرايا والغزوات التي أعقبت أُحداً وسبقت غزوة بني النضير كانت كافية لإقناع المتربصين بدولة المدينة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تغلب على سلبيات معركة أُحد بسرعة لم تكن متوقعة، ولذلك لم يكن بحاجة إلى مهاجمة أُناس أبرياء حتى يقوى مركزه في المدينة.

وكذلك نجد دونر F. Donner ينحو منحى جرونباوم من حيث الربط بين معركة أُحد وغزوة بني النضير، وهو كذلك يشكك في مدى مصداقية مصادر السيرة النبوية التي تعرضت لأسباب إجلاء بني النضير بإسهاب. ويرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شعر أنه إذا لم يتعامل مع المعارضة بشيء من الحزم فإن وضعه في المدينة سيصبح أكثر تدهوراً. ثم إن دونر لا يستبعد أنه كان هناك نوع

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي ١/٣٣٤ ٣٥٢، وقارن: ابن هشام: السيرة النبوية.، ٣/١٠٧ – ١٠٩، ١٧٨ – ١٩٨.

من التحالف بين بني النضير وقريش في يوم أُحد، فقد سبق أن كان بينهم وبين أبي سـفيان اتصال أثناء غارته على المدينة فيما بين بدر وأُحـد[١]. ويلاحظ هنا أن دونـر يختـلف عن كثير من زملائه المستشرقين في الربط بين أكثر من سبب وبين الـتدهور النهائي للعلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير. فقد أشار هنا إلى بعض الأحداث التاريخية التي كانت موجهة ضد المسلمين وكان لبني النضـير ضـلع فيهـا كغزوة السويق ومعركة أُحد[٢]. وهو هنا على الأقل يعطي القارئ المحايد الفرصة للتقويم الموضوعي لموقف كلٍّ من الجانبين أي الرسول صلى الله عليه وسلم وبني النضير. ومن جهة أخرى فإن دونر لا يعطي أهمية لمسؤولية بني النضـير في الإسـهام بدفـع دية قتيلي بني عامر. ولا يرى أنها سببٌ فيما آل إليه مصيرهم، حيث اكتفى بالإشارة إليها في الحاشية[٣].

أما واط Watt، فبعد أن أشار إلى قضية بئر معونة، ومقتل العامريين على يد أحـد المسلمين الناجين من المذبحة، تحدث عن زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بـني النضـير وطلبه منهم الإسهام بدفع دية القتلى لأن بني النضير حلفاء لبني عامر. ثم يردف واط قائلاً:

ويـبدو أن محمـداً ظن أنه يتوجب على اليهود أن يدفعوا نصيبهم من الدية أكـثر من غيرهم من أهل المدينة، وأن اليهود من جانبهم ظنوا أنه يجب عليهم دفع أقل من ذلك. ثم يسترسل في وصف المقابلة وأن النبي ساورته الشكوك في غدرهم

---

(١) F. Donner, " **Muhammad's Political consolidation,** ", Pp. 229 - 247. esp. Pp. 232 - 233.

(٢) عروة بن الزبير: مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص ١٦٤ ، وموسى بن عقبة: المغازي، ص٢١، وابن هشام: السيرة النبوية، ٤٧/٣ ، والواقدي: المغازي، ١٨١/١ – ١٨٢، والبيهقي: دلائل النبوة، ١٨٠/٣.

(٣) انظر: حواشي صفحات: Donner, "Muhammad' s Political " Pp. 232 - 33.

بـــه فغادر المكان عائداً إلى المدينة. ثم أنذرهم بالجلاء.[1] والغريب أن اجتهاد واط في تفســـير ما حدث وخاصة فيما يتعلق بالقدر المالي الذي يتوجب على بني النضير تقديمه، ليس لـــه ما يسنده في مصادر السيرة النبوية.

إضافة إلى ماتقدم فإن واط، في كتابه **Muhammad Prophet and Statesman** أشار إلى بعض الاحتمالات التي ربما كانت في نظره وراء إجلاء بني النضير، ويأتي عـــلى رأســـها حسب رأيه، محاولة اليهود المزعومة [كذا] قتل النبي، وأنه بسبب كارثة بئر معونة كان الكثير من المسلمين في المدينة غضاباً من بني النضير لإرتباطهم بقبيـــلة بني عامر. ثم يعود ليقول: إنه من غير المستبعد على كل حال أن محمداً في تصـــرفه تجـــاه بـــني النضير كان مدفوعاً بصورة أساسية بحاجته إلى رفع معنويات المسلمين بعد ما أصابهم من نحس وكذلك تقوية مركزه في المدينة. ويلاحظ هنا أن واط، لم يشـــر إلى قضـــية دية قتيلي بني عامر ولا النصيب الذي يتوجب على بني النضـــير تقديمـــه لحلفائهم. ولعل ما يلاحظ لدى واط من إشارات كالقول بحاجة الرســـول صلى الله عليه وسلم إلى رفع معنويات المسلمين بعد محنة بئر معونة، أو القول بشعور النبي صلى الله عليه وسلم بضرورة تقوية مركزه في المدينة، ما هي إلا ترديد لأفكار سبقه إليها بعض من تقدمه من المستشرقين وعلى رأسهم جرونباوم، الذي نوقشت بعض أفكاره فيما تقدم من هذا البحث. لذلك فإنه ليس من المبالغة في شـــيء إذا قيـــل إن واط لم يقدم جديداً في معالجته لقضية بني النضير، بل على العكس من ذلك قدم تفسيرات متناقضة لحدث واحد[2].

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن إسرائيل ولفنسون ربما كان أحد القلائل الذين ربطـــوا بين عدم اشتراك يهود بني النضير في معركة أُحد و تأزم العلاقة بينهم وبين

---

(١) M.Watt, Muhammad at Medina.., P. 211

(٢) انظر:رأي واط في أسباب غزوة بني النضير في كتابه: Muhammad at Medina، p.211.

رســـول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك يرى أنه كان هنـــاك معاهدة دفاع تلزم الفريقين تنفيذها[1].

ثم يقول: "وكان إنذار الرسول لهم بذلك (أي الجلاء) بمترلة انتقام منهم على عـــدم اشتراكهم في واقعة أُحد. وكأن الرسول كان يعدها غزوة موجهة إلى مدينة يثرب فكان على بني النضير أن يخرجوا للقاء العدو كما تقضي شروط المعاهدة"[2].

ومـــن ثم فإن ولفنسون ينفي عن بني النضير تهمة نية الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم واغتياله لأنهم حسب رأيه يخشون عاقبة فعلهم هذا، ولو أنهم كانوا ينوون اغتياله غدراً لما كان هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه من فوق الحائط، بل كـــان في اســـتطاعتهم أن يفاجـــئوه وهـــو يحادثهم إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه[3].

في الواقـــع أن مـــا ساقه ولفنسون من حجج يستحق التوقف ويثير قدراً من التأمل قبل محاولة تقديم رأي نهائي حول ما شجر بين النبي صلى الله عليه وســـلم وبني النضير من خلاف استفحل وأدى إلى طردهم فيما بعد.

أمـــا معاهدة الدفاع المشترك في حماية المدينة من أي عدوان خارجي، فيظهر أنهـــا لم تُعمـــر طويلاً ،ويحتمل أن يهود بني النضير كانوا أول الخارجين عليها فقد ســـبق القول: إنه في أعقاب بدر ذهب وفد منهم لاستثارة قريش ضد المسلمين[4]، وترغيب قريش لهم وتهديدهم في الوقت ذاته لأجل التآمر على النبي صلى الله عليه

---

(١) ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٤) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٥٤ - ٥٨.

وســـلم بعد بدر مباشرة،[1] وكذلك موقفهم في غزوة السويق. ومن الجائز أن ما أقدم عليه كعب بن الأشرف من تحريض لقريش وتشبيب بنساء المسلمين واغتياله بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلـــم كانت من جملة الأسباب التي أدت إلى انعدام الثقة بين الفريقين. يضاف إلى ذلك موقفهم في أُحد، لا لأنهم لم يحاربوا مع المســـلمين، بل لأنهم – حسب بعض الروايات – انحازوا إلى جانب قريش ودلوهم عـــلى عـــورة المسلمين. لكل هذه الأسباب مجتمعة لم يكن الرسول صلى الله عليه وســـلم ينتظر منهم أي مساعدة؛ لأنه لا يأمن جانبهم؛ ولذلك فإن معاهدة الدفاع المشترك عن المدينة ربما أصبحت ملغاة عند كلا الجانبين، أي من جانب بني النضير والمســـلمين، فقد قال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم[2].

وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث يصادف في بعض المصادر التاريخية ما يفيد أن اليهود كانوا على استعداد للدفاع عن المدينة يوم أُحد، فقد ذكر الواقدي رواية لم يشـــر إلى سندها أنه في طريق النبي إلى أُحد التفت فنظر كتيبة خشناء، فقال: ما هـــذه ؟ قـــالوا: حلفاء ابن أُبي من يهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك[3].

وواضـــح أن ضعف هذه الرواية لا مزيد عليه، إذ من المعروف أن حلفاء ابن أُبي مـــن يهـــود هـــم بنو قينقاع، وهذه القبيلة كما نعلم قد أجليت من المدينة في

---

(١) انظر: الزهـــري: المغازي النبوية، ص ص ٧٢ – ٧٣، والبيهقي: دلائل النبوة.، ٣/ ٣٥٤ – ٣٦٠.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٦٨/٣ (رواية محمد ابن إسحاق عن الزهري من غير طريق زياد).

(٣) الواقدي: المغازي، ٢١٥/١ – ٢١٦، وابن سعد: الطبقات، ٣٩/٢، والمقريزي: إمتاع الأسماع، ١١٨/١

أعقاب معركة بدر[1]. وكانت بنو النضير وقريظة من ألد أعداء ابن أُبي[2]. وعلاوة على ذلك فإن بعض المصادر تذكر أن اليهود اعتذروا عن الدفاع عن المدينة يوم أُحد لأن المعركة وقعت يوم السبت وهم لا يقاتلون في ذلك اليوم[3]. وكذلك اعتذرت بنو قريظة عن القتال في جانب الأحزاب يوم الخندق، لأن الأحزاب أرادوهم على القتال يوم السبت[4]. ومن الجدير بالذكر أن صحيفة المدينة لا تستثني اليهود من واجب الدفاع عن المدينة إذا وافق ذلك إحدى مناسباتهم الدينية كيوم السبت مثلاً [5].

أما عبد الله بن أُبي رأس المنافقين فقد خرج يوم أُحد مع المسلمين، حتى إذا كانوا بين المدينة وأُحد انخذل بثلث الناس، فرجع كما قال ابن إسحاق بمن تبعه من قومه من أهل النفاق والريب[6]. ومما هو واضح هنا أنه ليس في هذه الرواية إشارة إلى اليهود، بل إلى جماعة ابن أُبي من المنافقين. وقد كان خروج ابن أُبي بأنصاره من المنافقين ثم عودته بهم ثانية إلى المدينة لحاجة في نفسه. فقد أراد إضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم وإشاعة البلبلة والفرقة فيما بينهم.

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ١/١٧٦ - ١٨٠، وابن سعد: الطبقات.، ٢/٢٨ - ٣٠.

(٢) ولفنسون: تاريخ اليهود...، ص ١٣٣

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٩٤ (حديث مُخيريق)، والواقدي: المغازي، ١/٢٦٢ - ٢٦٣.

(٤) انظر: موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٢١.

(٥) راجع: حميد الله: الوثائق السياسية، ص ص ٥٩ - ٦٢.

(٦) الزُهري: المغازي النبوية.، ص ٧٧، وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٦٨، والواقدي: المغازي، ١/٢١٩، وابن سعد: الطبقات.، ٢/٣٩، وكانت عدة المسلمين يوم أُحد ألف رجل فانسحب ابن أُبي بثلاث مئة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع مئة رجل.

ويعلل ولفنسون عدم خروج بني قريظة مع النبي يوم أُحد بأن ذلك يعود إلى ارتباطهم مع الرسول بعهد آخر غير عهد بني النضير ،إذ لم يطالبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاشتراك في واقعة أُحد[1].

إن المدهـــش في آراء ولفنســـون أنها لا تعتمد على حقائق تاريخية، فليس في مصـــادر السيرة النبوية شيءٌ يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حارب بني النضـــير لأنهم لم يدافعوا عن المدينة يوم أُحد، كما أنه ليس في المصادر كذلك ما ينـــبئ عن استثناء بني قريظة من واجب الدفاع عن المدينة. بل الثابت أن صحيفة المديـــنة وخاصـــة الجزء المتعلق منها مباشرة باليهود يطلب منهم جميعاً الدفاع عن المديـــنة إذا تعرضت للخطر الخارجي، وأن المسلمين ملزمون بالدفاع عن اليهود في المدينة إذا دهمهم عدو[2]. فكيف تسنى لولفنسون أن يصل إلى هذه الافتراضات ثم يتعامل معها وكأنها حقائق ثابتة؟

ثم إذا كـــانت مقـــولات ولفنســـون حقيقية فلماذا لا تفصح عنها المصادر الإسلامية ؟ في غالب الظن أن امتناع بني النضير عن الاشتراك في الدفاع عن المدينة وهـــو واجـــب عليهم، وخذلانهم المسلمين في ساعة حرجة يُعَدُّ أكبر جرماً وأبعد خطـــراً مـــن محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وهي محاولة ليست مضمونة النـــتائج، فقـــد تنجح وقد تخفق ويكون نصيب أصحابها البوار والخذلان وهذا ما حدث بالفعل.

إن مصـــادر السيرة النبوية التي ناقشت أحداث أُحد، ذكرت دون مواربة أن يهـــود بـــني النضير يوم أُحـــد: "كانوا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأُحد لقتال

---

(١) ولفنسون: تاريخ اليهود ...، ص ١٣٥.

(٢) راجع: صحيفة المدينة في: الوثائق السياسية، حميد الله، ص ص ٦١ – ٦٢.

رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم وأصحابه، فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة "[1] وكما هو بيّن فإن هذه الرواية لم تذكر امتناعهم عن القتال إلى جانب المســـلمين يوم أُحد، بل خيانتهم ووقوفهم إلى جانب قريش إذ دلوهم على نقاط الضـــعف في اســـتعدادات المســـلمين واستحكاماقم، وإن كان حقاً ما ذهب إليه ولفنســـون من أن بني النضير امتنعوا عن مساعدة المسلمين في يوم أُحد؛ لأنه وافق يوم سبت فهو جرم يضاف إلى جُرم[2].

إن أكـــثر الروايات المتصلة بإجلاء بني النضير وثوقاً هي تلك التي تربط بين زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم طالباً منهم المساعدة في دية قتيلي بني عامر ومـــا هـــمَّ به بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم والتآمر على حياته؛ وذلك بإلقاء صخرة عليه من سطح البيت الذي كان يسند إليه ظهره.[3] وقـــد استبعد ولفنسون أمر إلقاء الصخرة، فهو يرى أنه كان باستطاعة اليهود أن يفاجئوه وهو يحادثهم ويقتلوه إذ لم يكن معه إلا نفر قليل من أصحابه[4]. وواضح أنهم لو كشفوا عن نيتهم علناً في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لتألب مجتمع

---

(١) انظر: عروة بن الزبير: مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص ١٦٤، وموســـى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٠، والبيهقي: دلائل النبوة، ص ١٨٠/٣، وابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٤٢١/٧.

(٢) ولفنسون: تاريخ اليهود ....، ص ١٣٥.

(٣) انظر: البخاري: الصحيح، "باب حديث بني النضير، وخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في دية الرجلين وما أرادوا من الـــغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم"، ١٤٧٨/٤، وابن هشام: السيرة النبوية، ١٩٩/٣ -٢٠٠، وموسى بن عقبة: المغازي، ٢١٠ - ٢١١، وعروة بن الزبير: مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٦٤ - ١٦٥،والواقدي، المغازي، ٣٦٤/١ - ٣٦٥.

(٤) ولفنسون: تاريخ اليهود ....، ص ١٣٧.

المدينـــة ضد اليهود ولقتلوهم شر قتلة. ولكن يهود بني النضير كانوا أذكى من أن يقدمـــوا عـــلى ما اقترحه ولفنسون، فإن رمي الحجر من سطح بيت أفضل وسيلة للتخـــلص من رجل عظيم مثل محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم في كلتا الحالتين ســـواء نجحوا في قتله أم أخفقوا سيجعلون المســؤولية على مجهول أو في أحســـن الأحوال سينسبون هذا العمل إلى مجنون.

كمـــا أن ولفنسون يشكك في صحة المؤامرة على حياة الرسول، لأن تلك الحادثة لم تذكر في سورة الحشر التي نزلت في أعقاب إجلاء بني النضير. وفي حقيقة الأمـــر أنـــه ليـــس شرطاً لصحة الواقعة أن يأتي ذكرها في القرآن الكريم. إن من المعروف جيداً أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل وقاد أكثر من ثمانين ما بين سرية وغزوة ولم يذكر القرآن إلا القليل منها، فهل هذا مدعاة للشك في حدوثها ؟

الفصل السادس

بنو قريظة من المسالمة إلى المحاربة

١ – التعايش مع بني قريظة

٢ – دورهم في غزوة الأحزاب

٣ – مصيرهم

أ – الحصار

ب – المفاوضات

ج – الاستسلام

الفصل السادس

بنو قريظة من المسالمة إلى المحاربة

١- التعايش مع بني قريظة:

سبقت الإشارة إلى أصل بني قريظة وسكناهم في يثرب وعلاقتهم بأهلها الأوس والخزرج، وسيلقى الضوء هنا على علاقتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وإلام انتهت.

إن مصادر السيرة النبوية تطرقت في أكثر من مناسبة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة اتفق مع يهودها على التعايش فيما بينهم واحترام كل منهما للآخر. فقد جاء في رواية عند الواقدي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير ومن في المدينة من اليهود على ألاّ يكونوا معه ولا عليه. ويقال صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه منهم ويقيموا على معاقلهم الأولى التي بين الأوس والخزرج[1]. وجاء في رواية أخرى أنه حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وادع أهلها وكتب بينه وبينهم كتاباً، واشترط عليهم ألاّ يمالئوا عدوه، وأن ينصروه على من دهمه، وألا يقاتل عن أهل الذمة[2].

---

(١) الواقدي: المغازي.، ٤٥٤/٢، والمقريزي: إمتاع الأسماع، ٢٢٥/١ - ٢٢٦.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٨٦/١، وقارن ص ٣٠٨، والطبري، تاريخ الرسُل والملوك، ٤٧٩/٢.

وذكر ابن قيم الجوزية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عليه عدوه، وهم على كفرهم، آمنون على دمائهم وأموالهم وكتب بينهم وبينه كتاب أمن[1]. وأضاف ابن قيم الجوزية أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤقت عقد الصلح والهدنة بينه وبين اليهود لما قدم المدينة، بل أطلقه ما داموا كافين عنه غير محاربين له[2].

أما الحلبي، وهو مؤرخ متأخر نسبياً (ت: ١٠٤٤هـ) فلديه رواية فحواها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة عاهد بني قينقاع وبني قريظة والنضير ألاّ يحاربوه، ولا يظاهروا عليه عدوه، وقيل: على ألا يكونوا معه ولا عليه، وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه[3].

إن القراءة الفاحصة لهذه الروايات تظهر بجلاء بعض المصطلحات المتعلقة بالتعايش بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة، والمهم في المقام الأول هنا يهود بني قريظة.

والمقصود بالمصطلح هنا: المصالحة والموادعة والمعاهدة، ومن دون فهم هذه المصطلحات تبقى الصورة غير واضحة. لذلك فقد حفظت معاجم اللغة تعريف كل من هذه المفردات فمثلاً: المصالحة، قالوا الصُّلْحُ: تصالح القوم بينهم والصّلاح نقيض الفساد والإصلاح نقيض الإفساد، والصّلاح بمعنى المصالحة[4]، والصُلحُ، السلمُ[5].

---

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد...، ٣/١١٥.

(٢) المرجع السابق،٣/١٢٤.

(٣) الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/٤٧٤ - ٤٧٥.

(٤) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد الكريم العزاوي ومراجعة محمد علي النجار (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د: ت) مادة (صلح).

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة (صلح).

وكذلــك الموادعة والتّوادع: شبه المصالحة والتصالح... ووادع بني فلان أي صالحهم وسالمهم على ترك الحرب والأذى. وحقيقة الموادعة: المتاركة أي يدع كل واحد منهما ما هو فيه[1]. أما العهد: فهو الأمان، واليمينُ والموثقُ والذمّة والحفاظ والوصية[2]. قالوا: والمعاهد: من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يُطلق في الحديث عــلى أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مــدة مــا[3]. ولابــد أن هناك فروقاً دقيقة وليست كبيرة بين المعاهدة والموادعة، فالموادعة لا يكون معه ولا عليه. أما المعاهدة فهي مفتوحة لأي شروط.

وهكــذا يُفهــم من معاني تلك المصطلحات أنها في مجملها تدور على السّلم ونــبذ العنف على الرغم مما توحي به من الاختلاف في الظاهر. وإذا حاولنا إعادة قــراءة نصوص تلك الروايات المتعلقة باتفاقات السّلم المعقودة بين النبي صلى الله عــليه وسلم ويهود يثرب، يتضح أن الرواية الأولى تشترط على اليهود أن ينصروا الــنبي في حــال اعــتداء أي جماعــة يهودية منهم على رسول الله صلى الله عليه وســلم[4]، ولكنها في المقابل لا تشير إلى أي التزام مــن النبي أو جماعة المسلمين تجاه اليهود ! وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرواية الثانية الموجودة عند البلاذري، فهي تشــترط على اليهود عدم مناصرة أي عدو للنبي وأن ينصروه على أي عدو يهدده في المديــنة، ولكنها لا تذكر شيئاً عن مسؤولية الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه اليهود مقابل مواقفهم هذه[5].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب، مادة (وَدَعَ).

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة (بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤)، مادة: (عهد).

(٣) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر..، ٣/٣٢٥.

(٤) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٤٥٤.

(٥) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٨٦.

أما رواية ابن قيم الجوزية فهي تختلف بعض الشيء عن الروايات السابقة من حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يضمن لليهود حرية المعتقد كما يضمن لهم سلامة دمائهم وأموالهم، وفي المقابل فإنه يتعين على اليهود عدم محاربته أو مظاهرة عـــدوه عليه[1]. ويلاحظ أن رواية الحلبي ذات شقين فيما يتعلق بمعاهدة النبي صلى الله عـــليه وســـلم لليهود: الشق الأول منها: عدم محاربة الرسول أو مناصرة عدوه عـــليه. والشـــق الثاني: أنه يتوجب على اليهود نصرته إذا تعرضت المدينة لعدوان خارجي[2].

ويؤخذ على هذه الرواية أنها مثل سابقاتها باستثناء رواية ابن قيم الجوزية تلزم اليهـــود بـــبعض الواجبات، ولكنها لا تذكر التزام الطرف الآخر تجاههم وهذا مما يضـــعف قيمـــتها التاريخية، ولا يستبعد أن رواية ابن قيم الجوزية ترديد لرواية ابن إســـحاق الـــتي جاء في صدرها: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجـــرين والأنصـــار، وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم[3].

وليـــس مـــن السهولة رفض تلك النماذج من الاتفاقات أو المعاهدات على الـــرغم ممـــا يعتور روايتها من نقص، إذ لابد أن يجد الباحث في بعض نصوصها أساســـاً لاتفاقات أولية أو مرحلية، وأنه لابد أن تلك الاتفاقات تمثلت فيها مصالح الجانـــبين أو المســـؤولية المشتركة بين كل من الطرفين أي بين المسلمين من جانب واليهـــود من الجانب الآخر. كما يجب في هذا السياق عدم إغفال تلك النصوص الموجزة من الاتفاقات التي ربما تُعدُّ نماذج حية للمعاهدات التي أُبرمت بين الطرفين

(١) انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٣/١١٥.

(٢) انظر: الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/٤٧٤ – ٤٧٥.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٠٩.

قبل موقعة بدر الكبرى إذ إن المعاهدة الشاملة مع اليهود التي يفترض أنها كتبت بعد بـــدر لا يمكـــن اختصارها على هذا النحو، وهي التي بلغت موادها ما يربو على عشرين مادة[1].

هـــذا ما يخص الجانب السياسي المتصل بعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم باليهود وبني قريظة على وجه الخصوص؛ وذلك في المرحلة الأولى أي ما قبل بدر، التي حدثت في أواخر السنة الثانية للهجرة.

أمـــا فيما يتصل بالجانب الديني من العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبـــين يهـــود بني قريظة فإنه لا يقل صعوبة عن الجانب السياسي. فقد دعاهم إلى الإسلام ورغبهم فيه وخوفهم من مغبة الكُفر بما جاء به، ولكنهم لجوا في عنادهم. ذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم رؤساء من أحبار اليهود، مـــنهم: عبد الله بن صوريا وهو من يهود بني ثعلبة بن الفطيون، وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، فقال لهم:

"يـــا معشر اليهود: اتقوا الله وأسلموا فـــو الله إنكم لتعلمـــــون أن الذي جئـــتكم به الحق". قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد: فجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفـــر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾[2] [النساء: ٤٧].

وفي مناسبة ثانية تزعم كعب بن أسد فريقاً من علماء يهود بينهم عبد الله بن صوريا وابن صلوبا من يهود بني ثعلبة بن الفطيون وشأس بن قيس من بني قينقاع وذهـــبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء فتنته عن دينه؛ لأنه في نظرهم

---

(١) انظر : حميد الله: الوثائق السياسية، ص ص ٦١-٦٢.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ٢/٢٠٩.

بشـــر أي ليـــس نبياً، فأتوه فقالوا لـــه: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشـــرافهم وسادهم، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود، و لم يخالفـــونا، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة. أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك ؟ فـــأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْـــنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَاأَنزَلَ اللَّهُ إِلَيكَ﴾ [المائدة: ٤٩] (١).

ويظهر أن يهود المدينة وعلى رأسهم يهود بني قريظة لم ييأسوا من تشكيك رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم في دينه وتخذيل الناس من حوله ومحاولة إظهار ضعفه. وإمعاناً منهم في التحدي وإثارة زوابع من الشك في نبوة الرسول صلى الله عـــليه وسلم وفي حقيقة ما يدعو إليه، ذهب إليه بعض سادة بني قريظة وعلمائهم برئاســـة كعب بن أسد وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سُكينة مع من انضاف إليهم من يهود القبائل الأخرى وخاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلين:

يا محمد، أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله وإني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة"، فقالوا: يا محمد ! فأنزل علينا كتابـــاً من السماء نقرؤه ونعـــرفه وإلا جئـــناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى:﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِـــنُّ عَـــلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨] (٢) .

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢١٦/٢، الواحدي: أسباب النزول، ص ١٤٧.

(٢) ابن هشام: المرجع السابق، ٢٢٠/٢، ويلاحظ أن سورة الإسراء مكية. وذكر هبة الله بن سلامة أبو النصر أن سورة الإسراء أو بني إسرائيل نزلت بمكة إلا آية منها نزلت بالمدينة. و لم يحدد تلك الآية. انظر: الناسخ والمنسوخ بهامش أسباب النزول للواحدي، ص ص ٢١١ - ٢١٥.

فلما عجز علماء يهود بني قريظة ومن شايعهم من كبار يهود المدينة عن ثني الـــناس عن الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما عجزوا عن زحزحة النبي عـــن موقفه الصلب وإيمانه الراسخ بنبوته ورسالته بدؤوا بتشكيك من آمن به من يهود، رجاء تحويلهم عن الإسلام وإشاعة موجة من الشك بين أتباع الدين الجديد. فقد ذهب كعب بن أسد زعيم بني قريظة وشمويل بن زيد وبعض زعماء بني النضير إلى عبد الله بن سلام عندما أسلم قائلين لـــه : "ما تكون النبوة في العرب، ولكن صاحبك ملك"(١).

وإذا تركنا الجانب الديني من العلاقات بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة جانباً فإننا نلاحظ أن يهود بني قريظة متى شعروا بظلم وظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سينصفهم ويرفع عنهم ذلك الحيف، فإنهم لا يترددون في الاحتكام إليه وطلب نصرته، وهم الذين شككوا بنبوته وكفروا برسالته.

فقـــد ذكر ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس، أن ما جاء في سورة المائدة من قولـــه تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

إنمـــا نـــزلت في الدية بين بني النضير وبني قريظة، وذلك أن قتلى بني النضير وكـــان لهم شرف، يؤدون الدية كاملة، وأن بني قريظة كانوا يؤدون نصف الدية، فـــتحاكموا إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية سواء(٢).

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٢٠.

(٢) ابن هشام:المرجع السابق، ٢/٢١٥، وأبو داود: السُنن، ٢/٣٢٧ (حديث: ٣٥٩١) وانظر: ابن كثير: التفسير، ٣/١٧٧ - ١١٩.

ويظهـــر أن هذا الصنيع الذى أقدم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع شأن بني قريظة وجعلهم على قدم المساواة مع خصومهم بني النضير في الدماء والديـــات لم يجد فتيلاً في الاعتراف بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم والدين الـــذى جاء به، فقد ظلت قريظة على مكابرتها وعنادها وتحريضها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رسالته التي يدعو إليها.

هذه مقدمات لابد منها لمعرفة طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الرسول صـــلى الله عـــليه وسلم في المدينة ويهود بني قريظة؛ وذلك قبل التأزم الفعلي بين الطرفين.

أمـــا متى بدأت الأحداث تنحو منحىً خطيراً بين الجانبين فهذا أمر ليس من الســـهولة تحديـــده بفترة زمنية معينة. وقد وردت رواية عند البخاري لا تخلو من غمـــوض حول تأزم الأمر بين المسلمين واليهود في المدينة وفيهم بنو قريظة، فذكر بسنده عن عبد الله بن عمر قال:

"حـــاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقرّ قريظة ومنّ عليهم، حتى حـــاربت قـــريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة"(١).

هـــذا الحديث كما هو واضح فيه إجمال للعلاقة بين الرسول صلى الله عليه وســـلم واليهود في المدينة من جانبها السياسي وما آلت إليه من طرد وقتل، وليس فيهـــا إشـــارة إلى زمـــن محدد. أما من الناحية التاريخية فإن بني قريظة امتنعوا عن مســـاعدة بـــني النضير عندما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة

---

(١) البخاري: الصحيح، ١٤٧٨/٤ (حديث: ٣٨٠٤)، ومسلم: صحيح مسلم، ١٣٨٧/٣ - ١٣٨٨ (حديث: ١٧٦٦)،وأبو داود: السُنن، ١٧٢/٢-١٧٣ (حديث: ٣٠٠٥).

الــرابعة للهجــرة. ذكر الواقدي أن ابن أُبيّ أرسل إلى كعب بن أسد زعيم قريظة يحــثه عــلى الانضمام إلى جانب يهود بني النضير والوقــوف معهم، ولكن كعباً رفــض مساعدة بني النضير قائلاً: لا ينقض من بني قريظة رجل واحد العهد. وفي روايــة أخرى أنه قال: لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حي[1]، واعتزلتهم قريظة، ولم تُعنْهم بسلاح ولا رجال، ولم يقربوهم[2].

فمتى يا ترى وقعت تلك الحرب التي اشتركت فيها قريظة والنضير في جانب والمســلمون من الجانب الآخر. ثم لماذا يُطرد يهود بني النضير نتيجة لتلك الحرب وتبقى يهود بني قريظة ؟

وعــلى كــل، هنا رواية سبقت مناقشتها في أثناء بحث العلاقة بين الرسول صــلى الله عــليه وســلم وبني النضير ،وهي رواية الزهري بسنده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومضمونها أن اليهود من بني النضير طلبوا مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحاورته في أمور دينية وقد أضمروا الغدر برسول الله صــلى الله عــليه وسلم وعندما اطلع على نيتهم – ذهب إليهم من الغد بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: "إنكم لا تأمنون عندي، إلا بعهد تعاهدونني عليه"، فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكــتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء"[3].

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي.، ١/٣٦٨ ٣٦٩، وقارن ابن سعد: الطبقات، ٥٨/٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ١/٣٧٠ – ٣٧١.

(٣) انظر: الزهري: المغازي النبوية، ص ص ٧١ – ٧٥. إضافة إلى ضعف هذه الرواية ففي سندها مجهول مما يسقطها لدى المحدثين. أبو داود: السُنن، ١/١٧١ – ١٧٢، (حديث: ٣٠٠٤)، والبيهقي: دلائل النبوة، ٣/١٧٨ – ١٧٩، يجب الإشارة إلى أن الرواية التي لدى أبي داود وكذلك لدى البيهقي هي رواية الزهري نفسها بسنده عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه الرواية كما سبقت الإشارة فيها إشكال من عدة وجوه، وهذا مما يقدح في قيمـــتها التاريخية، فهي تحدد إجلاء بني النضير في الفترة الواقعة بين بدر وأُحد، وهـــذا مخـــالف لما في مصادر السيرة من أن إجلاء بني النضير وقع في السنة الرابعة لـــلهجرة[1] كذلك فإن الرواية تذكر أن من الأسباب الرئيسة في إجلاء بني النضير رفضهم معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر مشكوك فيه إلى حد كبير إذ إنه من المستبعد أن يفضل بنو النضير الجلاء عن بيوقم وممتلكاقم ومفارقة إخوافم من يهود على أن يكتبوا كتاب سلم بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم إن الرواية تجمع بين مؤامرة بني النضير على حياة رسول الله صلى الله عليه وســـلم وطلبه منهم العهد ومحاصرة بني قريظة حتى عاهدوه، والسؤال الذي يمكن إثارته هنا هو:

ما علاقة بني قريظة بمشكلة بني النضير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولمـــاذا يطـــلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابة عهد فيما بينهم ؟ إن رواية الزهري موضع النقاش هنا ليس فيها أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى خيانـــة بني قريظة أو إلى تحالفهم مع بني النضير. ثم إذا كان لنا أن نسلم جدلاً بأن وقعـــة بني النضير وقعت بعد بدر وقبل يوم أُحد، فيجب أن نتذكر أن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم خاض معركة بدر بثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً [2]، وأن المحاربين من رجال بني النضير وقريظة غداة إجلاء بني النضير ربما يربو عددهم على

---

(١) انظر: عروة بن الزبير: مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص ص، ١٦٤-١٦٥، ابن هشام: السيرة النبوية، ١٩٩/٣- ٢٠٤، والواقدي: المغازي، ٣٦٣/١-٣٨٠، وقارن ابن عبد البر: الدُرر في اختصار المغازي والسير، ص ص ١٨٣ - ١٨٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣٦٤/٢، والواقدي: المغازي، ١٥٢/١.

ألفين وخمس مئة مقاتل[1]، لذلك ألم يكن بالإمكان اتحاد القبيلتين ضد المسلمين وخوض معركة حاسمة ضدهم لا سيما وأن المحاربين من يهود يفوقون المحاربين من المسلمين عدداً، إذ ظلت نسبتهم العددية أقل من اليهود حتى عشية يوم أُحد حيث واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بسبع مئة رجل فقط، في حين ظلت نسبة المقاتلين من يهود القبيلتين أعلى منها عند المسلمين أي بنسبة أكثر من (٧: ٣).

لذلك فإن احتمال محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكلتا القبيلتين في وقت واحد يظل احتمالاً ضعيفاً ولابد من النظر إلى رواية الزهري مدار البحث بقدر من التحوط[2]. لهذا فلا مناص من الافتراض أنه نتيجة لإجلاء بني النضير ومصادرة ممتلكاتهم بدأ بنو قريظة يتوجسون خيفة من قوة المسلمين المتنامية وربما

---

(١) ليس لدينا رقم ثابت عن عدد يهود بني النضير، ولكن ذكر الواقدي أنهم حملوا أمتعتهم على ست مئة بعير حين أجلوا من المدينة. وقال الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أجلى بني النضير عن المدينة جعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء. وعند التوفيق بين الروايتين يتبين أن رجال بني النضير ربما كانوا قرابة ألف وثمان مئة رجل. انظر: الواقدي: المغازي، ٣٧٤/١، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٥٥٣/٢. أما الرجال من بني قريظة فقد ذكرت المصادر أن عددهم يراوح ما بين ٦٠٠ - ٩٠٠ رجل. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٥٢/٣، والواقدي: المغازي، ٥١٧/٢-٥١٨ وانظر: الأرقام التقديرية لسكان المدينة من اليهود في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لدى بركات أحمد وهي لا تخلو من مبالغة ظاهرة !

Muhammad and the Jews, Pp. 42 - 43.

(٢) حاول ابن حجر العسقلاني تفسير إشكال حديث "حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير وأقر قريظة.... " بقوله: كذا وقع تقديم قريظة على النضير وكأنه لشرفهم، وإلا فإجلاء النضير كان قبل قريظة بكثير. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٧/ ٤٢. ولعل ما ينقض رأي ابن حجر في أن بني قريظة أعلى شرفاً من النضير، هو طلب قريظة من الرسول صلى الله عليه وسلم مساواتهم ببني النضير من حيث الدية. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢١٥/٢، وأبو داود: السُنن، ٣٢٧/٢، وابن كثير: التفسير...، ١١٧/٣ - ١١٩.

أقدموا على ما يوجب تجديد العهد معهم. فقد جاء عند ابن سعد عن حُميد بن هلال أنـــه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم و قريظة " ولث من عهد"[1]. ويميل كستر M. J. Kister، إلى أن الاتفـــاق الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني قـــريظة، هو ولث عهد أي اتفاق غير محكم على التعايش بين الطرفين وهو أشبه ما يكـــون بالموادعـــة.[2] ومعلوم أن الموادعة، تعنى المصالحة، وتعني أيضاً ترك الحرب والأذى. ومـــنه الحديـــث: "وكان كعب القرظي موادعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم"[3].

أمـــا إذا سألنا عن مضمون ذلك الاتفاق أو "ولث من عهد" فلا نجد لذلك إجابـــة شـــافية، غير ما جاء عند موسى بن عقبة في "مغازيه" على لسان عمرو بن سُعدى القرظي[4] مخاطباً قومه بني قريظة في يوم الأحزاب: "يا معشر يهود إنكم قد حالفتم محمداً على ما قد علمتم ألا تخونوه ولا تنصروا عليه عدواً وأن تنصروه على من دهم يثرب، فأوفـــوا على ما عاهدتموه عليه"[5] وجاء في إضافة لدى الواقدي عـــلى لسان عمرو بن سُعدى تكملة لحديثه أمام بني قريظة: "فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية، فوالله ما أدرى يقبلها أم لا"[6].

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ٧٧/٢، والولث: هو العهد غير المحكم والمؤكد، وقيل: "الولث، العهد المحكم انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٢٣/٥ - ٢٢٤. والزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ٨/٤.

(٢) Kister, M. J "The Massacre of the Banu Qurayza "JSAL, 8. 1986,. P. 83

(٣) انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٦٧/٥، وابن منظور: لسان العرب، مادة (ودع).

(٤) انظر: ترجمة عمرو بن سُعدى القرظي: في الإصابـــة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني: ٥٣٨/٢.

(٥) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٧، وقارن الواقدي: المغازي، ٥٠٣/٢ - ٥٠٤.

(٦) الواقدي: المغازي، ٥٠٤/٢.

ولكــن عــند فحص المقولة المنسوبة إلى عمرو بن سُعدى، التي قد يُستشف منها الأساس الذي بُني عليه العهد أو الموادعة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بــني قــريظة، يظهــر بجلاء أن هناك التزامات محددة يتعين على اليهود القيام بها، ولكــنها في المقــابل لا تظهــر مسؤولية المسلمين تجاههم. وليس من المستبعد أن مسؤولية المسلمين تجاه يهود بني قريظة مسؤولية ضمنية أي السماح لهم بالبقاء في المدينة مع ضمان حمايتهم من أي اعتداء. ومن المحتمل كذلك أن الإشارة إلى الجزية هــي إضــافة متأخرة و لم تكن في العهد الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهــود بني قريظة؛وذلك لأسباب منها أنه لا توجد أي إشارة إلى الجزية في رواية موسى بن عقبة في "مغازيه"(١). وكذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الخامســة من الهجرة لم يكن قد أُمرَ بأخذ الجزية من أهل الكتاب ولا من سواهم. وقــد أمر الله رسوله بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى في السنة التاسعة من الهجرة بقولــه تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَــا حَــرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] (٢).

وبصــرف النظر عن مدى صدق ما نُسب إلى عمرو بن سُعدى من مشورته على قومه بدفع الجزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن السؤال الأكثر إلحاحاً هــو: ما مدى التزام بني قريظة بعهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل نقضوه ؟ ومتى كان ذلك ؟

يظهــر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبرم مع يهود بني قريظة أكثر من عهد، ثم ينقضونه، فقد جاء في تفسير قولــه تعالى: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ

(١) انظر: موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٧.

(٢) انظر: ابن كثير: التفسير...، ١٢٩/٤ - ١٣١.

﴿يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]. عند بعض المفسرين: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاهد يهود قريظة فنقضوا العهد، وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه ثانية، فنقضوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق[1]. وجاء عند الطبري في "تفسيره" لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]. أي الذين يا محمد أخذت عهودهم ومواثيقهم ألا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محارباً لك، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله. وروى الطبري عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾. أنهم قريظة، مالؤوا على محمد صلى الله عليه وسلم أعداءه[2].

وهكذا يتبين من نصوص القرآن ومن أقوال جهابذة المفسرين أن يهود بني قريظة قلما يحترمون عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ينقضون عهدهم في كل مرة. بل لعل إشارة المفسرين إلى مساعدة بني قريظة مشركي مكة بالسلاح أنها كانت يوم أُحد، أقول: إن مثل هذه الإشارة قد تفسر تدهور علاقة المسلمين مع بني قريظة في أعقاب أُحد وإجلاء بني النضير، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نتيجة لذلك طلب منهم كتابة عهد فيما بينهم، وهذا قد يُفسر أو يزيل بعض الغموض الذي يلاحظه الباحث في رواية الزهري التي سبقت مناقشتها.

---

(١) انظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ٣/٣٧١ - ٣٧٢. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢/٤٠، ٨/٣٠، وقارن: الطبري: جامع البيان، ٩/٢٥ - ٢٧، وانظر: تفسير مقاتل (مخطوطة) نقلاً عن:

M. J. Kister, "The Massacre of the Banu Qurayza" . P. 95.

(٢) الطبري: جامع البيان، ٩/٢٥ - ٢٧.

ولكن هل صمد هذا العهد طويلاً ؟أم كما قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَـــرِيقٌ مِـــنْهُمْ بَـــلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]. الذي فسره عطاء، أن المقصـــود بذلـــك العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فنقضوها كفعل قريظة والنضير[١].

يظهر أن هذا العهد الذي أبرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بني قريظة في أعقـــاب أُحُد وإجلاء بني النضير، لم يعمر طويلاً، فكما ذكر السيوطي أنه بعد جـــلاء بني النضير بقيت قريظة بعدهم عاماً أو عامين على عهد بينهم وبين نبي الله صـــلى الله عـــليه وســـلم، فلما جاء المشركون يوم الأحزاب نقضوا العهد[٢]. أما الكيفية التي نُقضَ فيها العهد، وما السبب وراء ذلك، فهو مثبت في المصادر التاريخية.

٢- دورهم في غزوة الأحزاب :

قبل مناقشة روايات المصادر عن نقض بني قريظة لعهدها مع المسلمين يجب إعطـــاء لمحـــة موجزة عن وقعة الخندق أو الأحزاب التي وقعت في ذي القعدة سنة خمس من مهاجره عليه الصلاة والسلام لأنها وثيقة الصلة بقريظة ونقضها العهد وما آل إليه أمرها أخيراً.

قالوا: " لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير ساروا إلى خيبر، فخـــرج نفر من أشرافهم ووجوهم إلى مكة فألّبوا قريشاً ودعوهم إلى الخروج إلى رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم، وعاهدوهم وجامعوهم على قتاله ووعدوهم

---

(١) انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، ١/١٢٠.

(٢) السيوطي: الدُرّ المنثور، ٦/١٩٠.

لذلـــك موعـــداً، ثم خرجوا من عندهم، فأتوا غطفان وسُليماً ففارقوهم على مثل ذلـــك، وتجهـــزت قـــريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف، وعقـــدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم سفيان بن عـــبد شمـــس حـــليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاويـــة بصـــفّين وخـــرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد الأسدي، وخرجت فزارة فأوعبت، وهم ألف بعير يقودهم عُيينة بن حصن، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رُخيلة، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحـــارث بن عوف وخرج معهم غيرهم، وقد روى الزهري أن الحارث بن عوف رجـــع ببني مرة فلم يشهد الخندق منهم أحد، وكذلك روت بنو مرة والأول أثبت أنهم قد شهدوا الخندق مع الحارث بن عوف، وهجاه حسان بن ثابت. فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر وعناج الأمر إلى أبي سفيان بن حرب، فلما بلغ رسول الله صلى الله عـــليه وســـلم فصولهم من مكة ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في أمـــرهم، فأشـــار سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين وعسكر بهم رســـول الله صلى الله عليه وسلم، إلى سفح سلع وجعل سلعاً خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ثم خندق عـــلى المديـــنة، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم عليهم وعمـــل رسول الله صلى الله عليه وسلم، معهم بيده لينشط المسلمين، ووكل بكل جـــانب مـــنه قومـــاً فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج إلى ذُباب، وكانت الأنصـــار يحفرون من ذُباب إلى جبل بني عُبيد، وكان سائر المدينة مشبكاً بالبنيان فهي كالحصن، وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء

الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جُربا إلى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم، وفرغوا من حفره في ستة أيام ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين لثماني ليال مضين، من ذي القعدة "[1].

يتبين من العرض الجزئي للرواية التي قدمها ابن سعد عن وقعة الخندق أن زعماء يهود بني النضير الذين أُجلوا إلى خيبر، هم الذين تزعموا حركة تحزيب الأحزاب وجمعوا قريشاً وغيرها من القبائل العربية على محاربة المسلمين في المدينة[2].

ويتبين من العرض كذلك أن المدينة بعد حفر الخندق أصبحت محصنة من جهتها الشمالية، أما بقية الجهات فهي محوطة بالمزارع والبنيان[3]. تقطن قبيلة بني قريظة الجهة الجنوبية الشرقية، ويفترض أنها مسؤولة عن الدفاع عنها[4]. وقد

---

(١) انظر: ابن سعد: الطبقات، ٢/٦٥ – ٦٧، أورد كثير من المؤرخين خبر وقعة الخندق أو الأحزاب، واختيرت الرواية الواردة عند ابن سعد لأنها أقل الروايات الأخرى احتفالاً بالتفاصيل الثانوية. انظر: عن غزوة الأحزاب، الزهري: المغازي ص ص ٧٩ – ٨٣، وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٢٤ – ٢٤٤، والواقدي، المغازي، ٢/٤٤٠–٤٩٣، ابن حزم: جوامع السيرة، ص ص ١٤٧– ١٥٧، وابن عبد البر: الدُرر في اختصار المغازي والسّير، ص ص ١٩٠ – ٢٠١.

(٢) ذكر اليعقوبي أن وقعة الخندق وهو يوم الأحزاب كانت في السنة السادسة، وكانت قريش تبعث إلى اليهود وسائر القبائل فحرضوهم على قتال رسول الله، فاجتمع خلق من قريش إلى موضع يقال له سلْع، انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٠. واضح أن هذه المعلومات تناقض المتفق عليه عند أغلب مؤرخي السيرة.

(٣) الواقدي: المغازي، ٢/٤٤٦ – ٤٥٠.

(٤) المرجع السابق، ٢/٤٥٤.

استعار المسلمون من قريظة آلات كثيرة من مساح وكرازين ومكاتل يحفرون بها الخندق[1]. ولم يقلق المسلمون كثيراً على الجهة الجنوبية للمدينة، فقد كان كعب ابن أسد القرظي، وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك وعاقده[2].

واستمرت مدة الحصار عشرين يوماً أو أقل. فقد قيل: إنها بضعة عشر يوماً وقيل عشرين يوماً، ويقال: خمسة عشر يوماً، وهذا الذي رجحه الواقدي[3]. وكانت حالة الجو وأحوال المسلمين النفسية والمعاشية حينذاك في غاية السوء، فكان حذيفة بن اليمان يقول: لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة شديدة البرد قد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف[4].

ويظهر من بعض الروايات أنه لم يقع كبير قتال بين المسلمين والمشركين طوال أيام الحصار، اللهم إلا بعض المناوشات والمراماة المتقطعة، إضافة إلى المبارزة الفردية المحدودة[5].

ولكن يبدو أن الأحزاب استطاعوا إغراء يهود بني قريظة بالانضمام إليهم والغدر بالمسلمين،فأصبح المسلمون بين فكي الأسد، كما يقال، فقد ذهب حُيي بن أخطب إلى بني قريظة وحثهم على الوقوف بجانب الأحزاب ضد المسلمين.

---

(١) الواقدي: المغازي، ٢/٤٤٥ .

(٢) انظر: الطبري: جامع البيان، ١٩/١٣٠، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٣١.

(٣) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٤٩١، وقارن: الزُهري، المغازي، ص ٧٩.

(٤) الواقدي: المغازي، ٢/٤٨٨.

(٥) المرجع السابق، ٢/٤٤٦ - ٤٧٤، وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٣٤ - ٢٣٧.

"فواثقهم وعاهدهم لئن انفضت جموع الأحزاب أن يجيء حتى يدخل معهم أطمهم فأطاعوه حينئذ بالغدر بالنبي والمسلمين"[١]. ونجد في إحدى الروايات أن يهود بني قريظة لم يكونوا في أول الأمر متحمسين لمجيء قريش ولا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا يومئذ سلماً للنبي صلى الله عليه وسلم يكرهون قدوم قريش[٢]. وعندما جاء حُيي بن أخطب داعياً زعيم قريظة لنقض الحلف مع النبي صلى الله عليه وسلم والانضمام إلى الأحزاب رد عليه كعب بقوله": يا حُيي إني قد عاقدت محمداً وعاهدته، فلم نر منه إلا صدقاً، والله ما أخفر لنا ذمة ولا هتك لنا ستراً ولقد أحسن جوارنا"[٣]. ولم يزل حُيي بكعب بن أسد حتى لان له، وأراد كعب قبل الإقدام على نقض العهد استشارة كبار رؤساء يهود بني قريظة، فقال لحُيي: ارجع عني يومك هذا حتى أشاور رؤساء اليهود، فقال له حُيي: قد جعلوا العهد والعقد إليك فأنت ترى لهم، وجعل يُلح عليه حتى فتله عن رأيه[٤]. ومن ثم نقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ، ودعا حُيي بالكتاب الذي كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فشقه حُيي[٥]. وتكاد توحي الرواية نفسها أن تردد كعب في نقض العهد ليس حباً في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وفاءً لعهده، ولكن، كما قال في

---

(١) الزُهري: المغازي النبوية، ص ٨٢، انظر: تفصيل المحادثة التي جرت بين حُيي بن أخطب وكعب بن أسد عند الواقدي: المغازي، ٢/٤٥٤، وانظرابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٢٣١ - ٢٣٢، وقارن: موسى بن عقبة: المغازي، ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) الواقدي: المغازي، ٢/٤٤٥ - ٤٤٦.

(٣) المرجع السابق، ٢/٤٥٥، وقارن: موسى بن عقبة: المغازي ص ٢١٧.

(٤) الواقدي: المغازي ، ٢/٤٥٦.

(٥) المرجع السابق، ٢/٤٥٦.

فـيما ترى كارهاً لـه، وأنا أخشى ألاّ يُقتل محمد، وتنصرف قريش إلى بلادها، وترجع أنت إلى أهلك، وأبقى في عُقر الدار، وأُقتل ومن معي(١). لذلك فإن سبب تـردد كعب هو الخوف من سوء العاقبة، فهو لا يزال يذكر ما حل بقبائل اليهود الأخرى أي قينقاع والنضير.

وفي هـذه الأثناء علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريظة ربما نقضت عهدهـا، فقـد أخبره عمر بن الخطاب أن بني قريظة نقضت العهد وحاربت(٢). وجاء في رواية أخرى، أن يهود بني قريظة مزقوا "صحيفة القضية" التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم، ونبذوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرب، وتحصنوا(٣).

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام، فقال:اذهب إلى بني قـريظة، فذهب ثم رجع فقال:يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم ويُدربون طـرقهم، وقـد جمعوا ماشيتهم(٤).وإمعاناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروية وعدم أخذ القوم بالظن، أرسل إلى بني قريظة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة، وخوّات بن جبيـر ليكلموهم(٥)، ويناشـدوهم في حلفهم،

---

(١) الواقدي: المغازي، ٤٥٦/٢.

(٢) المرجع السابق، ٤٥٧/٢، وانظر ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٣٢/٣.

(٣) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٧.

(٤) الواقدي: المغازي، ٤٥٧/٢، وانظر محمد سليمان:

Muhammad Suleman: "The Role of Intelligence in the Successful Defence of Medina in 5 A. H. " **IQ**, Pp. 47 -52. (1984).

(٥) ذكر الواقدي أن الوفـد الذي بعثه الرسول إلى يهود بني قريظة هم: سعد بن معاذ وسعد بن عُبادة وأُسيد بن حضير، وشكك في بقية أعضاء الوفد الذين ورد ذكرهم عند موسى بن عقبة وكذلك عند ابن إسحاق. انظرالواقدي: المغـازي، ٤٥٨/٢.

فدخلوا عليهم فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف، فقالوا: الآن وقد كسروا جناحنا، يريدون بجناحهم المكسورة بني النضير، ثم أخرجوهم وشتموا النبي صلى الله عليه وسلم شتماً[1]. وجاء في رواية أخرى للواقدي أنه لما انتهى وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كعب، وجدوا القوم قد نقضوا العهد. فناشدوهم الله والعهد الذي كان بينهم. فقال كعب: لا نرده أبداً، قد قطعته كما قطعت هذا القبال، قبال نعله[2].

إن خيانة قريظة للرسول والمسلمين مسألة مؤكدة بشهادة القرآن الكريم لذلك، فليس هناك مجال للشك فيما أقدموا عليه، لهذا فإنه في النهاية يجب التعويل على ما جاء في القرآن الكريم في تصوير ما حدث، فعندما عاد الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بحقيقة نقض قريظة للعهد، وشاع الخبر في معسكر المسلمين، وعظم البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال بعض بني حارثة يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة[3]. وخيف على الذراري والنساء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وُجاه العدو، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم يعتقبون

---

(١) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٨، وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٣٢.

وقارن ما جاء في الدُرّ المنثور للسيوطي، إذ قال: فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم- أي إلى بني قريظة - سعد بن معاذ وخوات بن جُبير، فلما أتياهم، قال عظيمهم: كعب بن الأشرف، قد كان لي جناحان فقطعتم أحدهما، فإما أن تردوا عليَّ جناحي وإما أن أتخذ عليكم جناحاً. السيوطي: الدُر المنثور، ٦/١٩٠. وربما كان السيوطي يقصد كعب بن أسد.

(٢) الواقدي: المغازي، ٢/٤٥٨.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٣٣، والواقدي: المغازي، ٢/٤٥٩.

خـــندقهم ويحرســـونه وتكلم قوم بكلام قبيح، فقال مُعتّب بن قشير: يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر، وأحُدنا لا يأمن يذهب إلى حاجته، وما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا [1].

ولقـــد صوّر القرآن الكريم المؤامرة الدنيئة التي قادها الأحزاب ضد المسلمين، كمـــا صوّر أبلغ تصوير الهلع النفسي الذي أحاط بالمسلمين حتى زاغت أبصارهم وبـــلغت القلوب الحناجر وتسرب لنفوس بعض ضعاف الإيمان منهم أي المنافقين ســـوء الظـــن بالله، إذ قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَـــتِ الأَبْصَـــارُ وَبَـــلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِـــنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٠- ١٢].

وقـــد اختـــلف المفسرون في تحديد المقصود بالذين جاؤوا من فوق المسلمين ومـــن أســـفل منهم، فأورد الطبري عدة أقوال منها: عن مجاهد، أن المراد بالذين جـــاؤوهم مـــن فوقهـــم عُيينة بن بدر في أهل نجد ومن أسفل منهم أبو سفيان، وواجهتهم قريظة[2]. ونقل الطبري عن ابن إسحاق أن الذين جاؤوهم من فوقهم: قريظة والذين جاؤوهم مـــن أسفل منهـــم قريش وغطفان[3]. وجاء في رواية عن حذيفـــة بـــن اليمان قوله: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل نخافهم على ذرارينا[4].

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٤٥٩ - ٤٦٠.

(٢) انظر: الطبري: جامع البيان، ٢١/١٢٩، والسيوطي، الدُرّ المنثور، ٥/١٨٧.

(٣) الطبري: جامع البيان، ٢١/١٣١، وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٥٧.

(٤) انظر: السيوطي: الدُرّ المنثور، ٥/١٨٤.

كمـــا جاء في رواية للحاكم عن السُّـــدِّي، قال: واجتمعت قريش وكنانة وغطفـــان فاســـتأجرهم أبو سفيان بلطيمة قريش، فأقبلوا حتى نزلوا بفنائه فترلت قـــريش أسفل الوادي ونزلت غطفان عن يمين ذلك وطُليحة الأسدي في بني أسد يسار ذلك، وظاهرهم بنو قريظة من اليهود على قتال النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وهـــذه الرواية تخالف ما هو مشهور من أن يهود بني النضير هم الذين أثاروا قريشاً وحزّبوا الأحزاب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بالمدينة[2]، وهي لا تخلو من غموض من حيث الأماكن التي احتلتها القوات المتحالفة.

في الحقيقة ليس مهماً من الذين جاؤوا من فوق المسلمين أو من أسفل منهم فهـــذا لا يغير في حقيقة الأمر شيئاً سواءً أكانت قريظة أم قريشاً وأحلافها، وليس مـــن غرض هذا البحث الفحص عن هذا الأمر على وجه الدقة، ولكن لزم التنويه بذلـــك لتجـــلية أمر الارتباط بين أحداث غزوة الخندق و إجلاء بني قريظة؛ لأن جمهـــور المفســـرين اختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً وقد عرضنا هنا طرفاً من ذلك الاخـــتلاف. إنـــه من الضروري هنا تأكيد أن قريظة لم تكتف بنقض عهدها مع رســـول الله صلى الله عليه وسلم وأنها لم تبق على الحياد، بل انغمست في المؤامرة الدنيئة ضد حلفاء الأمس أي المسلمين، فقد قدم الواقدي ثبتاً بتجاوزات بني قريظة في أثناء المحنة التي أحاطت بالمسلمين.

---

(١) السيوطي: الدُر المنثور، ١٨٧/٥.

(٢) انظر: الطبري: جامع البيان، ١٢٩/٢١- ١٣٠، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤ /١٢٩، والواقدي: المغازي، ٤٤١/٢ - ٤٤٣. ذكر الواقدي أن يهود بني النضير ساروا إلى غطفان فجعلوا لهم تمر خيبر سنة، على أن ينصروهم ويسيروا مع قريش إلى محمد إذا ساروا. الواقدي: المغازي، ٤٤٣/٢، والمبالغة في مكافأة غطفان واضحة هنا، فإذا أعطاهم اليهود تمر خيبر سنة، فماذا سيطعـــم أهـــل خيبر ؟! وقد جـــاء في مغازي موسى بن عقبة أن اليهود شرطوا لغطفان تمر خيبر، ص ٢١٥.

قال هلال بن أمية: أقبلتُ في نفر من قومي وبني عمرو بن عوف... حتى إذا كـنا بعوسـا (موضع) إذا نفر منهم [بنو قريظة] منهم نباش بن قيس القرظي، فنضـحونا بالنبل ساعة ورميناهم بالنبل وكانت بيننا وبينهم جراحة، ثم انكشفوا على حاميتهم ورجعنا إلى أهلنا فلم نر لهم جمعاً بعد[1].

وقـال الحارث بن فُضيل: " همت بنو قريظة أن يغيروا على بيضة المدينة ليلاً فأرسـلوا حُيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيهم منهم ألف رجل ومن غطفان ألف، فيغيروا بهم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فعظم البلاء، فكان رسول الله صـلى الله عليه وسلم يبعث سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلي في مئتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة يحرسون المدينة ويظهـرون التكبيـر" [2].

وذكر أبو بكر بن حزم، أن نباش بن قيس خرج ليلة من حصنهم يريد المدينة ومعـه عشـرة من اليهود من أشدائهم وهم يقولون: عسى أن نصيب منهم غرة، فانـتهوا إلى بقيـع الغرقد فيجدون نفراً من المسلمين من أصحاب سلمة بن أسلم بـناحية بـني حارثـة، فناهضـوهم فراموهم ساعة بالنبل، ثم انكشف القرظيون مولين[3].

وأورد ابن إسحاق بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير، أن صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع، حصن حسان بن ثابت مع النساء والصبيان قالت: فمر بنا رجـل من يهود فجعل يطوف بالحصن "وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ٤٥١/٢.

(٢) المرجع السابق، ٤٦٠/٢.

(٣) المرجع السابق، ٤٦٢/٢.

صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت... ثم نزلتُ من الحصن إلى اليهودي فضربته بالعمود حتى قتلته"[١].

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الخندق يتعاهدون أهليهم بأنصاف النهار بإذن النبي صلى الله عليه وسلم، فينهاهم، فإذا ألحوا أمرهم أن يأخذوا السلاح خوفاً عليهم من بني قريظة[٢]، وكان رجال من أهل العوالي يرغبون في أن يطلعوا على أهلهم، فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أخاف عليكم من بني قريظة... من ذهب منكم فليأخذ سلاحه، فإني لا آمن بني قريظة، هم على طريقكم[٣]. وجاء عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان[٤]. لذلك فلم يكن أهل الآطام من ذراري المسلمين ينامون إلا عُقب، مناوبة، خوفاً من بني قريظة أن يغيروا عليهم[٥].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى أهل الخندق من المسلمين لم يكونوا ينامون الليل إلا قليلاً، أو كما قال خوات بن جبير: فكان ليلنا بالخندق نهاراً[٦].

---

(١) انظر: ابن هشام السيرة النبوية، ٣/٢٣٩، وقارن: الواقدي، ٢ المغازي، /٤٦٢- ٤٦٣، فقد ذكر أن غزال بن سموأل وعشرة من بني قريظة طافوا بأطم فارع، وأن أحد اليهود دنا من باب الحصن يريد أن يدخل فاحتجزت صفية بثوبها ثم أخذت خشبة فنزلت إليه فضربته فقتلته فهرب من بقي من يهود. وراجع البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٣٢٤، فقد ذكر أن حادثة قتل صفية لليهودي كانت يوم أُحد.

(٢) الواقدي: المغازي، ٢/٤٥١.

(٣) المرجع السابق، ٢/٤٧٤.

(٤) المرجع السابق، ٢/٤٦٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ٥/٨١.

(٦) الواقدي: المغازي، ٢/٤٦١.

إضـــافة إلى ما تقدم من تسلط يهود بني قريظة على المسلمين والتحرش بهم وتهديد آطامهم التي فيها نساؤهم وأولادهم وتهديد طرقهم وسابلتهم، فقد ذكرت بعض المصادر المتأخرة أن بني قريظة كانوا يمدون قريشاً في أثناء حصارها للمسلمين بالتمر والشعير وحتى علف الماشية(١).

وهكـــذا في هـــذا الجو النفسي المشحون بالقلق والخوف، وظهور الغدر من حـــلفاء الأمـــس، بـــني قريظة، وظهور المنافقين، على حقيقتهم ودعوتهم السافرة بـــالعودة إلى منازلهم بالمدينة ومجاهرتهم بتكذيبهم الله ورسوله، بقولهم: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]. وأمام الإصرار العنيد لقريش وحلفائها عـــلى منازلة المسلمين وكسر شوكتهم، أمام ذلك كله شعر الرسول الكريم بهول الموقف وثقل المسؤولية التي تتطلب حماية المعتقد وتأمين سلامة المجتمع، ولذلك فقد قـــرر أن يجـــرب "سلاح الدبلوماسية" لعله يفلح في تفريق كلمة أهل الباطل من الأحزاب، فعزم على الاتصال ببعضهم ومساومتهم فأرسل إلى عُيينة بن حصن بن بـــدر الفزاري وهو رأس المشركين من غطفان وعرض عليه ثلث تمر المدينة على أن يرجع بقومه غطفان ويخذل بين الأحزاب. فأرسل إليه عُيينة، إن جعلت لي الشطر أي النصف فعلت(٢).

---

(١) انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ١/ ٣٠٤، والحلبي: السيرة الحلبية.، ٦٤٧/٢، ومن المدهش حقاً أن هيكلاً في كتابه: حياة محمد، زعم أن قريظة كانت تمد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤونة خلال مدة الحصار، ص ص ٣٢٣ -٣٢٤. وتابعه في هذا الرأي الذي ليس له أي مستند تاريخي أحمد إبراهيم الشريف، في كتابه: دولة الرسول في المدينة، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٢) الزُهري: المغازي النبوية، ص ٧٩، وابن هشام: السيرة النبوية، ٢٣٤/٣.

بعـد جولة أخرى من المحادثات رضي عُيينة بن حصن ورفاقه مـن زعماء غطفـان بثـلث ثمـر المدينة، فجاؤوا وقد أحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأحضر الصحيفة والدواة وأحضر عثمان بن عفان لكتابة الصحيفة، ودعا سـعد بـن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما في الأمر وأخبرهـما بما قد أراد من الصُلح. ولكنَّ السعدين لم يوافقا، وقالا: لا نعطيهم أبداً إلا السيف[1].

ومـن المحتمل أنه على أثر إخفاق ذلك الاجتماع بين الرسول صلى الله عليه وسلم وزعماء غطفان، بدأت عُرا التحالف تضعف، وبدأ شعور بعدم الثقة يتسرب إلى نفـوس بعـض قادة الأحزاب، وقد لخص عُيينة بن حصن والحارث بن عوف الموقـف بقولهما: "وما مقامنا بشيء، مع أن قريشاً إن علمت بما عرضنا على محمد عرفت أنا قد خذلناها و لم ننصرها"[2].

ويـبدو كذلك أن أمر مفاوضة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعد سراً فقـد عـلمت قريظة بذلك، وقيل: إن أحد زعمائها، الزبير بن باطا، قال: "وهذه غطفـان تطـلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتنصرف"[3]. وما دامت قـريظة علمت بالأمر فإن ما حدث لم يعُد سراً فلابد أن خبر المفاوضة وصل إلى قـريش وبقيـة حـلفائها، وأن شعوراً من عدم الثقة سرى في نفوس جميع قادة الأحزاب، ومن هنا ضعفت معنوياتهم واستعدادهم القتالي.

وفي هـذه الظروف برز نُعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي الذي قيل: إنه أسلم ليالي الخندق سراً دون علم قومه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلفه بـتفريق كلمة الأحزاب قائلاً لـه : "إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنـا إن

---

(١) الواقدي: المغازي، ٤٧٧/٢ - ٤٧٩، وقارن: ابن هشام السيرة النبوية، ٢٣٤/٣.

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ٤٧٩/٢.

(٣) المرجع السابق، ٤٨٣/٢.

استطعت، فإن الحرب خدعة"[1]. ويظهر أن نُعيماً نجح في مسعاه وحقق رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفريق كلمة الأحزاب.

قال ابن سعد في روايته عن أبي نجيح: إذ جاء نُعيم بن مسعود الأشجعي وكان يأمنه الفريقان جميعاً، فخذل بين الناس فانطلق الأحزاب منهزمين من غير قتال، فذلك قوله: وكفى الله المؤمنين القتال[2].

ومهما تكن خطورة الدور الذي قام به نعيم بن مسعود في تفريق شمل الأحزاب ومهما قيل عن النجاح الذي أصابه في مسعاه، فإن مما لا شك فيه أن إرادة الله غالبة إذ اقتضت إرادته تشتيت الأحزاب وردهم عما أرادوا. قال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٤٠، ابن عبد البر: الدُرر في اختصار المغازي، ص ١٩٨، وقارن: موسى بن عقبة: المغازي، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١، وانظر: الروايات المختلفة عن الدور الذي قام به نعُيم بن مسعود في تفريق كلمة الأحزاب عند الواقدي، المغازي، ٢/٤٨٠ - ٤٨٧، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٣٥ - ١٣٧، انظر: حديث "الحرب خَدْعَة " عند البخاري: الصحيح، ٣/١١٠٢ (حديث: ٢٨٦٤، ٢٨٦٥) ومسلم: صحيح مسلم، ٣/١٣٦١ — ٦٢ (حديث: ١٧٣٩، ١٨٤٠).

(٢) انظر: ابن سعد: الطبقات، ٢/٧٣، وذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة: أن نُعَيم ابن مسعود الأشجعي، أسلم ليالي الخندق، وهو الذي أوقع الخُلْفْ بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق، فخالف بعضهم بعضاً ورحلوا عن المدينة. الإصابة، ٣/٥٦٨ (ترجمة: ٨٧٧٩) وانظر: رواية محمد بن مسلم بن وارة عند البيهقي إذ يظهر من خلالها أنه لم يكن لنُعيم بن مسعود أي دور يذكر في تشتيت شمل الأحزاب، بل ربما كان الدور في ذلك لحذيفة بن اليمان الذى سعى في تفريق كلمتهم وفشلهم، وذلك إنفاذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: البيهقي: دلائل النبوة، ٣/٤٥٣ - ٤٥٤.

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وقد ذكر المفسرون طرفاً من أخبار تلك الريح والجنود التي أرسلها الله فقالوا المقصـــود بالـــريح: ريـــح الصّبا، أُرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهـــم ونـــزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم، والمقصود بالجنود، هم الملائكة ولم تقـــاتل يومـــئذ. فبعث الله على الأحزاب الرعب والريح، فكانوا كلما أوقدوا ناراً أطفأهـــا الله، حتى قال سيد كل حي لقومه: النجاء.... النجاء أُتيتم، لما بعث الله عـــليهم من الرُعب[1]. وجالت خيل المشركين بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرُعب، وكَثُر تكبير الملائكة في جوانب العسكر[2].

وفي ذلك المساء المكفهر الشديد الريح والرعد والمطر والظلمة أرسل رسول الله صـــلى الله عـــليه وسلم حذيفة بن اليمان ليدخل في معسكر الأحزاب ويأتيه بخبرهم، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقرُّ لهـــم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش إنكم، والله، ما أصـــبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخُف واختلفت بنو قريظة، وبلغنا عنهم الـــذي نكـــره، ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم[3].

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ٢١/١٢٨، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٤٤.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٤٤.

(٣) انظر: الطبري: جامع البيان، ٢١/١٢٧ - ١٣٨،والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٣٧ - ١٣٨، وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٤٣ - ٢٤٤، والواقدي: المغازي، ٢/٤٨٨ - ٤٩٠.

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق أصبح وليس بحضرته أحد من العساكر، قد هربوا وذهبوا وانقشعوا إلى بلادهم، وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك[١].

٣ - مصيرهم :

أ - الحصار :

لم يكد النبي صلى الله عليه وسلم يصل إلى بيته في المدينة، ويضع سلاحه ويغتسل حتى أتاه الأمر الإلهي بالمسير نحو قريظة، حدثت عائشة رضي الله عنها: "لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق، ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح. والله ما وضعناه، فأخرج إليهم. قال: (فإلى أين ؟) ؟ قال: ها هُنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم"[٢].

ولئن كان قرار مواجهة الأحزاب قراراً دفاعياً اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لحماية المدينة من كيد قوى الشر المتحالفة فإن أمر المسير إلى قريظة، كان أمراً إلهياً ولا دخل لمشيئة النبي صلى الله عليه وسلم فيه، حيث إنه منفذ لمشيئة الله، لذلك فقد أمر مناديه أن ينادي في أرجاء المدينة" لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"[٣]. وجاء عند مسلم عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الواقدي: المغازي، ٤٩١/٢.

(٢) البخاري: الصحيح، ١٥١٠/٤ (حديث: ٤٨٩١).

(٣) المرجع السابق، ١٥١٠/٤ (حديث: ٣٨٩٣)، ٣٢١/١ (حديث: ٩٠٤)، ومسلم: صحيح مسلم ، ١٣٨٩/٣ (حديث: ١٧٦٩)، وقارن: الزهري: المغازي النبوية، ص ٨١، وابن سعد: الطبقات، ٧٤/٢، والواقدي: المغازي، ٤٩٧/٢.

وسلم نادى في الناس يوم انصراف الأحزاب " أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة"[1].

وقَـدَّم رسـول الله صـلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قـريظة. ولما أتى بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها "بئر أُنـا" [2] وتلاحـق بـه الناس[3]. وكان ذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوماً، ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس للهجرة[4]. فلما رأت بني قريظة جموع المسلمين تطيف بحصونهم، أخذوا يشتمون الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم، فقال: "يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت أتشتمونني" !.، فجعلوا يحلفون بالتوراة، ويقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً[5].

---

(١) انظر: صحيح مسلم، ١٣٩١/٣ (حديث: ١٧٧٠)، وقارن: ابن هشام: السيرة النبويـة، فقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مؤذناً في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، ٢٤٤/٣ - ٢٤٥.

(٢) بئر أُنا: بضم الهـمزة وتخفيف النون كهنا، وقيل بالفتح وكسر النون المشددة بعدها مثناة تحتية وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته حين حاصر بني قريظة على بئر أُنا، وصلى في المسجد الذي كان هناك، وشرب من البئر. انظر السمهودي: وفـاء الوفاء، ٩٥٠/٢.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٤٥/٣.

(٤) الواقدي: المغازي، ٤٩٦/٢، والبلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢، وقارن: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩١/٣. وذكر ابن إسحاق أن الحصار دام خمساً وعشرين ليلة، ٣/ ٢٤٦، وابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ١٢٢/٣.

(٥) الواقدي: المغازي، ٤٩٩/٢ - ٥٠٠، وقارن: موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٢٤.

ثم قَـــدّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُماة من أصحابه، فدامت المراماة بين الطرفين ساعة، فانجحر بنو قريظة لم يطلع منهم أحد تلك الليلة[1]. وفي صباح اليـــوم الـــتالي قَـــدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُماة وعبأ أصحابه فأحاطوا بحصـــونهم مـــن كـــل ناحيـــة فجعل المسلمون يراموهم بالنبل والحجارة، وجعل المسلمون يعتقبون فيُعقب بعضهم بعضاً، فما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم يُراميهم حتى أيقنوا بالهلكة[2].

وكان يهود بني قريظة بدورهم لا يقلون استبسالاً في مهاجمة جموع المسلمين والدفـــاع عـــن أنفسهم، فقد جاء في شهادة عبد الله بن عمر: "كانوا يراموننا من حصونهم بالنبل والحجارة أشد الرّمي. وكنا نقوم حيث تبلغهم نبلنا"[3].

وبالمقابل فقد كان المسلمون مستميتين في محاصرة بني قريظة والتضييق عليهم حـــتى يستســـلموا، قال محمد بن مسلمة: حصرناهم أشد الحصار فلقد رأيتنا يوم غدونـــا عـــليهم قـــبل الفجر، فجعلنا ندنو من الحصن ونرميهم من كثب ولزمنا حصـــونهم فلم نفارقها حتى أمسينا، وحضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهـــاد والصـــبر، ثم بتنا على حصونهم، ما رجعنا إلى معسكرنا حتى تركوا قتالنا وأمسكوا عنه[4].

ويظهـــر أن المسلمين في مرحلة متأخرة من مراحل الحصار واصلوا حصارهم ليهـــود بني قريظة ليل نهار، حيث جاء في شهادة لنباش بن قيس، أن المسلمين في

---

(١) ابن عبد البر: الدُرر في اختصار المغازي والسير، ص ٢٠٢.

(٢) انظر: الواقدي، المغازي: ٥٠١/٢.

(٣) المرجع السابق، ٥٠١/٢.

(٤) المرجع السابق، ٥٠١/٢.

أول الحصار كانوا يقاتلون في النهار ويرجعون في الليل، ثم أمسوا يبيتون الليل ويظلون النهار(١).

يتبين من عرض الروايات السابقة أنه لم يحدث قتال مباشر بين المسلمين واليهود إلا المراماة بالنبال والحجارة من بعيد، إضافة إلى الحصار الذي ضربه المسلمون على حصون بني قريظة حتى أذعنوا للاستسلام. ولكن جاء في رواية لعكرمة أنه في يوم قريظة قال رجل من اليهود من يبارز؟ فخرج له الزبير بن العوام، فعلاه الزبير فقتله. وقد ضَعّفَ الواقدي هذه الرواية وذكر أن هذه الواقعة كانت في فتح خيبر(٢).

وجاء كذلك في شعر لحسان بن ثابت يصف فيه ما ألم بقريظة وكأنه يصف معركة والتحاماً مباشراً بين المسلمين واليهود، جاء فيه:

لقد لَقِيتْ قُريظةُ ماسآها ... وما وَجَدتْ لذُلٍّ مِنْ نَصِير
أصابَهم بلاءٌ كان فيه ... سوى ما قد أصاب بني النَّضِيرِ

وفيها :

تَرَكْناهم وما ظَفِروا بشيء ... دماؤُهُم عليهمْ كالعَبِير
فَهم صرْعى تَحوُم الطيرُ فيهم ... كذَاك يُدانُ ذو العَندِ الفَجُور(٣)

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٥٠٣.

(٢) المرجع السابق، ٢/٥٠٤ – ٥٠٥.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٨٣ – ٢٨٤، وقارن: **ديوان حسان بن ثابت** برواية الأثرم ومحمد بن حبيب، تحقيق سيد حنفي حسنين ومراجعة حسن الصيرفي، (القاهرة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

وبـناءً عـلى هذا الوصف الذي قدمه حسان بن ثابت عن مصير يهود بني قـريظة فقـد أوحى ذلك لبركات أحمد أن المواجهة بين المسلمين واليهود تخطت نطـاق الحصـار إلى معركة فعلية سقط فيها قتلى وأسرى[1]. وهذا بطبيعة الحال يخالف ما صرحت به مصادر السيرة النبوية، من أنه لم يقع قتال والتحام مباشر بين يهـود بني قريظة والمسلمين[2]. وليس بمستبعد أن حساناً قدم صورة شعرية لا تخلو من المبالغة.

ب - المفاوضـات :

نتـيجة لتضـييق المسـلمين الحصار على يهود بني قريظة ويأسهم من نجدة الأحزاب لهم، قرروا المفاوضات مع النبي صلى الله عليه وسلم رجاء حفظ دمائهم، فأنزلوا نباش بن قيس، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة وقال: يا محمد، نترل على ما نزلت عليه بنو النضير، لك الأموال والحلقة وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقـالوا: فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذُرّيّة، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، إلا أن تنـزلوا على حكمي[3].

---

(١) Ahmad , B. Muhammad and the Jews, P. 90.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٤٦-٢٥٦،والواقدي: المغازي، ٢/٥٠٩ -٥١٨.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٤٦ - ٢٤٧ وقارن: الواقدي:المغازي، ٢/٥٠١. ربما كان الواقدي المؤرخ الوحيد من بين المؤرخين المتقدمين الذي نقل لنا تفاصيل المفاوضات التي جرت بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة في أثناء الحصار، والحقيقة أنه يقدم لنا أدق تفاصيل المحادثات التي جرت بين اليهود أنفسهم وهم في حصنهم. وكأنه كان بينهم، وهذا كله يجعل الباحث لا يعول كثيراً على تفاصيل تلك المحادثات، وإنما يسوقها هنا للاستئناس بها ليس غير.

ثم عـــاد نباش إلى قومه بني قريظة ونقل لهم موقف النبي صلى الله عليه وسلم وإصـــراره على أن ينـــزلوا على حكمه. وفي هذه الأثناء وفي حالة القنوط واليأس التي استولت على نفوسهم، عرض عليهم زعيمهم كعب بن أسد، حسب ما جاء في رواية الواقدي ثلاثة خيارات:

١- الخيار الأول: أن يؤمنوا بمحمد وما جاء به فيحفظوا بذلك دماءهم وأموالهم، إذ إنهم يعلمون أن محمداً نبي الله.

٢- الخيـــار الـــثاني: أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا بالسيوف لقتال محمد وأصحابه.

٣- الخيـــار الثالث: أن الليلة، ليلة السبت، ويكون محمد وأصحابه آمنين فيها أن تقاتلهم اليهود، فيخرجون فيقاتلون محمداً وأصحابه[١].

ولكـــن بـــني قريظة قابلوا كل هذه المقترحات بالرفض، فهم لا يتخلون عن الـــتوراة ومـــا كانوا عليه من أمر موسى، ويرفضون قتل أولادهم ونسائهم لأنه لا ذنـــب لهـــم أولاً، ثم ما قيمة الحياة بعدهم. وهم أخيراً لا يقاتلون يوم السبت لأنه محرم عليهم ولهم في ماضي أسلافهم عبرة[٢].

والحقيقة أن كل هذه الخيارات التي يقال: إنها نوقشت وانتهت بالرفض؛ لأنها تصطدم مع العقيدة اليهودية، هي في الواقع محل شك. وتتناقض مع العقيدة اليهودية المزعومة[٣].

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ٥٠١/٢ - ٥٠٢.

(٢) انظر: المرجع السابق،٥٠٢/٢ - ٥٠٣.

(٣) انظر: المناقشة الماتعة لهذه الخيارات الثلاثة التي يقال: إن كعب بن أسد عرضها على قومه يهود بني قريظة لدى:بركات أحمد في:Muhammad and the Jews, Pp. 74 - 76

أمـــا العـــرض الأول الذي يقال: إن كعب بن أسد عرضه على قومه، وهو الإيمـــان بنـــبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته أو كما قال: "والله إنكـــم لتعـــلمون أن محمداً نبي الله، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب" إضـــافة إلى ما نقله لهم بعض علمائهم من قرب ظهور النبي المنتظر، وأنه يخرج في بـــلاد العـــرب[1]، فإذا كان ما اقترحه عليهم رئيسهم حقاً وأنهم، رفضوه حسداً لـــلعرب ليس غير، فهذا الظلم بعينه من حيث معاداتهم للحق، ثم هل يُقبل عقلاً أن رجـــال قبيـــلة بكاملها يرضون بالقتل عن طيب خاطر على أن يتبعوا الحق؟ ثم ما الـــذي يمنع أن يتظاهروا بقبول الإسلام حفظاً لدمائهم ويبقوا سراً على ديانتهم لا سيما أن هناك أكثر من سابقة تاريخية في هذا المجال.

فقـــد سبق أن حدث في سنة (٣٤هـــ /٦٥٤م)، أن أُجبر اليهود في طليطلة على اعتناق المسيحية في ظروف مشابهة، ثم حدث مثل ذلك في سنـــة (١٠٥هـــ / ٧٢٣م) عندما أجبر الإمبراطور البيزنطي يهود آسيا الصغرى على اعتناق المسيحية تحت طائلة العقاب الصارم فاعتنقها كثير منهم، ثم عادوا لليهودية فيما بعد[2].

أمـــا العرض الثاني الذي يقال: إن كعباً ناقشه مع أفراد قبيلته بني قريظة وهو أن يقتـــلوا زوجـــاتهم وأبناءهم، ثم يخرجوا مستبسلين في قتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهو قول يصعب قبوله لعدة أسباب منها:

أن القـــتل مـــن بين الأمور المحرمة كما جاء في الوصايا العشـــر في ســـفر التثـــنية " لا تقتل" وجاء في القرآن الكريم تحريم قتل النفس على بني إسرائيل، قال

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٥٠١ - ٥٠٢.

(٢) Ahmad , B. Muhammad and the Jews, P. 75.

تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِــي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَــلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

فكيف يحاول يهود بني قريظة الخروج من جريمة التنصل عن الدين بارتكاب جــريمة لا تقل وزراً عنها وهي قتل النفس التي حرم الله. زيادة على هذا فإن مثل هــذا التصرف لا ينسجم مع العرف اليهودي وهو قبل كل شيء خال من المنطق كما لاحظ أحد الباحثين[١].

أما البديل الثالث، وهو القتال يوم السبت، لأن المسلمين يأمنون أن يقاتلهم اليهــود فيــه، ورفــض اليهود لتلك الفكرة، فيظهر أن فكرة العمل يوم السبت اليهودي لا تخلو من المبالغة، صحيح أنه جاء في الإصحاح الخامس من سفر التثنية: "وأمــا اليوم السابع فسبت "Shabbat" للــرب إلهك، لا تعمل فيه عملاً (ما) أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك" (الإصحاح الخامــس: ١٥) ولكن ليس في هذا النص أية إشارة إلى تحريم القتال فيه دفاعاً عن النفس.

وجاء في مصدر آخر أن طبيعة العمل (Melakhah) الذي يتوجب على اليهود عــدم ممارســته في يوم السبت أصبح لــه تفاسير كثيرة مختلفة على مدى التاريخ اليهودي. وهناك أنماط محددة من الأعمال التي لا يجوز ممارستها يوم السبت ذكرها الأســفار المقدسة وهي: عدم صنع الخبز أو الطبيخ وإشعال النار وجمع الحطب[٢].

---

(١) Ibid., P. 75.

(٢) انظر: ER. Art. Shabbat Vol. 13. Pp. 189-192 (New York,Macmillan, P.C.1993)

وواضح أن هذه الأعمال الرئيسة المحظور على اليهود القيام بها يوم السبت لا تتضمن الدفاع عن النفس. زد على ذلك أنه منذ ثورة المكابين سنة (١٧٥ - ١٣٥ ق. م) صدر الحكم أن حفظ الحياة مقدم على التقيد بشعائر يوم السبت وكل القوانين المتعلقة بشعائر يوم السبت وحتى عيد الكفارة يمكن تجاهله من أجل الواجب المقدس وهو الحفاظ على الحياة[1].

لذلك فلو قرر يهود بني قريظة منازلة المسلمين وهم مصرون على احترام يوم سبتهم، لكان بإمكانهم أن يطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم مهلة يوم أو يومين ليفكروا في أمرهم، ثم يباغتوا المسلمين في يوم خلاف يوم السبت، وفي غالب الظن أن قوة الطرفين كانت متعادلة حينذاك. صحيح أن بعض المصادر ذكرت أن عدة المسلمين يوم الخندق ثلاثة آلاف[2]، وهو بالتأكيد لا يخلو من مبالغة، إلا أن هناك مصادر أخرى أشارت إلى أن عدد المسلمين يوم الخندق كان ألفاً أو أقل[3].

---

(١) Ahmad , B. Muhammad and the Jews, P. 76

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٣١/٣، والواقدي، المغازي: ٥٢٢/٢، وابن سعد: الطبقات، ٧٤/٢، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٥٧٠/٢.

(٣) انظر: البخاري: الصحيح، ١٥٠٥/٤ - ١٥٠٦ (حديث: ٣٨٧٦)، وذكر ابن حزم في **جوامع السيرة**: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، وقيل في تسعمائة فقط، وهو الصحيح الذي لا شك فيه، والأول وهم" (ص ١٤٨). وذكر اليعقوبي أن عدة المسلمين يوم الخندق سبع مئة رجل، تاريخ اليعقوبي، ٥٠/٢. ومعلوم أن المسلمين الذين خرجوا يوم الخندق هم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة.

إن الهـــدف مـــن كل ما تقدم هو إظهار مدى هشاشة الأفكار التي قيل: إن كعب بن أســـد طرحها أمام قومه بني قريظة، لذلك فلا يستبعد أنها أفكار خيالية لا صلة لها بما حدث في ذلك الاجتماع المزعوم[1].

وإذا تركـــنا مــــا قيـــل عـــن مشورة كعب جانباً وعدنا إلى المجرى الرئيس للأحـــداث فإن المصادر التاريخية تشير إلى أنه بعد أن يئس بنو قريظة من أن يقبل الـــنبي صلى الله عليه وسلم أياً من عروضهم السابقة وتيقنوا إصراره على أن يترلوا عـــلى حكمه طلبوا منه أن يبعث إليهم أبا لُبابة بن عبد المنذر، أخا بني عمرو ابن عوف[2] وكانوا حلفاء الأوس، ليستشيروه في أمرهم، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم[3]، فقـــال: اذهـــب إلى حلفـــائك، فإنهـــم أرسلـــوا إليك من بـــين الأوس[4]. وبعـــد محادثـــات طويلة بين أبي لبابـــة ورجـــال بني قريظة قال لـــه كعب بن أسد: ما ترى فإنا قد اخترناك على غيرك ؟ إن محمداً قد أبى إلاّ أن نـــترل عـــلى حُكْمـــه، أفنترل ؟ قـــال: نعم، فانـــزلوا - وأومأ إلى حلقه أي هو

---

(١) Ahmad , B. Muhammad and the Jews, P. 76

وانظر كذلك: ابن سعد: الطبقات، ٧٤/٢ - ٧٨. فقد أسقط ما نسب إلى كعب بن أسد مما عرض على قومه في وقت الحصار.

(٢) أبو لبابة بن عبد المنذر: اختُلف في اسمه، فقيل: بشير، وقيل رفاعة: وقيل: مروان، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمّر أبا لبابة على المدينة عند خروجه إلى بدر، وضرب له بسهمه وأجره، وذكره موسى بن عقبة في البدريين، وقالوا: كان أحد النقباء ليلة العقبة. وكانت راية عمرو بن عوف بن الأوس معه يوم الفتح. يقال: مات في خلافة علي، وقيل: في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى بعد الخمسين. انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ١٦٨/٤ (ت: ٩٨١).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٤٧/٣، والواقدي: المغازي، ٥٠٥/٢ - ٥٠٦.

(٤) الواقدي: المغازي، ٥٠٦/٢.

الذبـــح[1]. وأدرك أبو لبابة أنه بإشارته تلك قد خان الله والرسول صلى الله عليه وسلم فذهب من فوره إلى المدينة وربط نفسه في إحدى سواري مسجد رسول الله رجاء أن يتوب الله عليه[2].

وفي الحقيقة أن ما قيل عن تلميح أبي لبابة ليهود بني قريظة أنهم إذا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مصيرهم القتل، هو قول فيه إشكال ومن غير السهل التسليم به. إذ كيف عرف أبو لبابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيقتل بني قريظة ؟ هل أخبره الرسول بذلك من دون بقية أصحابه ؟ أم أن ما قاله أبـــو لبابة ليهود بني قريظة كان مجرد حدس وتخمين ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يجوز لصحابي مثل أبي لبابة أن يتقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة حاسمة كتلك ؟ !

---

(١) الواقدي، المغازي، ٥٠٦/٢، وقارن: الطبري: جامع البيان، ١٥٠/٢١-١٥٢، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٣٩/١٤-١٤٠. وذكر النيسابوري في أسباب النزول، في حديثه عن آية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول.....﴾ الآية أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري حين حصار بني قريظة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من اليهود النزول على حكم سعد بن معاذ فأبوا.وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم؛ لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم. فقالوا: يا أبا لبابة ! ما ترى أننزل على حكم سعد بن مُعاذ، فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا.......، ص ١٧٥. وقول الواحدي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجبر اليهود على قبول حكم سعد وأن أبا لبابة حذرهم من قبول سعد بن معاذ حكماً مخالف لما هو مشهور من قضية التحكيم. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٥٠/٣ - ٢٥١، والواقدي: المغازي: ٥١٢/٢، وأبو حاتم البستي: السيرة النبوية وأخبار الخلـــفاء، ص ٢٦٥، وابن عبد البر القرطبي: الدُرر في اختصار المغازي...، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) ابن هشام: السيرة النبويـــة، ٢٤٧/٣، وقارن: الواقدي، المغازي: ٥٠٦/٢ - ٥٠٩، وابن حزم الأندلسي: جوامع السيرة، ص ١٣٥، وابن عبد البر: الدُرر في اختصار المغازي، ٢٠٣-٢٠٤، وابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢ ص ١٢٢.

وإذا كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصدر حكمه على بني قريظة مســـبقاً، وهو أمر لا يجوز القطع به؛ لأن رسول الله أكرم من ذلك، فكيف يُحيل أمـــر الحكـــم فيهم إلى سعد بن معاذ سيد الأوس ؟ أمام هذه التساؤلات لابد من الافتراض أن ما نُسب إلى أبي لبابة يحتاج إلى دليل ملموس لأن الآيات القرآنية التي قيل أنها نزلت فيه محل خلاف بين المفسرين[1].

ج – الاستسلام :

فلما أصبح يهود بني قريظة في اليوم التالي، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بأسراهم فكتفوا رباطاً، وجُعل على كتافهم محمد بن مسلمة، ونحـــوا ناحيـــة، وأخرجوا النساء والذرية من الحصون. فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. فقـــال لهـــم الرسول: "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم" ؟ قـــالوا: بـــلى. قال: فذاك إلى سعد بن معاذ[2] . وسعد يومئذ في المسجد في خيمة كعيـــبة بـــنت سعد بن عتبة تداويه، وكانت تُداوي الجرحى، وكان قد جُرح يوم

---

(١) انظر: ابن كثير: التفسير..، ٤/٤٠– ٤٢، وانظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٧١/٢.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٤٩/٣، وقارن: الواقدي: المغازي، ٢/ ٥١١، وذكر الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم فأبوا أن يجيبوه إلى الإسلام، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه ومن معه من المسلمين حتى نزلـــوا على حكم سعد بن معاذ، وأبوا أن ينزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم. المغازي النبوية، ص ٨١، وانظر: موسى بن عقبة، المغازي، ص ٢٢٤، فقد ذكر بعض الاختلاف اليسير بشأن اختيار سعد بن معاذ. وقارن: أبا عُبيد، الأموال، ص ص ٢١٥ – ٢١٦.

الخندق[1]. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار: "قوموا إلى سيدكم، أو خيركم" فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك". فقال: تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قضيت بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك"[2]. وجاء في حديث آخر رواية عن عائشة أم المؤمنين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة فنزلوا على حكمه، فرد الحكم على سعد، قال: فإني أحكم فيهم: " أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم"[3].

وجاء في رواية أخرى عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة خمساً وعشرين ليلة. فلما اشتد عليهم البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: نترل على حكم سعد بن معاذ فقال لهم: انزلوا على حكم سعد، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فلما جاء قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " احكم فيهم "، فحكم فيهم أن تقتل

---

(١) وذكر ابن إسحاق أن سعداً كان في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفيدة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد حين أصابه السهم بالخندق: "اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب"، ابن هشام: السير النبوية، ٣/٢٥٠، والواقدي: المغازي، ٢/٥١٠ - ٥١١.

(٢) البخاري: الصحيح، ٤/١٥١١ (حديث: ٣٨٩٥)، ٣/١١٠٧ (حديث: ٢٨٧٨)، مسلم، صحيح مسلم، ٣/١٣٨٨ - ١٣٩٨ (حديث: ١٧٦٨).

(٣) البخاري: الصحيح، ٤/١٥١١ (حديث: ٣٨٩٦)،و٣/١١٠٧ (حديث: ٢٨٧٨)، ومسلم: صحيح مسلم، ٣/١٣٨٩ - ١٣٩٨ (حديث: ١٧٦٩)،. وأبو عُبيد: الأموال، ص ص ٢١٥ - ٢١٦ (حديث: ٣٤٧).

مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم. فقال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد " حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله"[1].

وروى حُميد بن هلال أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ من بين الخلق، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى الذرية والأموال. قال حُميد: قال بعضهم: وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار[2].

وذكر ابن سعد في ترجمة لسعد بن معاذ سبع روايات عن حكمه في بني قريظة، جاء في خمس منها، "تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والأموال"[3]. ورواية واحدة عن عبد الله بن يزيد الأنصاري، لم يذكر فيها نوع الحكم الذي أصدره سعد في شأن بني قريظة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: أصبت حكم الله ورسوله[4]. أما الرواية الأخيرة، فهي رواية عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال فيها: "تقتل من جرت عليه المواسي" وأن تقسم أموالهم وذراريهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكم بينهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماواته[5].

---

(١) أبو عُبيد: الأموال، ص ص ٢١٥ (حديث: ٣٤٦)، وحميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ٣٤٢/١- ٣٤. (حديث: ٥٣٦)، وقارن: الزهري:المغازي النبوية، ص ص ٨١ - ٨٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٧٧/٢، وانظر مناقشة باشميل لحكم سعد في بني قريظة في: **غزوة بني قريظة**، محمد أحمد باشميل، الطبعة الثانية (بيروت: دار الفكر ١٣٩١هـ/١٩٧١م) بدءاً من الفصل الثالث حتى آخر الكتاب.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٣/٣ - ٤٢٦.

(٤) المرجع السابق، ٤٢٤/٣.

(٥) المرجع السابق، ٤٢٦/٣، ذكر ابن سعد هذا الحكم دون سند عند حديثه عن غزوة بني قريظة وحكم سعد فيهم ، انظر ابن سعد: الطبقات، ٧٥/٣.

وجاء في حديث الواقدي عن حكم سعد في بني قريظة رواية[1] لأبي سفيان عـــن محمد بن مسلمة شبيهة برواية عامر بن سعد بن أبي وقاص، حيث قال سعد: "فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه الموسى، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأمـــوال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق سبعة أرقعة"[2].

إن اللافت للنظر في هذه الروايات جميعها عدم ذكرها لعدد من قُتل من بني قـــريظة، وإن جميع الروايات المشار إليها ماعدا اثنتين منها أشارت إلى حكم سعد بقـــتل "المقاتلة" وهذا ربما يعني أن المقصود بالمقاتلة الذين قاتلوا فعلاً. أما الروايتان الأخيرتـــان منهما فتذكران حكم سعد بقتل من جرت عليه "الموسى"، وهذا يعني ضـــمناً قـــتل كل من ناهز الاحتلام من الرجال، وأصبح قادراً على حمل السلاح. ووجـــه الإشـــكال في هاتين الروايتين أننا لا نجد لهما أي أثر عند المحدثين، مما قد يضـــعف مـــن قيمتهما التاريخية موازنة ببعض الروايات التي سبقت الإشارة إليها. وذكـــرت المصادر أن سعد بن معاذ أخذ موافقة كل من المسلمين واليهود على أن يكون حكماً بينهم وعلى الرضا بحكمه[3].

---

(١) أبو سُفيان: لعله أبو سُفيان الأسدي، مولى عبد الله بن أبي أحمد بن جحش، وقيل كان مولى بني عبد الأشهل...، قيل اسمه وهب ويقال: قزمان. كان أبو سُفيان يوم بني عبد الأشهل وفيهم ناس من الصحابة. وثقه ابن سعد وابن حبان والدارقطني. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، تحقيق خليل شيحا وآخرين، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة ١٤١٧هـ) ٣٥٠/٦.

(٢) الواقدي: المغازي، ٥١٠/٢ - ٥١٢، وابن سعد: الطبقات: ٧٥/٣.

(٣) انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٥٠/٣، والواقدي: المغازي، ٥١٢/٢، وابن حزم: جوامع السيرة، ص ١٥٤، وابن حبان البُستي: السيرة النبوية، ص ٢٦٥.

وبعـــد صـــدور حكم سعد بن معاذ، استُنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عـــليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله صـــلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق[1]. وفي رواية للواقدي ربما كانت أكثر تفصيلاً من رواية ابن إسحاق، قال فيها: فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار ابـــنة الحـــارث، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحمال التمر فنثرت عـــليهم فباتوا يكدمونها كدم الحمر[2]، ثم غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق فأمر بخدود فخُدت ما بين موضع دار أبي جهم العدوي إلى أحجار الزيت بالسوق، ودعا برجال بني قريظة فكانوا يخرجون رسلاً رسلاً، تضرب أعناقهم فلم يـــزالوا يقتلون بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الذين يلون قتلهم علي والزبير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحسنوا إسارهم، واسقوهم، حتى يبردوا فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح" — وكان

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) قـــام صاحب هذا البحث بمحاولة أكل التمر وهو مكتوف اليدين ووجد أن الأمر يكاد يكون مستحيلاً، وحتى لو انبطح على بطنه فإن المحاولة في غاية الصعوبة هذا إذا وضعنا في الحسبان ضيق المكان وازدحامه بالأسرى. ولو فرضنا جدلاً أن الإنسان إذا تمدد على بطنه فإنه يستطيع التقام الطعام أو التمر إلا أن ذلك يقتضي وجود مساحة كبيرة حتى يتمدد فيها هذا العدد الكبير من السجناء ! وأظن أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كان أكثر الأمكنة اتساعاً في ذلك الوقت وكانت مساحته سبعين ذراعاً في ستين، أي ٣٥ × ٣٠ متراً تقريباً. وهذا يعني أن ليس من السهل قط وجود دار في المدينة تكون مساحتها أكثر من مساحة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن استيعابها لهذا العدد الكبير من الأسرى حتى ولو كانوا أربع مئة. بالنسبة لمساحة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، ١/٣٤٠ - ٣٤١.

يوماً صائفاً – فقيلوهم وأسقوهم وأطعموهم فلما أبردوا راح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل من بقي(١).

وجاء في أحد المصادر أن الخزرج اشتركوا في ضرب أعناق بني قريظة، وأن ذلـــك أساء إلى مشاعر الأوس(٢). ومن ثم فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أشرك الأوس في تنفيذ عقوبة الإعدام في بني قريظة؛ وذلك بأن دفع إليهم باثني عشر رجلاً من بني قريظة ليقتلوا في دور الأوس(٣). وبذلك اشترك المهاجرون والأنصار في دم بني قريظة.

واختـــلفت المصـــادر في عدد من قتل من بني قريظة، فقال موسى بن عقبة: زعمـــوا أنهـــم كانوا ست مئة مقاتل(٤). وجاء عند ابن إسحاق من دون سند أنهم ســـت مـــئة أو سبع مئة. والمكثر لهم يقول بين الثمان مئة والتسع مئة(٥). وساق الواقدي ثلاث روايات عن قتلى بني قريظة، الرواية الأولى عن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم وفي سندها انقطاع، وتذكر أنهم كانوا ست مئة. والرواية الثانية عن محمد

---

(١) الواقدي: المغازي، ٥١٢/٢ – ٥١٤، ويذكر أحد الباحثين أن جماعة من بني كلاب قد قتلوا مع بني قريظة. انظر:

Lecker, M. J "On Arabs of the Banu Kilab executed together with the Jewish Banu Qurayza "JSAI, 19 (1995), Pp. 66-72.

وذكر ابن الأثير، أن الزبير بن باطا، أحد رؤساء بني قريظة، كان أحد الذين قتلوا في غزوة خيبر وسرد تفاصيل قصة مقتله التي نجدها في أحداث قتل بني قريظة. ويظهر أن الأمر قد التبس عليه. انظر: الكامل في التاريخ، ٢١٧/٢ – ٢١٨.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٦٣/٣.

(٣) الواقدي: المغازي، ٥١٥/٢ – ٥١٦.

(٤) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٢٦.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٥٢/٣.

ابـــن المـــنكدر، وهي من حيث السند شبيهة بالرواية الأولى، وجاء فيها أن القتلى كـــانوا ما بين ست مئة إلى سبع مئة. والرواية الأخيرة تنسب إلى ابن عباس، دون ســـند وتذكر أهم كانوا سبع مئة وخمسين[1]. ونقل لنا أبو الزبير[2]، عن جابر بن عبدالله قولـــه: إن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم أن يقتل رجالهم ويســـتحيي نساءهم يستعين بهم المسلمون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبت حكم الله فيهم، وكانوا أربع مئة فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات[3].

هذه الرواية الأخيرة، أي رواية أبي الزبير عن جابر بن عبد الله لا إشكال في ســـندها ولكن الجملة الأخيرة في الرواية قد تكون موضع تساؤل، فعبارة "وكانوا أربـــع مئة" ليس واضحاً هل هي جزء من حديث جابر بن عبد الله أم أنها زيادة في الإيضاح أدخلها أبو الزبير ؟

وقـــريب من رواية جابر ما نقله ابن هشام عن أبي عمرو المدني، أنه لما ظفر رســـول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة أخذ منهم نحواً من أربع مئة رجل من

---

(١) الواقدي: المغازي، ٢/٥١٥ - ٥١٦.

(٢) أبو الزبير: محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي، مولاهم أبو الزبير المكي، روى عن العبادلة الأربعة وعن عائشة وجابر وغيرهم كثير. قيل مات في سنة ١٢٦هـــ، واختلف في عدالته. انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٥/٢٦٣ - ٢٦٥.

(٣) انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: **سُنن الترمذي**، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى (القاهرة: مطبعة الحلبي ١٣٨٢هـــ/١٩٦٢م) ٤/١٤٥ (حديث: ١٥٨٢) وأحمد بن حنبل: المسند، ٣/٣٥٠ (حديث: ١٤٨١٥)، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: **سُنن الدارمي**، تحقيق فواز زمرلي وخالد العلمي، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الريان ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م) ٢/٣١١ (حديث: ٢٥٠٩)، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/٢٨٢ - ٢٨٣ (ت: ٥٦)، والسمهودي:وفاء الوفاء، ١/ ٣٠٩، وأبو عُبيد: الأمـــوال، ص ٢١٦. ولمزيد من الاطلاع على الأقـــوال المختلفة بشأن عدد قتلى بين قريظة، انظر: M. J. Kister, "The Massacre of the Banu Qurayza" , P. 89. وانظر: حميد ابن زنجويه: كتاب الأموال، ١/٢٩٩، (رقم: ٤٦١).

اليهـــود فأمر بأن تضرب أعناقهم[1]، وهي رواية - إضافة إلى انقطاع سندها - لا تخـــلو من إشكال فيما يتعلق بعدد من قُتل من يهود بني قريظة، فإذا كان الرسول صـــلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أربع مئة وأمر بضرب رقابهم فكم يكون عدد الذيـــن مـــنّ عليهم. ثم أين حكومة سعد بن معاذ التي تحدثت عنها مصادر السيرة والسنة على السواء ؟

أما الرواية الأخيرة بصدد هذا الموضوع فهي رواية الزهري، قال ابن زنجويه: "ثـــنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد، حدثني عُقيل[2] ،عن ابن شهاب أن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم غدا إلى بني قريظة، فحاصرهم حتى نزلوا على حكـــم سعد ابن معاذ، فقضى بأن يقتل رجالهم، وتقسم ذراريهم وأموالهم، فقتل مـــنهم يومـــئذ أربعون رجلاً، إلا عمرو بن سعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه كان يأمر بالوفاء وينهى عن الغدر؛ فلذلك نجا[3].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٦٣/٣.

(٢) عُقيل بن خالد بن عُقيل الأيلي: أبو خالد الأموي مولى عثمان. روى عن أبيه وعمه زياد، وعكرمة، والحسن وسعيد بن أبي سعيد الخُدري، وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت والزهري وغيرهم. وروى عنه: المفضل بن فضالة والليث بن سعد، وابن لهيعة، وجابر بن إسماعيل وغيرهم. قال عنه أحمد وابن سعد والنسائي: ثقة، وقال ابن معين: أثبت من روى عن الزهري: مالك ثم معمر ثم عُقيل. وقال إسحاق بن راهويه: عُقيل حافظ. وقال أبو زُرعة: صدوق ثقة ومات عُقيل بمصر سنة (١٤١هـ تقريباً). انظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ١٥٦/٤ - ١٥٧.

(٣) حميد بن زنجويه: الأموال، ص ٢٩٩ (حديث: ٤٦١)، وذكر أبو عُبيد عن ابن شهاب حكم سعد في بني قريظة ثم قال: فقتل منهم يومئذ كذا وكذا رجلاً. الأموال، ص ١٩٣ (حديث: ٣٠١)، وص ٢١٦ (حديث: ٣٤٩). وذكر محقق كتاب الأموال في حاشية ص ١٩٣: أنه ورد في النسخة الشامية بزيادة "أربعون رجلاً"، وبهامش من النسخة المصرية: وقال إنها نسخة ابن بادي".

ومما قد يشجع على قبول رواية الزهري، أنها جاءت متصلة السند ولم يقدح المحدثـــون في رجالهـــا وعلى وجه الخصوص عُقيل بن خالد راوية الزهري المباشر إضـــافة إلى أن العدد "أربعون" ربما يكون أقرب إلى الواقع. ويجب كذلك ملاحظة سهولة تحريف العدد من "أربعين" إلى أربع مئة. وإذا أعيد النظر في رواية أبي عمرو المـــدني المتصـــلة بأخذ النبي صلى الله عليه وسلم أربع مئة من اليهود، وقوبلت مع روايـــة الزهـــري، جاز الفرض أن رواية أبي عمرو قد تعرضت للتحريف فأصبح الأربعـــون أربـــع مئة، وهذا أمر ليس نادر الحدوث. علماً أن القول " فأخذ منهم أربعين" أقرب إلى المنطق من الأربع مئة إذ أن ذلك ربما ينصرف إلى عدد القياديين منهم ليس غير.

ومـــن اللافت للنظر أن المفسرين الذين ناقشوا مشكلة بني قريظة من خلال تفسيرهم لسورة الأحزاب وتعرضوا للعقوبة التي نفذت بهم، لم يبذلوا جُهداً ملحوظاً في تحقيـــق عـــدد مـــن نُفذ بهم القتل، بل إن أكثرهم اعتمد على رواية ابن إسحاق بكاملها أو أخذ جزءاً منها وأشار إليها في معرض حديثه عن عقوبة بني قريظة[١].

أمـــا الدارســـون المحدثون فمنهم من يميل إلى أن القتلى كانوا أربع مئة[٢]، ومـــنهم من يرى أنهم مئتان أو مئتان وخمسون[٣]، ومنهم من يذهب إلى أن القتل

---

(١) انظر: الطبري: جامع البيان، ١٥٣/١٩، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤/١٤٠-١٤٢، ابن الجوزي: زاد المسير، ٣٧٤/٧، والحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي **"معالم التنـــزيل"** تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين. (الرياض: دار طيبة، د: ت) ٦/ ٢٤٢، ومحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، **البحر المحيط** (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، د: ت) ٢٢٤/٧، وعبد الله بن عمر البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (القاهرة: مطبعة الحلبي، د: ت) ٢٤٣/٢.

(٢) Kister, " The Massacre,.... "P. 92.

(٣) أمير علي: **روح الإسلام**، ترجمة عمر الديراوي، الطبعة الخامسة (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩م) ص ٩٦.

نُفــذ في عدد قليل لم يحدده[1]. أما آخر هؤلاء الدارسين فيظن أن عدد من قتل من بني قريظة ربما لم يتجاوز ستة عشر رجلاً[2].

على كل حال، إذا كان بالإمكان غضُّ النظر عما جاء في دراسات المحدثين مــن التقديرات المختلفة لعدد من قتل من بني قريظة، فربما كانت رواية ابن شهاب الزهــري - التي انفرد بذكرها ابن زنجويه، والتي تحدد عدد من قتل منهم بأربعين رجلاً - أجدر بالقبول، هذا إذا كانت العقوبة قد نُفذت ببعض القياديين من يهود بني قريظة.

أما إن كانت العقوبة جماعية وقد شملت - حسب رواية جابر بن عبد الله- أربــع مئة رجل، فإن مثل هذه المقتلة الجماعية تثير بعض التساؤلات مثل: هل كل

---

(١) Walid N. Arafat, "New light on the story of Banu Qurayza and the Jews of Medina. **JRAS**, II, P. 100 - 107 (London: 1976)

ويظهر أن ما أثاره وليد عرفات في هذا المقال من مسائل قاد إلى ردود فعل متناقضة منها ما هو مؤيد لما ذهب إليه عرفات ومنها ما يدحضه، فمثلاً: زيد Zaid الذي لم يذكر اسم شهرته ولا عائلته كتب مقالاً في:

The Islamic Quarterly , vol: xx - xx11(1978) Pp. 94 - 103.

بعنوان: . The Masada legend in Jewish and Islamic Traditions

يؤكد فيه أن مذبحة بني قريظة هي مذبحة مزعومة على غرار أسطورة الماسادا. ثم تلاه بركات أحمد الذي عالج قضية بني قريظة بتفصيل وأثار الكثير من القضايا الجديرة بالاهتمام، وانتهى إلى القول، أن من نُفذ فيهم حكم الإعدام فعلاً ربما لا يتجاوز عددهم ١٦ إلى ١٧ رجلاً، عدا من سقط منهم في ميدان المعركة.

(٢) انظر: Ahmad,B. Muhammad and the Jews. p.91

أما كستر Kister، فقد فند كل القضايا التي أثارها وليد عرفات جملة وتفصيلاً وأحسبه قد نجح في ذلك إلى حد كبير، انظر:

"The Massacre of the Banu Qurayza... " Pp. 66 - 96

الأربـع مئة رجل كانوا في حالة صحية تسمح للرسول صلى الله عليه وسلم بتنفيذ حكـم الإعدام فيهم ؟ أي ألم يكن فيهم مرضى، ألم يكن فيهم زَمنـى؟ ألم يكن فيهم مقعدون ؟ ألم يكن فيهم عميان ؟ ألم يكن في بعضهم اضطراب عقلي؟

في حقيقة الأمر أن الروايات التي تحدثت عن تنفيذ حكم القتل في بني قريظة لم تـتطرق إلى شـيء من هذا، بل اكتفت بتأكيد تنفيذ العقوبة. ولكن إذا كانت العقوبة قد نفذت فعلاً في هذا العدد الكبير نسبياً من اليهود فما الداعي لإحضارهم إلى سـوق المديـنة وقتلهم هناك؟ ألم يكن من المناسب جداً أن يقتلوا في ديارهم، ويوفر المسلمون بذلك على أنفسهم عناء تسييرهم إلى المدينة واستضافتهم في بعض دورهـا، فضـلاً عمـا قد يصاحب عملية القتل الجماعي هذه من بعض الظواهر السلبية وخاصة فيما يتعلق بانتشار بعض الأمراض والأوبئة[1]؟.

إن مـثل هذه الأسئلة المشروعة قد تفقد قيمتها إذا ثبت حقاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بنقل هذا العدد الضخم من اليهود إلى المدينة، ومن ثم ضرب رقابهم هناك فهو أدرى بعواقب مثل هذا التصرف.

وإذا انتقلـنا إلى الشق الثاني المتعلق بأسرى بني قريظة، وهم النساء والذرية فيلاحـظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم نقلهم إلى المدينة، وكان تعدادهم ألف نفـس مـن النساء والصبيان[2]، وبعد أخذ الخمس منهم باع الباقي لمن يزيد، بل حسب بعض الروايات أرسل أعداداً منهم إلى نجـد والشام ليباعوا هناك ويشتري بثمنهم خيلاً وسلاحاً، فقد جاء في رواية لابن إسحاق قوله: ثم إن رسول الله صلى

---

(١) قارن: Ahmad, B. Muhammad and the Jews. Pp. 84 - 88.

(٢) انظر: الواقدي، المغازي، ٥٢٣/٢.

الله عـــليه وســـلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وبعث ســـعد بـــن زيد الأنصاري بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وســـلاحاً[1]. واصـــطفى رســـول الله لنفســـه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة[2] فأسلمت وبقيت في ملكه حتى توفى عنها[3].

ويظهر من بعض الروايات أن بيع سبي بني قريظة محل خلاف، حيث سبق أن جـــاء في روايـــة للـــزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة إلى نجد وابتاع بهم خيلاً وسلاحاً، وذكر الواقدي رواية عـــن يعقوب بن زيد بن طلحة عن أبيه، قال: لما سبي بنو قريظة، النساء والذرية، بـــاع رســـول الله صلى الله عليه وسلم منهم من عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٥٦، وقارن: الواقدي: ٢/٥٢٣.

(٢) ريحانة بنت عمرو بن خنافة: وقيل ريحانة بنت عمرو بن خُنافة بن سمعون بن زيد من بني النضير، وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة. فلما وقع السبي على بني قريظة سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها في المحرم سنة ٦هـ، وماتت مرجعه من حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة فدفنت بالبقيع. انظر: ابن سعد: الطبقات، ٨/١٢٩ - ١٣١، وجمال الدين يوسف بن حسين المقدسي: **الشجرة النبوية**، تحقيق محيي الدين ديب مستو، الطبعة الثانية (بيروت ودمشق: دار ابن كثير ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص ٥١. والغريب أن سيد أمير علي ينكر زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ريحانة، قال: " أما الزعم أن ريحانة قد غدت زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم فليس أكثر من دس وتلفيق. انظر: روح الإسلام، ص ٩٦. ويلاحظ هنا اضطراب المصادر في وقت وفاة ريحانة بنت عمرو فبعضها يذكر أنها توفيت في السنة العاشرة من الهجرة وبعضها الآخر يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي عنها وهي في ملكه.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٥٦، الواقدي: المغازي، ٢/٥٢٠ - ٥٢١.

عـــوف طائفـــة. وبعث طائفة إلى نجد، وبعث طائفة إلى الشام مع سعد بن عبادة، يـــبيعهم ويشتري بهم خيلاً وسلاحاً، ويقال: باعهم بيعاً من عثمان بن عفان وعبد الـــرحمن بـــن عـــوف[1]، ثم نصادف رواية أخرى عن يعقوب بن زيد عن أبيه، قـــال: كان يومئذ يفرق بين الأختين إذا بلغتا وبين الأم وابنتها إذا بلغت، وكانت الأم تـــباع، وولدهـــا الصّـــغار، مـــن المشركين العرب، ومن يهود المدينة وتيماء وخيبر[2].

وهكذا يتبين أن خبر بيع نساء بني قريظة غير متفق عليه، فمرة بُعث بهم إلى نجد، ومرة إلى الشام ونجد، ومرة بيعوا في المدينة من عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابـــن عوف، وأخيراً بيعوا من يهود المدينة وخيبر وتيماء .ومثل هذا الاختلاف في الروايات ربما يجعل بيعهم خارج الحجاز أمراً مشكوكاً فيه، لا سيما وأن الثمن غير مجـــز. فقـــد ذكـــر محمد بن مسلمة، أنه اشترى من السبي ثلاثة، امرأة ومعها ابناها بخمســـة وأربعـــين ديـــناراً [3]، أي أن ثمن النفس الواحدة خمسة عشر ديناراً ليس غـــير. واشترى أبو الشحم اليهودي من السبي امرأتين مع كل واحدة ثلاثة أطفال غـــلمان وجـــوار بخمسين ومئة دينار[4]، أي أن ثمن كل نفس أقل من تسعة عشر ديناراً.

لذلـــك إذا كـــانت هذه الأثمان دقيقة فإنها لا تشجع على نقل هذه الأعداد

---

(١) الواقدي: المغازي، ٥٢٣/٢، وانظر: ابن حبان البُستي: " السيرة النبوية، فقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين. ولم يذكر أنهم بيعوا خارج المدينة، انظر ص ٢٦٦.

(٢) الواقدي: المغازي، ٥٢٤/٢.

(٣) المرجع السابق، ٥٢٤/٢.

(٤) المرجع السابق، ٥٢٢/٢ — ٥٢٣ .

الكبيرة من الأُسر اليهودية عبر صحارى نجد والشام مع ما قد يرافق ذلك من المخاطر لأجل بيعهم بثمن زهيد مثل الذي ذكرنا طرفاً منه هنا، فتكلفة نقل تلك الأسر لبيعهم خارج الحجاز ربما فاقت الثمن المرجو منها.

وأخيراً، هل كل النساء والصبيان من سبي بني قريظة كانوا صالحين من الناحية الصحية والجسمانية للبيع ؟ أليس فيهم طاعنون في السن أو زمنى أو مقعدون أو ذوو عاهات مختلفة ربما حالت دون بيعهم؟ وإذا كان الأمر بالإيجاب، فماذا كان مصيرهم ؟

في ضوء هذه الأسئلة المتقدمة، هل يمكن القول: إن مؤرخي السيرة المتقدمين قد بالغوا في وصف ما حلّ ببني قريظة رغبة في إظهار قوة الإسلام والمسلمين؟وغاب عن بالهم في الوقت نفسه الاعتبارات الموضوعية الأخرى التي أُشير إلى بعضها هنا ؟ إنه افتراض غير مستبعد.

وأخيراً، يمكن إجمال العلاقة بين الرسول ويهود بني قريظة، بأنها بدأت بالمحاجة في الدين، ثم الموادعة بين الفريقين إذ دخل يهود بني قريظة بعد انتصار بدر الساحق في المعاهدة الشاملة التي دخل فيها غيرهم من القبائل اليهودية، وأصبحت ملحقة بصحيفة المدينة. ويظهر أن بني قريظة انحازوا إلى المشركين ضد المسلمين في يوم أُحد إذ أعانوهم بالسلاح. ومن المحتمل كذلك أن تأزمت العلاقة بين المسلمين وبني قريظة بعد إجلاء بني النضير مما دعا إلى كتابة معاهدة أخرى بينهم والمسلمين، ويظهر أن تلك المعاهدة لم يكتب لها أن تستمر طويلاً، فقد ضعف بنو قريظة أمام إغراء الأحزاب لهم بنقض عهدهم مع المسلمين مما دفعهم إلى تمزيق المعاهدة والتنكر للمسلمين وتهديدهم للآطام التي فيها نساء المسلمين وذراريهم وتهديدهم للسابلة، مما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى محاولة الاتفاق مع غطفان أحد أطراف التحالف ضد المسلمين على أن يعطيهم ثلث ثمار

المدينة مقابل انسحابهم من التحالف وتخذيلهم الناس. بل إن خطورة نبذ قريظة للعهد بالنسبة إلى المسلمين كان أشد عليهم من خطر الأحزاب، فقد أصبحوا يخافون أشد الخوف على أهليهم وذراريهم من اليهود أكثر من خوفهم من الأحزاب.

لذلك فما إن انسحبت الأحزاب من المدينة تجر أذيال الخيبة حتى سارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محاصرة بني قريظة مستجيباً بذلك لأمر ربه، وانتهى الحصار كما وصفه الحق تبارك تعالى بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦].

هذا موجز العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة وما انتهت إليه؛ وذلك حسب وجهة النظر الإسلامية المتمثلة في مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي .

الفصل السابع

المستشرقون وقضية بني قريظة

الفصل السابع

المستشرقون وقضية بني قريظة

لقد أولى كثير من المستشرقين اهتماماً خاصاً بأمر العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة وما آل إليه مصيرهم، وجاءت رؤيتهم لتلك العلاقة وتقويمهم للنتائج النهائية لها، متشابهة في كثير من الأحيان، وهذا بعض منها:

فجيبون Gibbon مثلاً عندما يناقش قضية بني قريظة يتحاشى ذكر الأسباب التي دعت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى محاصرتهم وإنزال العقوبة بهم، فهو يوحي للقارئ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لديه كره متأصل لبني قريظة، فيقول: ما إن انسحبت الأحزاب حتى بادر محمد بالمسير لاستئصال الجنس المعادي له من أبناء قريظة. ثم يعطي تفاصيل أكثر دقة فيما يتعلق بعدد من قتل منهم وهم سبع مئة حسب رأيه وكذلك ما غنمه المسلمون من أسلحتهم بالتفصيل(١).

ويلاحظ أن ميور يعترف أن يهود بني قريظة تحالفوا مع أعداء الرسول في ساعة حرجة، وأنه أصبح لديه سبب مقنع في أن يكون على حذر منهم وأن إجلاءهم عن المدينة صار ضرورة سياسية، إضافة إلى أن سلوك قادتهم بلغ حد الخيانة العظمى التي يستحقون عليها العقوبة الصارمة. ولكن ميور يتحفظ على العقوبة التي أنزلت بقبيلة بني قريظة. فهو يعد أن قتل ثمان مئة رجل دون تمييز وإخضاع جميع نساء القبيلة وأطفالها للاستبعاد يعد وحشية رهيبة(٢).

---

(١) Gibbon, E and Ockley, S. The Saracens, Pp. 35 36

(٢) Muir , W. The Life of Muhammad., P322.

والمدهـــش حقـــاً أن ميور Muir ينسى أنه عندما حقن رسول الله صلى الله عليه وسلم دماء يهود بين النضير قبل سنتين تقريباً من حادثة بني قريظة، وأجلاهم إلى خيبر، استجمعوا قواهم وحزّبوا الأحزاب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة، وكانوا فيما بعد السبب المباشر فيما آل إليه مصير بني قريظة. ثم إن دعـــوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثمان مئة رجل من بني قريظة أمـــر يحتاج إلى تمحيص، كان يجدر بمؤرخ مثل ميور أن يبحث عن الحقيقة في شتى مظانهـــا حتى يصل إلى ما يمكن أن يطمئن إليه بهذا الصدد. أما استعباد نساء القبيلة وأطفالها إن جاز قبول مثل هذا الرقم الضخم نسبياً، فهو ليس غريباً على الممارسة البشرية في تلك الفترة من الزمن.

أما فنسنك فبعد مناقشة طويلة لمشكلة بني قريظة قال: إن كل الذي فعله بنو قريظة أنهم قرروا بعد تردد إلغاء مبدأ التفاهم الطيب الذي كان يربطهم بمحمد[1]، وأن المصـــادر التاريخية الأولى لا تذكر شيئاً عن مشاركة اليهود في الحصار، ولكن بعـــض أهل المدينة المتوجهين إلى منازلهم استقبلهم القرشيون بزخات من السهام، وأن صفية أخت حمزة بن عبد المطلب قطعت رأس أحد القرشيين حين اقترب من منزلهـــا[2]. هذا ما تقوله لنا الروايات لدى الواقدي عن عدوانية اليهود[3]. ثم يجمل فنسنك وجهة نظره في الحكم الصادر بحق بني قريظة ومسوغاته بقوله:

" إن رأي أكثر مؤرخي السيرة من الأوربيين اعتدالاً في إعدام بني قريظة أنه وحشـــي. ولكـــن إذا حكمنا على أخلاق محمد بناءً على هذا التصرف، فسيكون

---

(١) Wensinck, A. Muhammad, P. 123

(٢) Ibid, P. 123

(٣) Ibid, P. 124

حكمنا قاصراً؛ لأن محمداً في مناسبات أخرى ظهر فيها رجلاً رحيماً ومتسامحاً، ويكفي أن نذكر موقفه حين استولى على مكة . ويمكن فهم السبب الذي جعل محمداً يتصرف تجاه يهود بني قريظة على هذا النحو، ذلك أنه غضب من موقفهم غير الثابت إبان حصار المدينة، هذا الموقف الذي جعله قلقاً وخائفاً عدة أسابيع، فلو أن قريظة ساندوا الأحزاب بطريقة أكثر فاعلية لكان المحتمل أنهم سيلحقون ضرراً بالغاً بالمدينة. لذلك قرر النبي أن يضع نهاية للتهديد اليهودي مرة وإلى الأبد. ولم يكن هناك وسيلة أخرى غير إبادتهم، لأنه لو طردهم فإنهم لاتحدوا مع خيبر القوية، وأصبحوا خطراً دائماً على المدينة"[١].

كما يتبين للقارئ، أن آراء فنسنك لا تخلو من حق وباطل، أما ما يظهر أنه باطل فهو قوله: إن بني قريظة لم يفعلوا شيئاً سوى إلغائهم لمبدأ التفاهم الذي كان يربطهم مع محمد. وهو هنا يريد أن يقول: إنه لم يكن هناك معاهدة ملزمة للفريقين بالدفاع المشترك عن المدينة. ولو سلمنا جدلاً أن الرابط الوحيد بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة هو "مبدأ التفاهم الطيب" فما الذي يدعو بني قريظة لنقضه في هذا الوقت بالذات ؟ وما الذي يمكن أن يترتب عليه؟

أما أن المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً عن مشاركة بني قريظة في حصار المدينة فهذا صحيح، ولكنها ذكرت نشاطهم العدواني المحموم ضد سكان المدينة وقطعهم السبيل، وإخافة الناس[٢]، وتمويلهم لقوات الأحزاب بالمؤونة[٣]. والذي

---

(١) Ibid, P. 127

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٤٥١، ٤٦٠، ٤٦٢،٤٧٤ .

وانظر أيضاً: ابن سعد: الطبقات، ٥/٨١.

(٣) السمهودي: وفاء الوفاء، ١/٣٠٤، والحلبي: السيرة الحلبية، ٢/٦٤٧.

يصعب فهمه مما أورده فنسنك: قوله إن بعض أهل المدينة العائدين إلى منازلهم تعرضوا لسهام القرشيين، وأن صفية قتلت أحد القرشيين حين اقترب من منزلها. فالمعروف أن الذين كانوا يتحرشون بأهل المدينة ويرشقونهم بالسهام هم يهود بني قريظة[1]. ويقال كذلك أن صفية بنت عبد المطلب قتلت يهودياً من بني قريظة حين اقترب من الحصن الذي كانت فيه مع بقية النساء والذراري وليس رجلاً من قريش، كما يظن فنسنك[2].

وكذلك رأي فنسنك في أن السبب الذي دفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى التصرف تجاه يهود بني قريظة بقسوة يعود إلى موقفهم المتذبذب أو غير الثابت خلال حصار المدينة، وهذا قول تنقصه الدقة. حيث إن موقفهم من المسلمين كان موقفاً ثابتاً، وذلك على الأقل ما تشير إليه المصادر الإسلامية، فقد انضموا إلى الأحزاب ومزقوا المعاهدة التي بينهم وبين المسلمين. بل أغربوا في القول، وقالوا للوفد الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم للتأكد من صحة ما يقال عن نقضهم العهد، "مَنْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد"[3] أما ما جاء في قوله: إنه " لو تعاون يهود بني قريظة مع الأحزاب تعاوناً وثيقاً لألحقوا ضرراً بالغاً بالمدينة، وإن قتلهم كان الطريقة الوحيدة للتخلص من خطرهم الدائم "، فهذا رأي لا خلاف عليه.

بل ذهبت كارين آرمسترونج إلى ما هو أبعد من هذا في تقديرها للضرر الذي سيلحق بالمسلمين لو لم يعاقب بنو قريظة على هذا النحو فقالت:

---

(١) انظر: المواضع المذكورة أعلاه لدى الواقدي.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٣٩، وقارن: الواقدي: المغازي، ٢/٤٦٢- ٤٦٣.

(٣) انظر: ٢٣٢، موسى بن عقبة: المغازي، ٢١٧ – ٢١٨،وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٢٣٢،والواقدي: المغازي، ٢/٤٥٨، ٤٥٩.

"وكانت الأمة الإسلامية قد نجت من الإبادة بأعجوبة وقت الحصار. وبطبيعة الحـــال، كانت العواطف متقدة، كما أن القرظيين أوشكوا أن يدمروا المدينة. ولو أن محمداً أطلق سراحهم لعملوا على زيادة معارضة اليهود في خيبر ولنظموا هجوماً آخر ضد المدينة حيث لم يكن هناك ضمان لأن يحالف الحظ المسلمين مرة أخرى. كما أن المعركة الدموية من أجل البقاء كانت ستستمر إلى ما لا نهاية "[1].

أمـــا رؤيـــة تور أندريه، لقضية بني قريظة فإنه يشوبها الغموض، فهو لا يألو جهداً في سباب النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لا يذكر بوضوح ما الذي اقترفه بـــنو قـــريظة، إنه يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم: خلال فترة الحصار أصبح مدركـــاً للخطـــر الذي يمكن أن يلحق به من جراء وجود عدو خطير على حدود مدينـــته، خاصة وقت الأزمات. فقد قرر معاقبة بني قريظة آخر القبائل اليهودية في المدينة بسبب ما أظهروه من عدم جدارهم بالاعتماد عليهم أيام الحصار[2].

وواضـــح هـــنا أن أندريـــه لم يذكر للقارئ ما الذي اقترفه بنو قريظة حتى يســـتحقوا عقوبـــة الرسول لهم. ثم يستدرك قائلاً إن اليهود اختاروا سعد بن معاذ لـــيحكم في أمرهم، وكان على فراش الموت من جراء إصابته أيام الحصار، فأجاهم الرســـول لذلـــك، وهـــو يعرف حقاً ماذا يفعل. فقد حكم سعد أن يقتل الرجال وتسبى الذرية والنساء[3]. إن الذي يريد أن يقوله أندريه أن الرسول صلى الله عليه وســـلم كـــان مبـــتهجاً لاختيار بني قريظة سعداً ليحكم فيهم، لأنه يعلم سلفاً ما

---

(١) آرمسترونج: سيرة النبي محمد، ص ٣٠٨ وقارن:

Maxim Rodinson, Muhammad....., P. 214.

(٢) Andrae, T. Mohammed, The Man and his Faith, P. 218.

(٣) Ibid., P. 218.

سـيقرره سـعد بشأنهم. ثم يعلق على حكم سعد بقوله: ونُفذ هذا الحكم القاسي دون رحمة[١]. ولا أحـد يختلـف مع أندريه في أن الحكم كان قاسياً، ولكنه كان يتناسب مع طبيعة الجرم الذي اقترفوه. لذلك نلاحظ أن أندريه نفسه يعود ويحاول تسـويغ ما حدث لبني قريظة، بقوله: يجب أن ننظر إلى قسوة محمد تجاه اليهود في مقـابل حقيقـة احتقارهم ورفضهم لـه، فقد كان ذلك أعظم خيبة أمل لـه في حياته، بل إنهم في وقت من الأوقات هددوا بتدمير سلطته النبوية تدميراً كاملاً [٢]. أظـن أن هذه الشهادة التي أدلى بها أندريه بخصوص خطر بني قريظة تكفي لتسويغ ما حدث لهم.

وكذلك فإن جرونباوم Grunebaum لم يكن موضوعياً في معالجته لمشكلة بني قـريظة، فكان همه أن يذكر للقارئ العقوبة التي لحقت بهم دون أن يتعرض للذنب الـذي ارتكـبوه، بـل على العكس من ذلك فقد برأ ساحتهم، فذكر أن محاولة الأحـزاب مـع قبيلة بني قريظة المحايـدة لم تفلح في إقنـاعهم بفتـح جبهـة جنوبية ضد أهل المدينة، وبعد انسحاب الأحزاب مباشرة تم القضاء على آخر قبيلة يهوديـة لهـا أهمية سياسية، وهي قبيلة بني قريظة؛ وذلك بسبب موقفهم الغامض خـلال فـترة الحصار، فقد قتل ست مئة رجل وبيع النساء والأطفال في أسواق النخاسة[٣].

وهكـذا، فمن السهل في نظر جرونباوم أن يُقتل رجال قبيلة بكاملها وتباع نسـاؤها وأطفالها في سوق النخاسة من غير جناية سوى عدم وضوح موقفهم في

---

(١) Ibid., P. 218.

(٢) Ibid., P. 218.

(٣) Grunebaum, Classical Islam, P. 40.

أيـــام الخندق. ومثل هذا القول يتجافى مع أبسط قواعد البحث الموضوعي، وفيما سبق ذكره عن موقف بني قريظة أيام الخندق ما يكفي عن الإعادة.

أما فاكا V.Vacca فبعد أن تستعرض بعض ما جاء في المصادر الإسلامية عن موقـــف بـــني قـــريظة من المسلمين يوم الخندق، تعود إلى التشكيك في ذلك فهي تشكك في وجود معاهدة معينة بين النبي ويهود بني قريظة، لأن العلاقات معهم قد حُددت في الدستور العام، وتقصد بذلك صحيفة المدينة(1). ثم تقول لابد أن مسألة المعـــاهدة مخـــترعة لتبرير التصرف الذي اتُخذ ضدهم، وحتى تأييدهم لقريش كان ســـلبياً. ثم تقول: إن كل هذه الملابسات سببت الكثير من القلق والكراهية لليهود خلال فترة الحصار، الذي قاد بالتالي إلى اتخاذ تصرف مباشر ضدهم . وتمثل بقتل ما بين (٦٠٠ - ٩٠٠) رجل وبيع النساء والأطفال في المزاد (2).

يظهر جلياً أن عدم الموضوعية واضح فيما ذهبت إليه فاكا، ولهذا فإن مناقشة المســـائل التي أثارتها سيبعث على الملل في نفس القارئ. ويُكتفى هنا بسؤال واحد هـــو: إذا كـــانت فكرة المعاهدة مخترعة من قبل المسلمين لتبرير معاقبة بني قريظة. فالتسويغ هنا أمام مَنْ ؟ والخوف ممّن ؟

إن الـــذي نفذ في بني قريظة ذلك الحكم الصارم لم يكن بحاجة إلى تسويغه بادعـــاءات باطـــلة؛ لأنه لا يخاف من أحد سوى الله. وحتى لو لم يكن هناك بين المسلمين ويهود بني قريظة إلا معاهدة صحيفة المدينة، فإنها كافية لتحميل بني قريظة مســـؤولية الدفـــاع المشـــترك عن المدينة وإن إخلالهم وعدم وفائهم بهذا الالتزام يعرضانهم للعقوبة التي يستحقونها.

---

(١) **SEI**, art.(Kuraiza).Pp.272-273.

(٢) Ibid., P. 273.

ويكاد بول يختلف مع فاكا في بعض الوجـــوه من حيث المعالجة لمشكلة بني قـــريظة، فهو يرى أن العقوبة التي أنزلت بهم كانت مبنية على شك النبي صلى الله عـــليه وســـلم بتآمرهم مع العدو، أي الأحزاب[1]. وهو هنا يغفل كل ما جاء في المصادر التاريخية عن تحالف بني قريظة مع الأحزاب وتآمرهم على سلامة المجتمع في المديـــنة ، ويجعل أن ما لحق ببني قريظة من عقوبة كان مبعثه الشك في ولائهم لا غـــير، ويهمــــل أمر السفارة التي بعثها رسول الله إلى بني قريظة للتأكد من صحة موقفهـــم[2]. بـــل يزعم أن سعد بن معاذ لم يكن هو الذي أصدر الحكم على بني قريظة، وأن المصادر الإسلامية تنسب إليه ذلك لتبرئة الرسول من تبعة ذلك القرار، حيـــث إن الـــنبي هـــو الـــذي قـــرر عقوبـــتهم، بل ربما كان هو الذي أقنعهم بالاستســـلام[3]. ويظهر أن بول يتفق تماماً مع كايتاني Caetani, L. (ت: ١٩٢٦م) فيما ذهب إليه من أن سعد بن معاذ لم يكن إلا مجرد منفذ لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حكمه الصارم على بني قريظة[4].

والحقيقة أنه ليس هناك ما يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للاختباء وراء ظهر سعد في مثل هذه القضية، فهو سيد المدينة وصاحب الكلمة العليا فيها، وهو الذي اعترف له الجميع مسلمين ويهوداً بمرجعيته العليا، حسب نصوص صحيفة المدينة. حيـــث أشارت المادة (٤٢) إلى ذلك بقولها: "وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة

---

(١) Buhl F.art."Muhammad",SEI,PP.(389-405)esp.(400-410).

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ٢/٤٥٨ - ٤٥٩،وابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٣٢ - ٢٣٣، وموسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٨.

(٣) Buhl, F. art." Muhammad", **SEI**, P. 410.

(٤) انظر: وجهة نظر كايتاني فيما يتعلق بحكم سعد على بني قريظة عند **M. Watt** في:
" The condemnation of the Jews of Banu Qurayzah," **MW**, vol xlll, July 1952. No, 3. Pp.160-170.

مـــن حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم "[1].

ثم إنـــه مـــن الطبعي أن يُسند رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الحكم في قضية بني قريظة إلى سعد بن معاذ، لأن قريظة حلفاء الأوس؛ ولأن سعداً سيدهم، فلا غرابة أن يكل النظر في أمرهم إلى حليفهم سعد؛ وذلك تطييباً لنفوس الأوس، وإبعـــاداً لأى شعور بالحزازات أو حساسية الموقف. أو كما قال مونتجمري واط عند مناقشته لهذه القضية: إنه لا مجال للظن أن محمداً قد مارس ضغوطاً على سعد للحكم على بني قريظة كما فعل. فقد أدرك سعد بثاقب نظره أن السماح للعصبية بالتغـــلب عـــلى الولاء للإسلام سيعيد الحروب بين الإخوة التي كانت المدينة قد تخلصت منها بمجيء محمد[2].

أمـــا مكسيم رودنسون فيظهر أنه يتفق في بعض الأمور مع فنسنك بخصوص قضية بني قريظة. فهو يرى أنه بتحريض من الأحزاب أرسلت بنو قريظة أحد عشر رجـــلاً ضد المسلمين، ولكن لم يسفر ذلك عن شيء. وأن المصادر الإسلامية قد بـــالغت في أمر تلك الحادثة لتكون تسويغاً للمذبـــحة القادمة[3]. ثم يتحدث عن حصـــارهم وعن الاستسلام وعن تنفيذ حكم الإعدام فيهم وأن عدد من قتل منهم يـــراوح ما بين (٦٠٠ و ٩٠٠) رجل. أما فيما يتعلق بطبيعة العقوبة فهو يرى أنه ليـــس من السهل الحكم على مذبحة بني قريظة بمقاييس هذا العصر، ولكن يجب أن نـــتذكر أن أعراف ذلك الوقت كانت بدائية إلى حد بعيد. ويتهم الرســـول صلى

---

(١) انظر: حميد الله: الوثائق السياسية، ص ٦٢.

(٢) M. Watt , Muhammad at Medina, P. 215, Muhammad Prophet and Statesman, P. 174.

(٣) Rodinson, M. Muhammad......., Pp. 210 - 211.

الله عـــليه وســـلم بأنه هو الذي قرر مصير بني قريظة مسبقاً، ويستدل على ذلك بحادثة أبي لبابة[1].

وقـــد ســـبق القول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بحاجة إلى أن يصـــدر أحكاماً مسبقة وأن يحتمي بشخصيات مثل سعد بن معاذ، خصوصاً وأن صحيفة المدينة تمنحه الحكم في مثل هذه القضايا، والثابت في مصادر السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسند الحكم في قضية بني قريظة إلى سعد استجابة لطلب الأوس؛ وطبقاً لما يقتضيه العرف القبلي حينذاك.

أمـــا ما قيل من أن أبا لبابة كان يعرف مسبقاً حكم الرسول في بني قريظة، فكمـــا أُشير سابقاً أن هذه الحادثة محل شك من قبل المؤرخين والمفسرين، أي أنه ليس بمجمع على وقوعها،وأن ما قيل عن توبة أبي لبابة يتعلق بغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة[2].

وكما ذُكر آنفاً فإن رودنسون يتفق مع فنسنك في رأيه في العقوبة التي أُنزلت ببني قريظة فيقول: إن مذبحة بني قريظة يمكن عدها من وجهة نظر سياسية بحتة أنها كـــانت في غاية الحكمة؛لأن قريظة كانت مصدر تهديد دائم في المدينة. فإذا أُطلق ســـراحهم فإنهم سيكونون قوة لمركز التآمر في خيبر. بل أكثر من ذلك إن قتلهم سيساعد على تثبيط العدو وإخافته. من ناحية سياسية كذلك، ومما لا يمكن إنكاره أن قتـــلهم كان الاختيار الأفضل. ثم يردف رودنسون قائلاً: في فجر شهر مايو سنة ٦٢٧م وبعد مقتل بني قريظة، أصبح محمد في وضع يواجه من خلاله المستقبل بثقة[3].

---

(١) Ibid., P. 213.

(٢) انظر: البيهقي: دلائل النبوة، ٤/١٦ — ١٧، وابن الأثير: أسُد الغابة في معرفة الصحابة، ٥/٨١ —٨٣.

(٣) Rodinson, Ibid., P. 214.

وكمـــا هو ملاحظ فإن رودنسون على الرغم من استنكاره للحكم الصادر في حـــق بـــني قريظة وعلى الرغم من اتهامه للرسول صلى الله عليه وسلم بالتآمر عـــليهم، لم يســـتطع أن يـــنكر أن بقاءهم كان خطراً على أمن الدولة الإسلامية حيـــنذاك، وأن حقن دمائهم وبقاءهم وعدم إجلائهم سيجعلهم أكثر خطورة على المســـلمين، لذلك فلم ير مناصاً من الاعتراف أن القضاء عليهم كان أفضل وسيلة للتخلص من شرهم؛ وذلك لأمور سياسية محضة.

ومن اللافت للنظـــر أن إرفنج W. Irving مـــع اعترافه أن يهود بني قريظة قد نقضـــوا عهدهم للرسول صلى الله عليه وسلم، واتفقوا سراً مع أعدائه، فكان على الرسول كما يقول: " أن يصد القرشيين وحلفاءهم من عبور الخندق، وكان عليه في الوقـــت نفسه أن يعمل على تجنب هجوم يهود بني قريظة، وعلى حفظ الأمن داخـــل المدينة ". أقول: مع اعتراف إرفنج بهذا الوضع الحرج فلم يتورع عن اتهام الرســـول صـــلى الله عليه وسلم بالقسوة على اليهود، إذ قال:" عامل محمد اليهود معامـــلة تنطوي على القسوة، فقد جعل مصيرهم في يد رجل قاس، ولذا نعدُّ تلك المذبحة التي شهدتها سوق المدينة نقطة سوداء في تاريخ محمد "[١].

ثم يعـــود إرفـــنج ليقول: "وقد يكون الرسول مدفوعاً إلى ذلك بما ظهر من اليهـــود مـــن غدر وخيانة وحقد"[٢]. من الواضح جيداً أن إرفنج يناقض نفسه في مناقشـــته لقضـــية بني قريظة فمرة يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقسوة، ثم يســـوّغ تـــلك القسوة بخيانة اليهود وغدرهم. فإذا كان الأمر كذلك فكيف يُتهم الرسول صلى الله عليه وسلـــم بالقسوة على قوم هذه أخلاقهم وتصرفاتهم؟

---

(١) إرفنج: حياة محمد، ص ١٨٩، ١٩٥.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٥.

ثم لا ينسى إرفنج أن يربط بين ما أصاب سعد بن معاذ من جراح يوم الخندق وحكمه على بني قريظة حيث قال: وقد يكون سعد مدفوعاً إلى اتخاذ هذا القرار بحنقه لما أصابه من جراح في حرب الخندق، وكأنه أراد الانتقام من بني قريظة[1].

وغاب عن بال إرفنج أن سعداً أكرم من أن ينتقم لنفسه في مثل هذه القضية وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من أن يكل أمر قبيلة بكاملها لمزاج رجل يحكم بهواه وينتقم لنفسه. فمصادر السيرة تذكر أن سعداً لم يقبل النظر في القضية وإصدار الحكم إلا بعد أن رضيه الفريقان[2]، وأن الحكم الذي أصدره كان حكم الله فيهم، وذلك بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

وذكر إسرائيل ولفنسون في مناقشته لغزوة بني قريظة، أن المسلمين كانوا يأخذون من بني قريظة المؤن والسلاح وآلات الحفر، وكانت آطامهم بين جيوش المسلمين والأحزاب بمثابة السور الذي لا يخترق [4]. ولم يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات ! فالمعروف، أن المسلمين استعاروا من بني قريظة آلات الحفر مثل: المساحي والكرازين والمكاتل ليس غير، وذلك قبل مجيء الأحزاب[5]. ولو كان صحيحاً أنهم أعانوا المسلمين بالسلاح لما وجد في حصونهم تلك الكثرة الكاثرة من العتاد عند استسلامهم [6]. وليس صحيحاً كذلك أن آطامهم كانت

---

(١) إرفنج: المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٢) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٢٥٠، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/٧٣.

(٣) انظر: البخاري: الصحيح، ٤/١٥١١ (حديث: ٣٨٩٥)، ومسلم: صحيح مسلم، ٣/ ١٣٨٨ - ١٣٨٩، (حديث: ١٧٦٨).

(٤) ولفنسون: تاريخ اليهود....، ص ١٤٤.

(٥) الواقدي، المغازي، ٢/٤٤٥٠.

(٦) المرجع السابق، ٢/٥١٠.

بين جيوش المسلمين والأحزاب، فالمعروف أن منازل بني قريظة في الجنوب الشرقي للمدينة وأن الخندق الذي عسكر حوله المسلمون والمشركون شمال المدينة[1].

ويرى ولفنسون كذلك أن السبب الرئيس لإخفاق الأحزاب هو المعاهدة التي أبـــرمها الرســـول صلى الله عليه وسلم مع غطفان، وأنه ليس صحيحاً أنها أُلغيت، ودليلـــه عـــلى ذلك أن الشقاق بين الأحزاب دب فيهم بعد كتابة الصحيفة[2] لا قبـــلها، وهـــو بهذا الموقف يلمح للقارئ بعدم أهمية ما جاء في القرآن الكريم من. وقـــوف العناية الإلهية إلى جانب المسلمين، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وأن الســـبب الحقيقي في نظره في إخفاق الحصار هو انسحاب غطفان، فقد "فضـــلت غطفان ما وعدها به الرسول على ما اتفقت مع اليهود عليه، وإن كان أقـــل إذ كـــان ثلث ثمار المدينة؛ لأنها رأت أنها ستفوز بهذه المنحة دون أن تسفك قطرة واحدة من دمائها"[3].

وأخـــيراً فإن ولفنسون يعترف صراحة أن وجود بني قريظة كان خطراً يهدد ســـلامة المديـــنة، فقد قال: "ومهما يكن من شيء فقد تخلص المسلمون من خطر جسيم كان يهدد كيان نهضتهم، وينذر بسقوط يثرب"[4].

---

(١) انظر: السمهودي: وفاء الوفاء، ٢/١٢٠٤ - ١٢٠٩، ولمعرفة منازل بني قريظة وغيرها من القبائل القاطنة في المدينة، انظر الخريطة المرفقة ملحق رقم (٢).

(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص ١٤٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٧.

وولفنسون – مع ذلك – لم ينس أن يحمل مسؤولية مذبحة بني قريظة الأوس وسـيدهم سعد بن معاذ؛ لأن يهود بني قريظة – حسب رأيه – لم يكونوا ليتوقعوا الخيانة من حلفائهم الأوس أو غدر سعد بن معاذ بهم(١). وقد غاب عن بال ولفنسون أن الإسلام قد غير القلوب(٢)، وأن الولاء يجب أن يكون لله ولرسوله وليس لعدوهم، أو كما قال واط: إن سعداً أدرك ببعيد نظره أن الولاء للإسلام يجب أن يتقدم الولاء للعصبية القبلية، التي طالما أذكت الحروب بين الإخوة، وكان مجيء محمد إلى المدينة إنقاذاً لهم منها(٣).

وكذلك فإن محرر مادة "قريظة" في الموسوعة اليهودية، يذهب إلى القول: إن العقوبة القاسية التي أُلحقت ببني قريظة كانت بسبب رفضهم الإسلام، ويشكك في وجود معاهدة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم نقضوها وانضموا إلى الأحزاب(٤)، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: إن سعد بن معاذ الذي أُسند إليه النظر في قضيتهم، خيرهم بين اعتناق الإسلام أو الموت ! وأن أربعة منهم اختاروا الإسلام على الموت. أما الباقون الذين يراوح عددهم بين (٦٠٠ و ٩٠٠) فقد قتلوا جميعاً(٥).

وواضح أن هذه الأقوال تجافي الحقيقة وتفتقر إلى الأمانة العلمية. فليس صحيحاً قط، بل لم يحدث في تاريخ المسلمين أن أُجبر الناس على اعتناق الإسلام

---

(١) ولفنسون، تاريخ اليهود، ص ١٤٩.

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ١/١٧٩، ١/٣٦٧.

(٣) Watt, M. Muhammad at Medina......., P. 216.

(٤) EJ, , art." Qurayza "13, (1971) P. 1436.

(٥) Ibid., P. 1436

أو القتل، ومن حقائق القرآن في هذا المجال قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن المسلّم به أن الإسلام ربما كان الدين الوحيد بين الأديان السماوية الذي يعـــترف بحرية العقيدة، فإن صحيفة المدينة أو معاهدة المدينة قد نصت على ذلك صراحة فقد جاء في المادة: (٢٥) "... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"(١).

أظـــن أن في إيضـــاح هذه الحقيقة ما يكفي عن الرد على بقية المزاعم التي أوردهـــا صـــاحب المقـــال في الموسوعة اليهودية. كما يلاحظ بوضوح التعاطف الشديد الذي يظهره جابرييلي Gabrieli نحو يهود بني قريظة في محنتهم،فهو يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفات يعف القلم عن ذكرها، ويرى أنه خلال مدة الحصـــار كان اليهود يشكلون طابوراً خامساً محتملاً، خلف ظهر النبي، بينما بقوا ظاهـــرياً على الحياد، فكانوا على اتصال بالعدو، وكانوا يتمنون في دخيلة أنفسهم هزيمة محمد(٢). ثم يقول جابرييلي: وما كادت الأحزاب تجلو عن المدينة، حتى قرر محمد التخلص من بني قريظة، حيث حاصرهم، وبعد استسلامهم فوض أمر الحكم فيهـــم إلى حـــليفهم زعـــيم الأوس الـــذي حكم بقتل الرجال واستعباد النساء والأطفال(٣).

ثم يـــردف جابرييلي قائلاً: وبتصفية قريظة وعدم ترك أي أحياء منهم، وبتأييد الأوس بإبـــادة حلفائهم السابقين، أصبح محمد قادراً على استبعاد أي نوع من أنواع العطف، وتصرف دون رحمة بقدر ما تسمح به قواعد الحرب في عصره(٤).

---

(١) انظر: حميد الله: الوثائق السياسية، ص ٦١.

(٢) Gabrieli, F. Muhammad and the conquest , P. 72.

(٣) Ibid., Pp. 72 - 73.

(٤) Ibid., P. 73.

يظهـــر ممـــا تقدم أن جابرييلي لا يقل عن محرر مادة "قريظة" في الموسوعة اليهودية من حيث عدم الموضوعية في معالجته لقضية بني قريظة وموقف النبي صلى الله عليه وسلم منهم؛ فهو يحاول الإيحاء للقارئ بأن ما حصل لهم من عقوبة أليمة كـــانت بسبب ما يتمنونه في دخائل أنفسهم من هزيمة النبي، وكأن الرسول صلى الله عـــليه وسلم يعلم دخائل الأنفس، ويعاقب على ما توسوس به؛ لذلك فإن النبي صـــلى الله عليه وسلم- في نظر جابرييلي - يعاقب بني قريظة أشد العقاب بسبب مـــن أمـــانيهم السيئة ليس غير. ثم يناقض نفسه ويعترف أن بني قريظة كانوا على اتصال بالعدو، ولكنه أيضاً لا يذكر طبيعة ذلك الاتصال ! وما خطورته بالنسبة إلى المســـلمين. ثم هـــو أيضاً لا يذكر للقارئ أنه عشية حصار الأحزاب للمسلمين في المدينة كان هناك معاهدة دفاع مشترك عن المدينة بين المسلمين و يهود بني قريظة، وهـــذا على الأقل ما تؤكده المصادر الإسلامية، وأن اليهود نقضوا تلك المعاهدة، ونـــالوا مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهددوا الخطوط الخلفية للمسلمين بالـــتعرض لســـابلتهم وقطـــع الطريق عليهم، وتهديد نساء المسلمين وأطفالهم في حصونهم[١].

وما من شك في أنه لو نجح التحالف الآثم بين بني قريظة والأحزاب، وتمكنوا مـــن اقتحام المدينة لاستأصلوا المسلمين عن آخرهم، وربما قضوا على الإسلام إلى الأبد.

ولعـــل مـــا يـــبعث على الاستغراب في هذا الخصوص هو إنكار فلهاوزن Wellhausen أن يكون هناك معاهدة بين الرسول صلى الله عليه وسلم و يهود بني قـــريظة عشية حصار الأحزاب أو قبله. ثم يقول: إن المعاهـــدة التي قيل إن كعب

(١) انظر: موسى بن عقبة، المغازي، ص ص ٢١٨ - ٢٢١، ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٢٣١ - ٢٣٩، والواقدي: المغازي، ٢/٤٥٤ - ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٧٥.

بن أسد قد مزقها، لم تكن في حقيقة الأمر سوى رباط نعله، ليظهر بصورة رمزية قطـــع علاقته مع أهل المدينة[1]. وحجته في ذلك أن اليهود لم يشيروا قط إلى مثل تـــلك المعاهدة[2]. والرد على مثل هذه المزاعم يسير جداً، وهو واضح لكل دارس للسيرة النبوية على وجه الخصوص، أما من لا يلم بالسيرة النبوية وأحداثها فيكفي أن نذكر أن مصادر السيرة النبوية قد أشارت كثيراً إلى وجود معاهدة أو أكثر مع بني قريظة. ثم إن صحيفة المدينة قد تضمنت يهود بني قريظة أحد أطراف الصحيفة أو المعـــاهدة[3]. أما القول أن كعباً لم يمزق وثيقة المعاهدة بل رباط نعله فهو قول يفتقر إلى الصحة أو عدم الفهم. فقد ذكر الواقدي أن الوفد الذي أرسله رسول الله صـــلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة طلب منهم: أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل أن يلتحم الأمر، وأن لا يطيعوا حيي بن أخطب، فقال كعب: " لا نرده أبداً — أي العهد — قد قطعته كما قطعت هذا القبال"، لقبال نعله[4].

والأعجـــب مـــن هذا كله إنكار فلهاوزن أن يكون هناك معاهدة بين النبي صـــلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة ودليله على ذلك عدم إشارة اليهود إليها. وهذا الموقف هو الانحياز الأعمى بعينه. فتأكيد المصادر الإسلامية وجود مثل هذه المعـــاهدة لا يعني شيئاً لفلهاوزن، ربما لأنه لا يثق في تلك المصادر، أما إذا أشارت المصـــادر اليهودية بلا أو نعم فهو عنده عين الحق ! ومن أسف أن المصادر اليهودية ليس لديها ما تقوله عن عصر الرسالة. فما الذي سيفعله فلهاوزن أمام هذا الإرث

---

(١) انظر: Wensinck, A. J. Muhammad and the Jews....., P. 137.

(٢) Ibid., P. 137.

(٣) انظر: حميد الله: الوثائق السياسية،ص ٦١. وقارن:
Serjeant, " The Sunnah Jami'ah " PP.36-37.

(٤) الواقدي: المغازي، ٤٥٨/٢.

التاريخي الكبير المتعلق بتاريخ اليهود في شبه الجزيرة العربية، والذي روي من خلال وجهة النظر الإسلامية ؟

أما بروكلمان فقدم قضية بني قريظة بصورة تدعو أي قارئ للتعاطف معهم يقـــول: "وفي اليوم نفسه (أي اليوم الذي انسحب فيه الأحزاب) هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضاً على كل حال، فاستسلموا بعد حصار دام أســـبوعين. وأمـــر الـــنبي بقتل محاربيهم [وعددهم ستمئة] وباسترقاق نسائهم وأطفالهم، ليكون في مصيرهم هذا عبـــرة لأمثالهم"(١).

إن بروكـــلمان لم يشـــر إلى معاهدة الدفاع المشترك عن المدينة التي تعّد بني قـــريظة طرفاً فيها، و لم يذكر ما جاء في مصادر السيرة النبوية أن بني قريظة نقضوا حـــلفهم مـــع رســـول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم انضموا إلى أعداء الدولة الإسلامية في أحرج الأوقات، وهو وقت الحرب، ثم لا يذكر كذلك أنه نزولاً عند رغـــبة الأوس فقد فوّض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر النظر في قضيتهم إلى حليفهم سيد الأوس أي سعد بن معاذ.

إن الهـــدف الذي يرمي إليه بروكلمان هو الإيحاء للقارئ أن النبي صلى الله عـــليه وسلم قتل بني قريظة ظلماً وعدواناً، لا لشيء إلا لأن موقفهم من الأحداث في أيام الخندق كان غامضاً؛ لذلك فهو يقتل رجالهم ويستحيي نساءهم.

وعـــندما يناقش "بودلي" موقف بني قريظة يوم الأحزاب من النبي صلى الله عـــليه وســـلم وما تمخض عنه ذلك الموقف فإن مناقشته لا تخلو من شطط، فهو يتحدث عن وفد من بني قريظة قابل الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء حصاره لهـــم فيقـــول: "وابتدأ محمد في عرض شروطه، بعد أن أشار إلى أن بني قريظة قد

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية..........، ص ٥٤.

فجروا في عهدهم، وأسلموا للعدو، وأن هذه ليست خيانة فحسب، بل تآمر على الدولة، فلم يضع عليهم جزية، ولم يوجه إليهم اتهامات، ولم يوقع عليهم جزاءً من أي نوع، بل طلب منهم أن يدعوا دينهم، وأن يقبلوه زعيماً لهم، فرفض اليهود ذلك "[1].

إن الذي ذكرته الرواية الإسلامية مغاير- إلى حد ما- لما ذكره بودلي، فقد ذكر الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما اقترب من حصون بني قريظة، دعاهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فأبوا أن يجيبوه إلى الإسلام، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين[2]. والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاتلهم؛ لأنهم رفضوا الإسلام، أو لأنهم رفضوه أن يكون زعيماً عليهم، بل لأنهم نقضوا العهد وتحالفوا مع الأعداء.

أما الوفد القرظي والمفاوضة التي جرت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تتعلق بطلب بني قريظة أن يستسلموا على الشروط نفسها التي نزل عليها بنو النضير قبلهم[3]. وواضح هنا أنه ليس فيه إشارة إلى موضوع التحول من اليهودية إلى الإسلام والاعتراف بمحمد زعيماً لهم كما يزعم بودلي. أما التهمة الموجهة لهم فهي مظاهرتهم للأحزاب؛ وذلك بنص القرآن.

---

(١) انظر: ر. ف. بودلي: **الرسول: حياة محمد**، ترجمة محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار، (القاهرة: دار مصر، د: ت) ص ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢) الزهري: المغازي النبوية، ص ٨١. ويجب أن نشير هنا إلى أن الدعوة إلى الإسلام قبيل التحام المسلمين مع أعدائهم المشركين تقليد دعوي متبع أداه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه واجباً دينياً خاصاً بدعوة كل الناس إلى الإسلام قبل القتال، فلو أسلموا، ولو نفاقاً كان ذلك أدعى إلى حفظ دمائهم وأموالهم والعفو عنهم.

(٣) الواقدي: المغازي، ٢/٥٠١.

ثم يعـــلق بـــودلي على عقوبة بني قريظة بقوله: لو فكر يهود المدينة في الأمر لوجدوا أن محمداً ما فعل شيئاً أكثر أو أقل من تنفيذ التعليمات التي وضعها قومهم في الإصحاح العشرين، من سفر تثنية الاشتراع. جاء في سفر التثنية بخصوص البلد المحـــارب: إذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك. (التثنية: ١٢-١٥)[١].

واللافت للنظر أن اليهود يعرفون مسبقاً نوع الحكم الذي يمكن أن ينفذ فيهم في حال الخيانة، فهم -لابد- يحفظون ما جاء في سفر التثنية عن ظهر قلب، لذلك عـــندما حاصـــر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، قال سلام بن مشكم لحُييّ بن أخطب، حسب الرواية الإسلامية: ياحُيي اقبل هذا الذي قال محمد، فإنما شرفنا على قومنا بأموالنا، قبل أن تقبل ما هو شر منه، قال: وما هو شر منه ؟ قال: أخـــذ الأموال، وسبي الذرية، وقتل المقاتلة[٢]. ونحن نقول: إذا كان الأمر كذلك، أفـــلا يجـــوز أن يكون سعد بن معاذ قد اطلع على حكم التوراة فيهم قبل إصدار حكمه ؟ لأنه - في ظني - لم يسبق للعرب أن عرفوا مثل هذا الحكم.

ثم يعود بودلي فيذكر القارئ بمدى أهمية عقوبة بني قريظة وخطورتها بالنسبة إلى دولة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "ويجب أن لاّ يغيب عن البال كيف كـــان مـــن الضروري بالنسبة اليه (أي الرسول) ألاّ يدع أي شك يخامر الناس في سلطانه هذا ... فلو أنه أظهر ضعفاً، أو سمح بوقوع خيانات دون أن يوقع الجزاء، لما عاش الإسلام أبداً. لقد كانت مذبحة اليهود هذه شديدة. ولكنها ليست الأولى

---

(١) بودلي: الرسول، ص ١٩٣.

(٢) انظر: الطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٥٥٣.

في التاريخ، وإنها لعدل في نظر المسلمين. ومن ذلك الوقت أصبحت القبائل العربية واليهـــود يفكرون مرتين قبل أن يتحدّوا ذلك الرجل الذي صمم على أن يسير في طريقه[1].

أما مونتجمرى واط M. Watt فيعلـــق على حكم سعد في بني قريظة بقوله: "انـــتقد بعـــض الكتاب الأوروبيين هذا الحكم ووصفوه بأنه وحشي وغير إنساني وسنناقش فيما بعد الفكرة التي تتدخل هنا، ولكن لنلاحظ رأساً أن الذين اشتركوا في هذه الحوادث (والذين نقلوها إلينا) لا يبدو أنهم ذعروا من القسوة المزعومة لهذا الحكـــم، وموضوع الخلاف هنا هو معرفة ما إذا كان الولاء للأمة الإسلامية فوق كـــل ولاء. يجب أن نذكر بهذا الصدد أن التقليد العربي القديم كان يطلب مساعدة الحـــلفاء مهما كان مسلكهم مع الآخرين، إذا ظلوا أوفياء. ويبدو أن الأوس الذين طلـــبوا التســـامح مع قريظة اعتبروها غير وفية لمحمد وليس للأوس. وهذا يعني أن أنصار الشفقة كانوا يعتبرون أنفسهم قبل كل شيء أفراد الأوس وليس أفراد الأمة الإســـلامية . لا جـــدوى إذن مـــن أن نظن بأن محمداً ضغط على سعد بن معاذ لـــلحكم عـــلى قريظة كما فعل. فلقد أدرك رجل بعيد النظر كسعد أن السماح للعصـــبية القبلية بالتغلب على الولاء للإسلام يؤدي للعودة إلى الحروب بين الإخوة التي كانت المدينة ترجو التخلص منها بمجيء محمد"[2].

وأخـــيراً، فمهما اختلفت آراء المستشرقين وتشعبت أهواءهم في شأن عقوبة يهـــود بني قريظة، فإن الأمر الذي يجب ألاّ يغيب عن البال هو أن رسول الله صلى الله عـــليه وسلم لم ينظر إلى قضيتهم على أنها قضية أسرى وقعوا في يده، بل نظر

---

(١) بودلي: الرسول، ص ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) مونتجمري وات: محمد في المدينة، ص ٣٢٨.

إليهـــم وعاملهم معاملة الخونة الذين نقضوا العهد، وتآمروا مع الأعداء — في وقت الحـــرب — على سلامة الدولة، وهددوا أمن المجتمع في ظل ظروف استثنائية بالغة الخطورة. وهذا هو ما يعرف بالخيانة العظمى في القانون الدولي، ومعلوم أن عقوبة هذه الخيانة هي الموت.

الخاتمة

من خلال العرض التاريخي للعلاقة بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة، وكذلك من خلال الاستطلاع الوجيز لمواقف بعض المستشرقين من تلك العلاقة وآرائهم حولها يتبين للقارئ عدة أمور منها:

أنه ليس لدينا تاريخ ثابت عن وجود اليهود في يثرب التي عُرفت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إليها، وإن كانت بعض الروايات تُرجع زمن وجود اليهود في يثرب إلى أيام النبي موسى عليه السلام. وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حاول جاهداً دعوة أهلها ومن ضمنهم اليهود إلى الإسلام وبالقدر الذي أحرز فيه نجاحاً كبيراً في دخول قبائل المدينة المشهورة من الأوس والخزرج في الإسلام، فقد كان نجاحه في تحول اليهود إلى الإسلام محدوداً جداً، وقد ذُكرت بعض الأسباب التي حالت دون ذلك. وعلى الرغم من هذا، فإن ذلك لم يثن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن موادعة اليهود ومعاهدهم على التعايش بسلام وعدم الاعتداء بعضهم على بعض . ويظهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أول مقدمه المدينة عقد مع القبائل اليهودية اتفاقات فردية تنظم العلاقة بينهم، ولكن بعد معركة بدر تغيرت الأمور كثيراً فقد رجحت كفة المسلمين،وأصبحت قوة يحسب لها حسابها في موازين القوى في شبه الجزيرة العربية؛ مما دعا إلى كتابة صحيفة المدينة بين المهاجرين والأنصار وحلفائهم من بعض البطون العربية واليهودية، وكانت المرجعية في هذه الصحيفة إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس من المستبعد أنه بعد مقتل كعب بن الأشرف وذلك قبل أحداث أُحد ببضعة أشهر، دخلت قبيلتا بني النضير وقريظة في المعاهدة، وبذلك أصبح النبي صلى الله عليه وسلم سيد المدينة وما حولها سيادة مطلقة اعترف له فيها جميع الأطراف من مسلمين ويهود.

ويلاحظ كذلك أنه ربما قبل معركة بدر بيسير ثم في أعقابها أسفر اليهود عن عدائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين سواء أكان ذلك على المستوى الفردي أم على المستوى القبلي. فعلى المستوى الفردي خرج بعض الشعراء الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين، واشتهر منهم ثلاثة هم: عصماء بنت أمية وأبو عفك وكعب بن الأشرف، وكل هؤلاء نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء المقذع،وحرّضوا الناس على الانفضاض من حوله، بل حثوهم على قتله، لذلك فقد ذكرت بعض الروايات أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتهم الحماسة والغيرة على دين الله والحمية لرسوله إلى قتل عصماء وأبي عفك، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما علم بذلك لم يحاسب أولئك الصحابة على فعلهم.

أما كعب بن الأشرف فإنه - إضافة إلى ما نظم من الأشعار والمراثي في قتلى بدر من المشركين- قد ترأس وفداً من يهود المدينة إلى قريش في مكة يستحث هممهم، ويستنهضهم على قتال المسلمين في المدينة؛ لذلك لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ من الإيعاز إلى حلفاء بني النضير من بني عبد الأشهل من الأوس بالتخلص من كعب، وقد نجح محمد بن مسلمة ورفاقه في قتل كعب الذي ما فتئ يؤلب على الرسول وجماعة المسلمين بالمدينة.

أما تحديات اليهود على المستوى القبلي فتكاد تجمع الروايات التاريخية على أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودته من بدر ظافراً ذهب إلى سوق بني قينقاع وجمعهم فيه، ودعاهم إلى الإسلام، وحذرهم من مغبة غضب الله عليهم، وأنه قد يصيبهم ما أصاب قريشاً، ولكنهم قابلوا دعوته بالتحدي. ويظهر أنه قد حدثت بعض المسببات الأخرى التي قادت إلى حصار الرسول صلى الله عليه وسلم لبني قينقاع ومن ثم إجلائهم عن المدينة. ومن المحتمل أن بقاءهم مجاورين للمسلمين

بالمدينة ساعدهم على أن يكونوا عيناً للعدو على المسلمين يدلونه على عوراتهم، ويفضحون أسرارهم، وكانوا أيضاً يسعون في الدس بين المسلمين من مهاجرين وأنصار؛ لذلك فقد كان إجلاؤهم ضرورة أمنية تفرضها المصلحة العليا لمجتمع المسلمين بالمدينة.

وفي معركة أُحد التي أسفرت عن خسارة للمسلمين كان ليهود بني النضير ضلع في ذلك،فقد دلوا قريشاً على نقاط الضعف في تحصينات المسلمين ،وسبق لهم أن ساعدوا قريشاً بزعامة أبي سفيان حين هاجم أحد أطراف المدينة بعد بدر بقليل. وقد وردت روايات عن تآمرهم على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إليهم طالباً منهم المساعدة على دية العامريين. ونتيجة لذلك فقد حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلاهم عن المدينة إلى خيبر والشام، وقد نزل القرآن يذكر جلاءهم؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

ثم يذكر السبب في جلائهم بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

لذلك فإن أمر حصارهم وجلائهم لم يكن قراراً شخصياً من النبي صلى الله عليه وسلم ،بل هو أمر إلهي لا دخل للرغبة الشخصية فيه. ولا شك أن جلاءهم عن المدينة كان فيه صلاح أمر المسلمين فقد كفاهم الله شر مؤامراتهم ودسائسهم الدنيئة.

أمـــا يهـــود بني قريظة فقد ظلوا على احترامهم لصحيفة المدينة، ولو ظاهرياً عـــلى الأقـــل، حتى عام الخندق أي السنة الخامسة للهجرة، ولكن عندما قدمت الأحـــزاب المديـــنة نجحت محاولات حُيي بن أخطب زعيم بني النضير في حمل بني قـــريظة عـــلى نقض العهد والتآمر على المسلمين ومظاهرة أعدائهم من الأحزاب، قـــريشٍ وحلفائها. وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بنقضهم للعهد أرسل لهـــم ســـفارة تحذرهم مغبة خيانتهم، ولكنهم لم يرتدعوا وأرجفوا بالمدينة، وابتُلي المؤمـــنون وزُلزلوا زلزالاً شديد، وقد وصف حالهم الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وبعد أن ردّ الله الأحزاب لم ينالوا خيراً. توجه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه لمعاقبة بني قريظة فدعاهم أولاً إلى الإسلام، فلما أبوا ذلك، حاصرهم أشد الحصار، فاستسلموا لأمر الله فيهم، قـــال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِـــمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦].

ثم نُفذ فيهم حكم الله، حيث قتل المقاتلة وسُبي النساء والذرية.

وقـــد اختلفت المصادر في عدد من قتل منهم حيث قدمت أرقاماً متفاوتة ما بـــين تســـع مئة رجل إلى أربعين رجلاً ولعل هذا الرقم الأخير هو الأجدر بالقبول لأسباب سبقت مناقشتها في موضع آخر من هذه الدراسة.

أما مواقف المستشرقين من علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة فهي تكـــاد تكون متشابهة؛ لأن المنطلقات والتصورات تكاد تكون واحدة، حيث إنها كـــلها تعـــود في أساسها إلى تصوراتهم الزائفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن

رسالته، التي ورثها أولئك المستشرقون عن أجدادهم منذ أكثر من ألف سنة، ولعل في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في التصور الغربي ما يغني عن التكرار، ويقرب الفكرة إلى الأذهان.

إضافة إلى أن بعض المستشرقين من النصارى ينتمون إلى طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات "اللاهوت" ولذا فإنهم إذا تطرقوا إلى الموضوعات الحساسة في الإسلام حاولوا جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني. ومن المستشرقين من يأخذ بالروايات الضعيفة وبالقصص الإسرائيلي، مع نص العلماء المسلمين على فسادها فيقويها ويقيم لها وزناً، ثم يبني عليها أحكاماً[1] مدعين، مع ذلك، الموضوعية والبحث عن الحق لوجه الحق، والحق من أكثرهم براء.

هذا الموروث الثقافي والتصور المشوه والقاصر عن الإسلام ونبي الإسلام، وهذا المنهج المنحرف في النظر في تاريخ الإسلام عموماً والسيرة النبوية خصوصاً قادت إلى الانحياز الأعمى إلى الطرف الآخر، أي إلى اليهود، فأصبح يهود المدينة في نظر معظم أولئك المستشرقين ضحية مآرب النبي محمد الشخصية، وأطماعه السياسية. وهم في مواقفهم تلك لا يقدمون للقارئ من الأدلة العقلية أو النقلية ما يثبت صحة ما يذهبون إليه، فكل حججهم مبنية على الظن والتخمين والفرضيات الخاطئة ليس غير. ومرد ذلك كله هو إنكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم. لذلك فإنه حتى يستقيم الأمر ويتضح السبيل لكل من يكتب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته من المستشرقين وحتى يكون لأحكامهم ومواقفهم من النبي ورسالته قدر من المصداقية والاحترام، أقول لابد أن يختاروا أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يحسموا الأمر بالنسبة إلى النبوة وظاهرة الوحي،هل هي جائزة عقلاً وواقعاً أم لا ؟ فإذا آمنوا بذلك أي أنها جائزة، فليس هناك إذاً ما يمنع

---

(١) انظر: جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ص ١٠ - ١٢.

من أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم أحد أنبياء الله ورسله، كلفه بالرسالة، مثله مثل بقية الأنبياء والرسل من لدن نوح. ومن ثم يجب عليهم ألا يستهجنوا أي عمل صـــدر مـــن الـــنبي محمد بحق اليهود أو غيرهم؛ لأنه رسول الله، ويتصرف بوحيه وتوجيهـــه، ولو كان العمل في نظرهم غير مقبول. لذلك فإنه يجب عدم الاعتراض عـــلى مواقفه المتعلقة بشؤون الدين والدنيا؛ لأنها فوق مستوى النقد البشري، وهو كمـــا قـــال عـــنه الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم: ٣ - ٤].

أما الأمر الثاني: فهو أن يرفضوا مبدأ النبوة والأنبياء أبداً، بعد تقديم البراهين الدالـــة نقلاً وعقلاً على استحالة إرسال الله الرسل والأنبياء ومن بينهم - بطبيعة الحـــال - محمـــد بـــن عبد الله، وإذا أفلحوا في إثبات ذلك، فإن المنتظر منهم ألاّ يستنكروا أي تصرف في نظرهم شائن سواءً بحق اليهود أو غيرهم يصدر من محمد لأنـــه في هـــذه الحال لا يعدو كونه أحد الزعماء أو القادة التاريخيين، الذين ليسوا فوق مستوى الأخطاء؛ لأنهم بشر فحسب.

وإذا توصـــلوا إلى هذه النتيجة فعليهم بعد ذلك أن يقارنوا بين ما فعله محمد صـــلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي بيهود بني قريظة وبقية يهود المدينة ومـــا يفعلـــه يهود القرن العشرين في فلسطين بدءاً بمذبحة دير ياسين وانتهاءً بصبرا وشاتيلا وقانا في لبنان.

وخلاصـــة القول: أنه يمكن للباحث الزعم أن هذه الدراسة أظهرت بصورة واضـــحة إخفاق الكثير من المستشرقين في تطبيق المنهج العلمي والمعالجة الموضوعية لبعض القضايا البالغة الأهمية في السيرة النبوية، وعلى رأس تلك القضايا علاقة النبي بيهود المدينة. " ونحن، حين نقرر ذلك فيما يتعلق بجماعة من المستشرقين، لا ننكر أن سلامة الدراسات الاستشراقية من الأخطاء الفكرية والميول الذاتية المتوارثة منذ

قـــرون ليس من السهل تجاوزها أو السيطرة عليها كلياً. ومهما يكن من أمر فإنهم بـــبحوثهم قـــد أسهموا في تنمية الثقافة الإنسانية، ودفعوا إلى متابعة تلك البحوث بالزيادة أو بالتعقيب أو الرد، بل إن من المستشرقين النزهاء من تركوا أثراً عميقاً في الرأي العام الإسلامي والأوروبي على حد سواء "[1].

وفي الختام يجب التذكير أن هذه الدراسة لمواقف بعض المستشرقين من قضية واحـــدة من قضايا السيرة النبوية، أظهرت انحيازهم الكامل إلى الطرف الآخر، أي اليهود، دون وجه حق. لذلك فإن الواجب يدعو إلى إعادة النظر الشاملة في كل ما يكتبه المستشرقون في السيرة النبوية؛ ابتغاء تقويم المعوج، والإشادة بالمستقيم منها. وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) التهامي نقرة: مناهج المستشرقين، ١/٢٤.

الملحقات

ملحق (١)

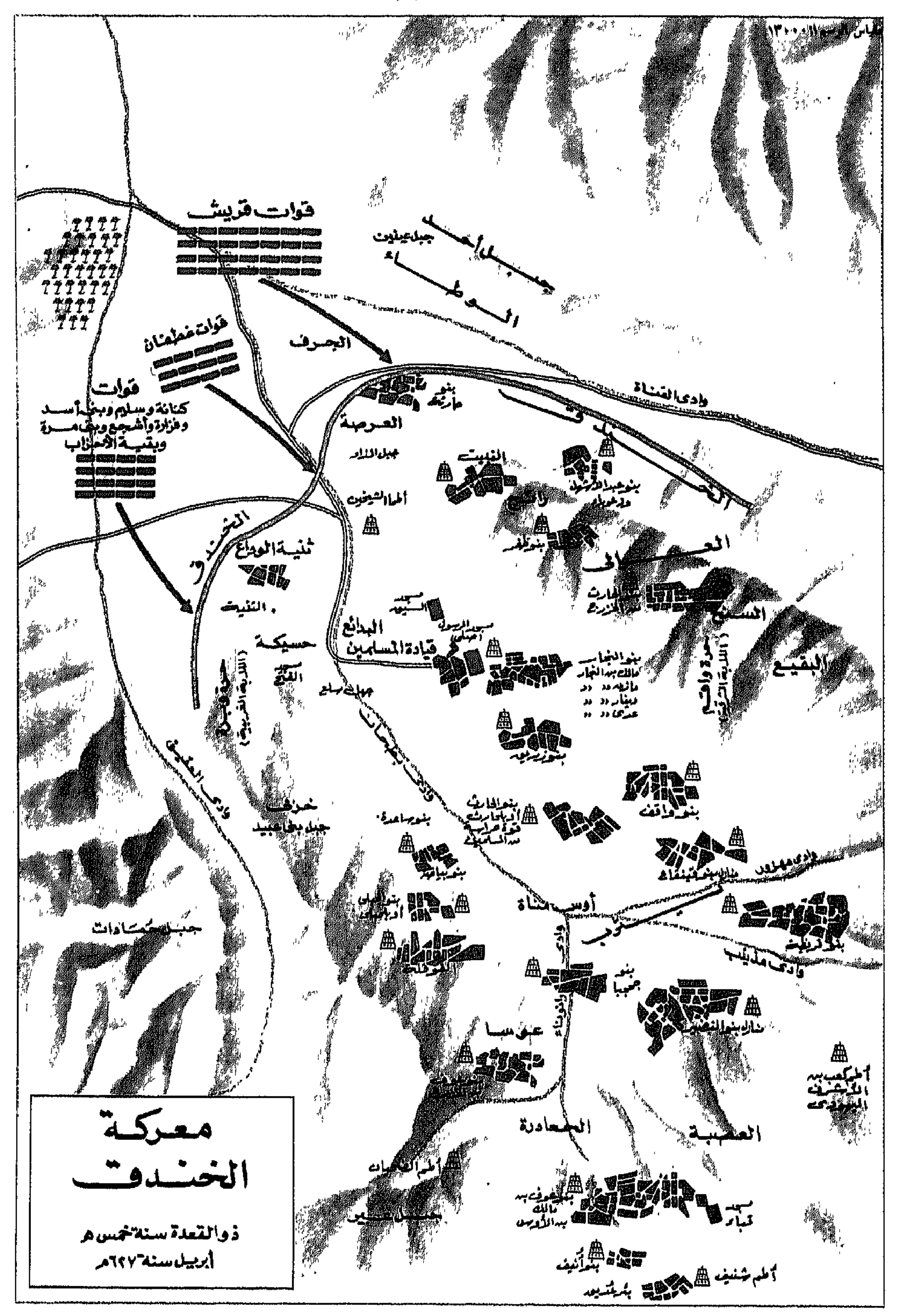

المرجع : أطلس الإسلام، لحسين مؤنس

ملحق (٢)

كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود وهو دستور الدولة البلدية بالمدينة

مراجع النص الكامل : به ص ٣٤١ - ٣٤٤ - بآ ورقة ١٠١/ألف - ب - بع ع ٥١٧ - ابن زنجويه ،كتاب الأموال (خطية بوردور،تركيا) ، عن الزهري ، ورقة ٧٠ ب - ٧١ ب - عمر الموصلي ، وسيلة المتعبدين ، ج ٨ ، ورقة ٣٢ ب - بسن ، عن ابن إسحاق وابن أبي خيثمة ١٩٨/١ - بك ٣/ ٢٢٤ - ٢٢٦ - عمخ ع ٧٩ . راجع للتراجم :

(أردو): محمد حميد الله ، دنيا كاسب سي بهلا تحريري دستور (مجلة طيلسانيين حيدر آباد دكن ، جولائي ١٩٣٩ ؛ أيضاً عهد نبوي مين نظام حكمراني ، طبعة ثالثة ١٩٨١ ، كراجي ص ٧٥ - ١٠٥ خاصة ٩٨ - ١٠٥ .

(تركية القديمة) : حسين جاهد (يالجين) ، إسلام تاريخي (ترجمة « أنالي ديل إسلام بالطليانية لكايتاني) استانبول ١٩٢٤ ، ج ٣ ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(Français): M. Hamidullah, *Corpus des documents sur la diplomate musulmane,* No 1;*Le Prophète de l'Islam,* **I, 123 et suiv., en particulier 133-137**

(English): M. Hamidullah, *The First Written-Constitution* in *the World. in;* **Islamic Review, Woking, August to November 1941, p. 296-303, 334-340, 377-384, 442-449; 3e éd. Lahore 1975 — Reuben Levy,** *Sociology of Islam,* **I, 279-282; the same.** *The Social Structure of Islam, 1957,* **p. 273-275 — Majid Khaddûri,** *The Law of War and Peace in Islam.* **p. 84 – 87; the same,** *War and Peace in the Law of Islam,* **1955, p. 206-209.**

(Deutsch) : Wellhusen, *Gemeindeordnung von Medina,* **in: Skizzen und Vorarbeiten, IV. 76-83 — Buhl,** *Das Leben Muhammeds,* **p. 210 — 212**

(Hollândisch): Wensinck, *Mohammed en de Joden te Medina,* **1908, p. 78ff.**

(Italiana) : L. Caetani, *Annali dell'Islam,* **I. anno 1. § 43ff.**

(Turkçe): Sâlih Tug. (Hamidullah, *Islâmin hukuk ilmine yardimlari, çev. Salih Tug)*

1962, p. 13-30.

قابل للاقتباسات : عبد الرزاق بن همام (المتوفى ٢١١ هـ) كتاب المصنف ع١٧١٨٣ ، ١٧١٨٤ ـ أبو عبيد القاسم بن سّلام(ف ٢٢٣)غريب الحديث (خطية) كلمة مفرح وقصاص ـ ابن سعد (ف ٢٣٠) الطبقات ، ١/ ٢ ، ص١٧٢ سطر١٠-١٣/ ٤/ ٢١/ ١ ، ص١٩ ، ٢٣ ـ ابن حنبل (ف ٢٤١) المسند ١/ ٧٩ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ٢٧١ ؛ ٢/ ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٥ ؛ ٣/ ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ؛ ٤/ ١٤١ ـ ابن زنجويه (ف ٢٥١) كتاب الأموال (خطية بوردور ، تركيا) ، ورقة ٤٤ ب ، ٤٥ ب ، ٦٥ ألف ، ب ـ الدارمي (ف ٢٥٥) السنن ، ١٥/ ٥ ـ البخاري (ف ٢٥٦) الصحيح، ٣/ ٣٩ رقم ١ ، ٢٩/ ١/ ٤ ؛ ٥٨/ ١٠ ؛ ٥٨/ ١٧ رقم ٢ ؛ ٩٦/ ٦ رقم ٢ وفي كلها اقتباسات هذا الكتاب ؛ ٩٦/ ١٦ رقم ١٨ وفيها ذكر تدوينه في بيت أنس ـ مسلم (ف ٢٦١) ، الصحيح ، ٢٠/ ١٧ رقم ١٣٧٠ ، ١٥٠٧ ؛ ٤٤/ ٥٠ رقم ٢٠٤ ، ٢٠٥ ـ ابن ماجه (ف ٢٧٣) السنن ٢١/ ٢١ ـ أبو داود (ف ٢٧٥) السنن ، ١١/ ٩٩ ، ١٩/ ٢٢ - ٢٣ ، ٣٨/ ١١ ـ البلاذري (ف ٢٧٧) أنساب الأشراف ١/ ٢٨٦ ، ٣٠٨ ـ الترمذي (ف ٢٧٩) السنن ، ١٤/ ١٦ ـ النسائي (ف ٣٠٣) السنن ٤٥/ ٤١ ـ الطبري (ف ٣١٠) تأريخ ، سلسلة أولى ص١٣٦٧ سطر ١٣ ـ ١٤ ، ص١٣٥٩ سطر ١٠ ـ ١٢ ـ مطهّر بن طاهر (تأليف ٣٥٥) البدء والتاريخ ٤/ ١٧٩ ـ الخطيب البغدادي (ف ٦٤٣) تقييد العلم ص ٧٢ ـ ابن منظور (ف ٧١١)، لسان العرب ، مادة برر،دسع ، عقب ، عقل ، فرح ، وتغ ـ المقريزي (ف ٨٤٥) إمتاع الأسماع ١/ ٤٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ وقال : كانت معلقة بسيفه صلى الله عليه وسلم . ثم في القسم الغير المطبوع منه خطية كوبرولو ، ص ١٠٣٥ ـ ١٠٣٦ ـ الزرقاني (ف ١١٢٠) شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ، المتوفى ٩٢٣ ، ٤/ ١٦٨ ـ ١٦٩ . النهاية لابن الأثير، مادة امم ، برر ، دسع ، ربع ، عبط ، عقب ، عقل ، فرح ـ المصنف لعبد الرزاق ، رقم ١٧١٨٣ ، ١٧١٨٤ ، ١٧١٩١ ، (وأرجع المحشي إلى السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٢٥) ـ خلق أفعال العباد للبخاري ، طبع دهلي ، ص ٢٩ ـ المطالب العالية لابن حجر ، رقم ١٤٨٦ ، ١٤٩٣ ، ١٨٥٦ (عن أبي يعلى) ـ مجمع الزوائد للهيثمي ٤/ ٢٠٦ . انظر للبحوث سوى ما ورد في ذكر تراجم هذه الوثيقة :

(بالعربية) : محمد حميد الله ، أقدم دستور مسجل في العالم (في مباحث مؤتمر دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٩٣٨م) ص٩٧ ـ ١٢٤ ـ يوسف العش ، سقوط الدولة العربية (ترجمة من الألمانية لويلهاوزن) . ـ صالح أحمد العلي ، تنظيمات الرسول الادارية في المدينة ، في مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداذ ، ج ١٧ ، سنة ١٩٦٩ ـ أكرم العمري ، أول دستور أعلنه الاسلام ، في مجلة كلية الإمام الأعظم ، بغداد ، عدد أول ، ١٣٩٢/ ١٩٧٢ ، ص ٣٥ ـ ٦٦ ـ أيضاً بحوث في تاريخ السنة المشرفة ،بغداد ١٩٦٨ ـ محمدعزة دروزه ،سيرة الرسول ،مصر ١٩٦٥، ط ثانية، في محله .

(أردو) مقالة طويلة في مجلة برهان ، دهلي من أكتوبر ١٩٣٩ إلى سبتمبر ١٩٤٠

(English): M. Hamidullah, *Administration of Justice in Early Islam,* **in Islamic Culture, Hyderabad-Deccan 1937, XI, 164-5 —— Joseph Hell,** *The Arab Civilization,* **trans by Khuda Bakhush Khan, 2nd ed., II 25 f.—— Sarjeant** *The Constitution of Medina,* **in: Islamic Quarterly, London, VIII/1-2, p. 3-16 —— in an article in the monthly Voice of Islam, Karachi, 1952, I, 105.**

(Deutsch): Alois Sprenger, *Das Leben und die Lehre des Muhammed,* **2nd ed. 1869, III,**

20-30 —— Hubert Grimme, *Muhammed*, I, 75-81 —— A. Müller, *Der Islam in Morgen - und Abendland*, I. 98 — Joseph Hell siehe auf English —Ludolf Krehl, *Leben Muhammeds*, p. 142-8 — Bebel, *Muhammedanische arabische Kultureperiod*, Kap. 1,2 — Ranke, *Weltgeschichte*, V. 75ff — Wellhausen, *Das arabische Reich und sein Sturz*, p. 4-10

(Français): M. Hamidullah, *Documents sur la diplomatie musulmane* Paris 1935, I. 20-26.— Le même, *Le Prophète de l'Islam, sa vie et son oeuvre*, 4e éd. Paris 1979, § 341-358.

ولا بأس بأن نذكر أن حديث البخاري وأبي داود وغيرهما عن علي بن أبي طالب يجمع بين عدة وثائق ، رقم ١ ، ١/ ألف ، ١٠٦ ، ١١٠ وغيرها فيما يظهر .

ولنذكر أيضاً أن ابن حنبل يروي اقتباساته عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن عابس وعائشة رضي الله عنهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) هذا كتاب من محمد النبي [رسول الله] بين المؤمنين والمسلمين من قريش و[أهل] يثرب ومَن تبِعهم فلحِق بهم وجاهد معهم . ٣

(٢) أنهم أمّة واحدة مِن دون الناس .

(٣) المهاجرون من قريش على رَبعتهم يتعاقلون بينهم وهم يَفدُون عانِيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . ٦

(٤) وبنو عَوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(٥) وبنو الحارث [بن الخزرَج] على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم ٩ الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(٦) وبنو ساعِدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . ١٢

(٧) وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(٨) وبنو النّجّار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل ١٥ طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(٩) وبنو عَمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ،

١٨ وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(١٠) وبنو النَّبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٢١ (١١) وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ؛ وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(١٢) وأنّ المؤمنين لا يتركون مُفرَحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف

٢٤ في فداء أو عقل .

(١٢ب) وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

(١٣) وأن المؤمنين المتقين [أيديهم] على [كل] مَن بغى منهم ،

٢٧ أو ابتغى دَسيعةَ ظلمٍ ، أو إثماً ، أو عدواناً ، أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولدَ أحدهم .

(١٤) ولا يَقْتُل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على

٣٠ مؤمن .

(١٥) وأنّ ذمّة الله واحدة يجبر عليهم أدناهم ، وأنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

٣٣ (١٦) وأنه مَن تبعنا من يهود فإنّ له النصرَ والأسوةَ غير مظلومين ولا مُتناصر عليهم .

(١٧) وأنّ سلم المؤمنين واحدةٌ ، لا يُسالِم مؤمن دون مؤمن

٣٦ في قتال في سبيل الله ، إلا على سواءٍ وعدل بينهم .

(١٨) وأنّ كل غازية غَزَت معنا يعقب بعضها بعضاً .

(١٩) وأن المؤمنين يُبيء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في

٣٩ سبيل الله .

(٢٠) وأن المؤمنين المتقين على أحسن هُدىً وأقومه .

(٢٠ ب) وأنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول

٤٢ دونه على مؤمن .

(٢١) وأنه مَـن اعتَبط مؤمناً قتلا عن بيّنة فإنه قَوَدٌ به ، إلا أن

يرضى ولي المقتول [بالعقل] وأنّ المؤمنين عليه كافّةً ولا يحلُّ لهم إلا قيام عليه . ٤٥

(٢٢) وأنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن يَنصر مُحدِثاً أو يُؤوِيه ، وأن من نصره ، أو آواه ، فإنّ عليه لعنةَ الله وغضبهَ يوم القيامة ، ولا يُؤخذ منه صرف ولا عدل . ٤٨

(٢٣) وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنّ مردّه الى الله وإلى محمد .

* * *

(٢٤) وأنّ اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا مُحاربين .

(٢٥) وأنّ يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مَواليهم وأنفسهم إلا مَن ظَلَم وأثم ، فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته . ٥١

(٢٦) وأنّ ليهود بني النّجّار مثل ما ليهود بني عوف . ٥٤

(٢٧) وأنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

(٢٨) وأنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

(٢٩) وأنّ ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف . ٥٧

(٣٠) وأنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

(٣١) وأنّ ليهود بني ثَعلَبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا مَن ظلم وأثم ، فإنّه لا يُوتِغ إلا نفسَه وأهلَ بيته . ٦٠

(٣٢) وأنّ جَفْنَةَ بطنٌ مِن ثعلبة كأنفسهم .

(٣٣) وأنّ لبني الشُّطَيبَة مثل ما ليهود بني عوف ، وأنّ البرَّ دون الإثم . ٦٣

(٣٤) وأنّ موالي ثعلبة كأنفسهم .

(٣٥) وأنّ بطانة يهود كأنفسهم .

(٣٦) وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد . ٦٦

(٣٦ ب) وأنه لا يَنْحَجِز على ثأرِ جُرحٍ ، وأنه مَن فَتَك

فبنفسه وأهل بيته إلا مَن ظَلم وأنّ الله على أبَرِّ هذا .

٦٩ (٣٧) وأنّ على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأنّ بينهم النصر على مَن حاربَ أهل هذه الصحيفة ، وأنّ بينهم النصح والنصيحة والبرِّ دون الإثم .

٧٢ (٣٧ ب) وأنه لا يأثم امرءٌ بحليفه ، وأنّ النصر للمظلوم .

(٣٨) وأنّ اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

(٣٩) وأنّ يَثربَ حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة .

٧٥ (٤٠) وأنّ الجار كالنفس غير مُضارٍّ ولا آثِم .

(٤١) وأنه لا تُجار حرمةٌ إلا بإذن أهلها .

(٤٢) وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدث ، أو اشتجار

٧٨ يُخاف فسادُه ، فإنّ مَرَدَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبَرِّه .

(٤٣) وأنه لا تُجار قريش ولا مَن نَصَرها .

٨١ (٤٤) وأنّ بينهم النصر على مَن دهم يثرب .

(٤٥) وإذا دُعوا إلى صلح يُصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دَعوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين إلا

٨٤ مَن حاربَ في الدِين .

(٤٥ ب) على كل أناس حِصَّتهم مِن جانبهم الذي قِبَلهم .

(٤٦) وأنّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه

٨٧ الصحيفة مع البِّر المحض مِن أهل هذه الصحيفة ، وأنّ البرَّ دون الإثم لا يَكسِب كاسب إلا على نفسه ، وأنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبَرِّه .

٩٠ (٤٧) وأنه لا يحول هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثم ، وأنه مَن خرجَ آمِنٌ ومن قعد آمِنٌ بالمدينة ، إلا مَن ظلم وأثم ، وأنّ الله جارٌ لمن بَرَّ واتّقى ، ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

سطر (١) زنجويه : . . . (ولعل معه حق لتأخر نزول « بسم الله الرحمن الرحيم ») .

(٢) بع ، زنجويه : + [رسول الله] .

(٣) بع ، زنجويه : + [أهل] ــ + فحل معهم وجاهد . . .

(٤) بع : واحدة دون الناس .

(٥) بع ، زنجويه : رباعتهم (وفي رواية : ربعاتهم) بينهم معاقلهم الأولى وهم ــ (٥ ـ ٦) زنجويه في رواية : وهم يفكون .

(٦) بع : المؤمنين والمسلمين .

(٧ ـ ٢١) بع : على رباعتهم ـ طائفة منهم تفدى .

(٧ ـ ٢١) زنجويه : طائفة منهم تفدى .

(٩) بع : + [ ] ــ زنجويه : بنو الخزرج .

(٢٣) بهـ في نسخة : مفرجا ـ زنجويه في رواية : مفدوحا ــ (بع ، زنجويه : مفرحا منهم أن يعينوه) .

(٢٥) بع : . . . [قابل مسلم رقم ١٥٠٧ ، وبحن ج ٣ ص ٣٤٢ : عن جابر كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولهم ثم كتب أنه لا يحل أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه (أو : إذن وليه)] .

(٢٦) بع : + [ ] ــ [ ] ــ بع : من بغى وابتغى منهم ــ زنجويه : يد على من بغى .

(٢٧) إثماً : كذا في بآ ، وفي بهـ وبع وزنجويه : إثم أو عدوان أو فساد .

(٢٨) بع ، زنجويه : عليه جميعه .

(٢٩) بع ، زنجويه : لا يقتل ـ زنجويه : ولا ينصر كافر .

(٣١ ـ ٣٢) بع ، زنجويه : . . . والمؤمنون بعضهم .

(٣٣) بع ، زنجويه : من اليهود فإن له المعروف والأسوة .

(٣٥) بع ، زنجويه : واحد ولا يسالم .

(٣٧) بع ، زنجويه : غزت . . . يعقب بعضهم .

(٣٨ ـ ٣٩) بع ، زنجويه : . . .

(٤٠) بع : أحسن هذا وأقومه .

(٤١ ـ ٤٢) بع ، زنجويه : لقريش ولا يعينها على مؤمن .

(٤٣) بع ، زنجويه : قتلا فإنه قود إلا ــ

(٤٤ ـ ٤٥) بع ، زنجويه : + [ ] ــ كافة . . .

(٤٧) أو يؤويه : كذا في بع ، وفي بهـ وزنجويه : ولا يؤويه ــ بع ، زنجويه : فمن نصره .

(٤٨) بع : إلى يوم القيامة لا يؤخذ ــ زنجويه : لا يقبل منه .

(٤٩) بع ، زنجويه : ما اختلفتم ــ فإن حكمه إلى الله (تبارك وتعالى) وإلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(٥١) بع : عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين ــ زنجويه : عوف أمة من

(٥٢) زنجويه : وللمؤمنين ــ

(٥٢ ـ ٥٣) بع : وللمؤمنين دينهم إلا من ظلم وأثم .

(٥٦ - ٥٧) بع ، زنجويه : ٥٦ - ٥٧ (مع تقديم وتأخير) .

(٥٨) بع : ليهود الأوس ــ زنجويه : ليهود الأوس مثل ذلك . . .

(٥٩ - ٦٠) بع ، زنجويه : . . . إلا من ظلم . . . (ولكن راجع حاشية المادة ٤٦ أدناه) .

(٦١ - ٦٥) بع ، زنجويه : . . .

(٦٦) بع ، زنجويه : أحد منهم .

(٦٧ - ٦٨) بع ، زنجويه : . . .

(٦٩ - ٧٠) بع : . . . وأن بينهم النصر ــ زنجويه : . . . على اليهود .

(٧٠ - ٧١ - ٧٢) بع : بينهم النصيحة والنصر للمظلوم ــ زنجويه : والنصيحة والنصر للمظلوم

(٧٣) بع ، زنجويه : . . . (راجع ايضاً المادة ٢٤ ، ٣٧) .

(٧٤) بع ، زنجويه : وأن المدينة جوفها حرم لأهل .

(٧٥ - ٧٦) بع ، زنجويه : . . .

(٧٧ - ٧٨) بع : من حدث . . يخاف .

(٧٨ - ٧٩)بع ، زنجويه : فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي . . .

(٨٠) زنجويه، بع : . . .

(٨٢ - ٨٣ - ٨٤) بع : وإنهم إذا دعوا إلى صلح حليف لهم فإنهم يصالحونه وإن دعونا إلى مثل ذلك فأنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب الدين - زنجويه : وإنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم بالأسوة فإنهم يصالحونه وإن دعونا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب الدين .

(٨٥) بع ، زنجويه : على كل أناس حصتهم من النفقة . . .

(٨٦ - ٨٨) بع ، زنجويه : الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة وإن بني الشطيبة بطن من جفنة وإن البر دون الإثم فلا يكسب . (إلا أنه عند زنجويه : بني الشطبة مثل جفنة ــ ولا يكسب) ــ بهـ : مع البر المحسن .

(٩٠) بع ، زنجويه : . . . لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم .

(٩١ - ٩٢) بع ، زنجويه : آمن إلا من ظلم وأثم . وإن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن .

المرجع : محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية ..

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

(أ) المصادر والمراجع العربية

القرآن الكريم

العهد القديم (سفر التثنية)

- آرمسترونج، كارين، **سيرة النبي محمد**، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني (مصر: كتاب سطور، ١٩٩٨م ؟).

- ابن الأثير، علي بن محمد، **الكامل في التاريخ**، (بيروت: دار بيروت: ١٤٠٢هـ).

- ابن الأثير، علي بن محمد، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي، (بيروت: دار الفكر، د: ت).

- أحمد، مهدي رزق الله: **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، الطبعة الأولى: الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- إدريس، جعفر شيخ، "**منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم**" **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية** (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). ١/٢٠٧-٢٤٧.

- إرفنج، واشنجتون، **حياة محمد**، ترجمة علي حُسني الخربوطلي، الطبعة الثانية (مصر: دار المعارف، د: ت).
- الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد علي النجار وآخرين (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د: ت).
- ابن إسحاق، محمد المطلبي، **السير والمغازي**، تحقيق سُهيل زكار، الطبعة الأولى (د: م، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **الأغاني**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
- باشميل، محمد أحمد، **غزوة بني قريظة**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩١هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البُغا، الطبعة الرابعة، (دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، الطبعة الأولى (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م).
- بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة السابعة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م).
- البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، **معالم التنزيل**، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، (الرياض: دار طيبة، د: ت).
- بفانمولر، جوستاف، **سيرة الرسول في تصورات الغربيين**، ترجمة محمود حمدي زقزوق، الطبعة الأولى، (البحرين: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ).

- البلادي، عاتق بن غيث البلادي، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، الطبعة الأولى، (مكة: دار مكة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

- البلاذري، أحمد بن يحيي، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، الطبعة الثالثة، (مصر: دار المعارف، د: ت).

- البلاذري، أحمد بن يحيي، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع، (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- بودلي، د. ف، **الرسول: حياة محمد**، ترجمة محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار، (مصر: د: ت).

- البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (القاهرة: مطبعة الحلبي، د: ت).

- البيهقي، أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة**، تحقيق عبدالمعطي القلعجي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **الجامع الصحيح**، وهو سُنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، الطبعة الثانية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د: ت).

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، الطبعة الرابعة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار العلم للملايين،

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

- الحاج، ساسي سالم، **الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية**، الطبعة الأولى، (مالطة: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٢م).

- ابن حبان، محمد بن حبان البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق السيد عزيز بك وآخرين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، وبهامشه **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لابن عبد البر النمري القرطبي، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٢٨، (بيروت: دار صادر، د: ت).

- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، **جوامع السيرة النبوية**، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، **جمهرة أنساب العرب**، الطبعة الرابعة (القاهرة: دار المعارف، د ـ ت).

- حسان بن ثابت، **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق سيد حنفي حسنين ومراجعة حسن الصيرفي، (القاهرة : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

- الحــلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية:إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون** ، (دار المعرفة: د: ت، د: م).

- حمــدان، عبد الحميد صالح، **طبقات المستشرقين**، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د:ت).

- حميد الله، محمد، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد، **المسند**، (القاهرة:: مؤسسة قرطبة، د: ت).

- ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **التفسير الكبير**، **المسمى بالبحر المحيط**، (الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د: ت).

- خياط، خليفة، **تاريــخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثالثة، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

- خليل، عماد الدين، "العلاقات الإسلامية – اليهودية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"، **مجلة المورد**، المجلد الثالث، العدد الثاني، ص ص ٥٣- ٦٦، (بغداد : ١٣٩٤م) .

- الدارمــي، عبد الله بن عبد الرحمن، **سُنن الدارمي**، تحقيق فواز زمرلي وخالد العلمي، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الرياض للتراث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- أبــو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سُنن أبي داود**، تحقيق كمال يوســف الحــوت، الطــبعة الأولى، (بيروت: دارة الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

- درادكــة، صالح موسى، **العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء**

الراشـــدين، الطبعة الأولى، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـــ أ/ ١٩٩٢م)..

- دروزة، محمـــد عزة، **اليهود في القرآن الكريم**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـــ).

- درمـــنغم، إميـــل، **حيـــاة محمد**، نقله إلى العربية عادل زعيتر، الطبعة الثانية (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٦٨هـــ/ ١٩٤٩م).

- ابـــن دُريـــد، محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـــ/١٩٩١م).

- الذهـــبي، محمـــد بـــن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شُعيب الأرنـــؤوط وآخرين، الطبعة التاسعة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـــ/١٩٩٣م).

- ابن رسته، علي بن أحمد بن عمر، **الأعلاق النفيسة**، وبذيله كتاب **البلدان**، تأليف أحمد بن يعقوب اليعقوبي (ليدن: بريل، ١٨٩٢م).

- الـــرازي، محمـــد بـــن عمر، **تفسير الفخر الرازي**، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـــ).

- زُريق، برهان، **الصحيفة، ميثاق الرسول ودولة الإسلام في المدينة**، (دمشق: دار النمير ومعد، د: ت).

- زكـــريا، هاشم ، **المستشرقون والإسلام**، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٥هـــ /١٩٦٥م).

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار المعرفة، د:ت).

- ابن زنجويه، حميد، **كتاب الأموال**، تحقيق شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى، الـــرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م).
- الزهـــري، محمد بن مسلم بن شهاب، **المغازي النبوية**، تحقيق سُهيل زكار، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م).
- ابـــن سعد، محمد بن منيع البصري، كتاب **الطبقات الكبرى**، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـــ - ١٩٦٨م).
- الســـمهودي، علي بن أحمد، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، تحقيق محمد محيـــي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٠هـــ/١٩٨١م).
- ســـوذرن، ريتشارد، **صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة رضوان السيد، الطبعة الأولى (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٤م).
- ابـــن ســـيد الناس، محمد بن محمد، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، (بيروت: دار المعرفة، د: ت).
- ســـيد أمـــير عـــلي، **روح الإسلام**، نقله إلى العربية عمر الديراوي، الطبعة الخامسة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).
- السُهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، **الرّوض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية** لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، (القاهرة: مؤسسة مختار، د:ت).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: محمد أمين دمج).

- الشـافعي، محمد بن إدريس، **الأم**، تحقيق محمد زهري النجار، (بيروت: دار المعرفة، د: ت).
- ابـن شـبة، عمر بن شبة النُميري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، (دون معلومات نشر).
- الشريف، أحمد إبراهيم، **دولة الرسول في المدينة**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د: ت).
- الصـقار، سامي حماس، "دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي" مجلة **المنهل**، العدد ٤٧١ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ، (ص ص: ١٤٢– ١٦٧).
- صـيرما، إحسان ثريا، "سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته مع اليهود"، منشور في كتاب **البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية**، (الدوحة، قطر ١٤٠٠هـ) ٢/٢٠٣ - ٢١٩، ونشر في **مجلة المؤرخ العربي**، بغداد، العدد الرابع والعشرون، (١٤٠٤هـ) ص ص ٩٣ - ١٠٢.
- الطـبري، محمـد بن جرير، **تاريخ الرسُل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار المعارف، د: ت).
- الطبري، محمدبن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- طعـيمة، صـابر، **تاريخ اليهود العام**، الطبعـة الثالثة (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥م).

- ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله بن محمد، **الدُرر في إختصار المغازي والسيّرْ**، الطبعة الثانية، (دمشق: وبيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- العبيد، عبد الرحمن بن محمد، **اليهود في يثرب ومواقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم**، (القاهرة:جامعة الأزهر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- أبو عُبيد، القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد عمارة، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩هـ).
- عروة بن الزبير، **مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم**، جمع وتحقيق محمد مصطفى الأعظمي، (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م).
- العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، الطبعة الرابعة، (القاهرة: دار المعارف، د:ت).
- العقيلي، محمد أرشيد، **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، الطبعة الأولى (عمان: المطبعة الوطنية، ١٤٠١هـ).
- علي، جواد، **تاريخ العرب في الإسلام**، الطبعة الثانية، (دار الحداثة للنشر: ١٩٨٨م، د: م).
- علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).
- العلي، صالح أحمد، **دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولى**، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

- العُمري، أكرم ضياء، **السيرة النبوية الصحيحة**، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- العُمـــري، بريك محمد بريك، **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة**، الطبعة الأولى، (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- العوا، محمد سليم، **في النظام السياسي في الدولة الإسلامية**، (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- غـــنايم، محمد نبيل، "العلاقات الإسلامية اليهودية في عصر الرسول صلى الله عـــليه وسلم"، **مجلة مركز بحوث السنة والسيرة**، العدد الثالث، (ص ص: ٤٨٩ – ٥٤٧)، (قطر ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- قاسم، عون الشريف، **نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، الطبعة الثانية، (القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري والكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- ابـــن قدامة، عبد الله بن قدامة المقدسي، **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق علي نويهض (دار الفكر: ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، د.م).
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).
- ابـــن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، **زاد المعاد في هدي خـــير العـــباد**، تحقيق عرفان عبد القادر العشا، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- كـــارليل، توماس، **الأبطال**،ترجمه إلى العربية محمد السباعي، (بيروت: دار الكاتب العربي، د: ت).

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، (القاهرة: دار أم القرى، د: ت).
- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، **جمهرة النسب**، تحقيق ناجي حسن، الطبعة الأولى، (بيروت:عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
- لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، نقله إلى العربية عادل زعيتر، (القاهرة: مطبعة الحلبي، د: ت).
- مراد، محمد كامل، "موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة" **مجلة كلية اللغة العربية**، جـ ٣، ص ص: ١٩٣ - ٢٢٨، (الرياض: ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- المسعودي، علي بن الحُسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الطبعة الأولى، (بيروت:: دار الأندلس، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- المسعودي، علي بن الحُسين، **التنبيه والإشراف**، (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨١م).
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- المقدسي، يوسف بن حسن بن عبد الهادي، **الشجرة النبوية في نسب خير البرية**، تحقيق محيي الدين مستو، الطبعة الثانية، (بيروت ودمشق: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ).

- المقريزي، أحمد بن علي، **إمتاع الأسماع**، تحقيق محمود محمد شاكر، (مصر: لجنة التأليف والترجمة، د: ت).

- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د ـ ت).

- موسى بن عُقبة، **المغازي**، جمع ودراسة وتحقيق محمد باقشيش أبو مالك، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٤م).

- أبو النصر، هبة الله بن سلامة، **الناسخ والمنسوخ** بهامش **أسباب النزول**، (بيروت: دار المعرفة، د: ت).

- نقرة، التهامي، "القرآن والمستشرقون" منشور في **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، (الرياض: مكتب التربية لدول الخليج والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ١/٢١- ٥٧.

- وات، مونتجمري، **محمد في المدينة**، تعريب شعبان بركات، (صيدا: المكتبة العصرية، د: ت).

- وات، مونتجمري، **محمد في مكة**، تعريب شعبان بركات، (صيدا: المكتبة العصرية، د: ت).

- الواحدي، علي بن أحمد، **أسباب النزول** وبهامشه **الناسخ والمنسوخ** لأبي النصر هبة الله بن سلامة، (بيروت: دار المعرفة).

- الواقدي، محمد بن عمر، **المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

- ولفنسون، إسرائيل، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، (مصر: مطبعة الإعتماد ٣، ١٣٤٥هـ /١٩٢٧م).

- ابـــن هشـــام، عبد الملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية** تحقيق مصطفى السقـــــا وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العـــربي، د: ت).
- هيكـــل، محمـــد حُســـين، **حياة محمد**، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٣٥٤هـــ).
- يـــاقوت بـــن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار صادر وبيروت، ١٩٥٧م).
- يحيي بن آدم، **كتاب الخراج**، " ضمن مجموعة من كتب الخراج "، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـــ).
- اليعقـــوبي، أحمـــد بن يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، (بيـــروت: دار بيـــروت، ١٤٠٠هـــ).
- أبـــو يوسف، يعقوب بن إسماعيل، **كتاب الخراج**، ضمن مجموعة من كتب الخراج، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م).

(ب) المراجع الأجنبية

- Abbott, Nabia,"Compaigns of Muhammad" **Studies in Literary Papyri** (Pt: 1) (The University of Chicago Press (Chicago: 1957).
- Ahmad, Barakat. **Muhammad and the Jews: A re-examination** (New Delhi: 1979).
- Andrae, Tor. **Muhammad The Man and his Faith**, translated by Thephil Menzel (London: George Allen and Unwin)
- Arafat, W. N. "New light on the story of Banu Qurayza and the Jews of Medina" **JRAS**, (London: 1976). II, Pp: 100-107.
- Buhl, F. art. " Muhammad " **SEI**, (Cornell University , Press: n.d) Pp. 390 - 405.
- Denny, Frederick M. art. " Ummah in the Constitution of Medina " **JNES**. Vol.: 36, Num. 1. (1977) Pp. 39 - 47.
- Dermenghem, Emile. **The Life of Mahomet** (London: 1930).
- Encyclopaedia Judaica, art. "**NADIR** " Vol. 12, Pp. 754 -755. (Jerusalem: 1971).
- „ „ „ art. " Qurayza". Vol.: 14, P. 1436.,
- „ „ „ art. "Qaynuqa". Vol.: 13, Pp. 1418 - 1419 .
- Gabrieli , Francesco, **Muhammad and the Conquests of Islam.** Translated from the Italian by Virgina Luling (New York - Toronto: 1968).
- Gibbon, E and Simon Ockley. **The Saracens: Their History and the Rise and fall of their Empire**. (London: 1984).
- Gil, Moshe. "The Origin of the Jews of Yathrib" **JSAI** 4, (1984) Pp. 203 - 224 .
- GiL,M."The Conotitution of Medina:A-reconsideration" **IOS** (4) (Tel Aviv University, 1974) Pp. 44 - 65.

- Guillaume, A. **The Life of Muhammad: A translation of Ibn Ishaq's Sirat Rasul Allah.** (Oxford Univ, Press, 1978).
- Jacobs, louis: art. " SHABBT," **ER**, Vol: 13, Pp. 189 - 192 (Macmillan Publishing Company, New York , 1993)
- Jones, J. M. B. "The Chronology of the Maghazi., Atextual Survey " **BSOAS**, Vol: XIX (London: 1957) Pp. 245 - 280.
- Kister, M. J. "The Market of the Prophet" In **Studies in Jahiliyya and early Islam** (London: 1980) Pp. 272 - 276.
- Kister,M. "The Massacre of the Banu Qurayza. A-re-examination of the tradition " **JSAI**, 8, (1986) Pp. 61- 98.
- Kister,M. " Notes On the Papyrus Text about Muhammad's Campaign Against the Banu al - Nadir" archiv Orientalni, 32 (1964) Pp. 233 - 236
- Lecker, M. "On Arabs of the Banu Kilab Executed Together with the Jewish Banu Qurayza" **JSAI**, 19 (1995) Pp. 66 - 72.
- Margoliouth, D. S. **Muhmmad and the Rise of Islam**. Second ed. (London: 1905).
- Muir, William. **The Life of Muhammad** (Edinburgh: 1923)
- Muir, W. **Mahomet and Islam** (The religious tract Society).

Paret, R. art. " Umma" **SEI**. Pp. 603 - 604.

- Rodinson, Maxim. **Muhammad** , translated by Ann Carter nd, ed. (England: 1996).
- Sergeant, R. B. "The Constitution of Medina " **IQ**, Vol: VIII (1964) Pp. 3 - 16.
- Sergeant, R."The Sunnah Jāmiʿah,Pacts with the Yathrib Jews and the Tahrim of Yathrib: analysis and translation of the Documents comprised in the So called Constitution of Medina " **BSOAS**, Vol: 41 (1978) Part, 1. Pp. 1 - 42.

- Suleman , Muhammad. "The Role of Intellingence in the Seccessful Defence of Medina in 5 A. H." **IQ** Vol: XXIII (1984) Pp. 47 - 52.
- Vacca, V. art. " Nadir " , **SEI**, Pp. 429 - 430.
- Vacca, V. art. " Kuraiza " **SEI**, Pp. 272 - 273.
- von Grunebaum, G, E **Classical Islam. A History 600 - 1258.** Translated by Katherine Watson (Chicago: 1970).
- Waardenburg, J. "Towards a Periodization of Earliest Islam according to its Relations with Other Religions" in the: **Prococding of the ninth Congress of the Union europeanne due Arabisants et Islam**. sanst. (Leiden: 1981). Pp. 304-326.
- Watt, M. **Muhammad At Medina** (Oxford at the Clarendon press, 1977).
- Watt, M. **Muhammad Prophet and Statesman** (Oxford University press, 1980).
- Watt, M. "Muhammad in the Eyes of the West " **BUJ**, Vol: 22 no. 3, fall, 1974 Pp. 61 - 69.
- Watt, M. "The Condemnation of the Jews of Banu Qurayza " **MW**, Vol: XLII July 1952.. Pp. 160 - 171 .
- Wellhausen, J. "Muhammad's Constitution of Medina" in **Muhammad and the Jews of Medina** by A. J. Wensinck, Pp. 128 - 138 .
- Wensinck, Arent, J. **Muhammad and the Jews of Medina**, translated and edited by Wolfgang H. Behn Second ed. (Berlin: 1982).
- Zaid, "The Masada Legend in Jewish and Islamic Traditions" **IQ**, Vols: XX XXII (1978) Pp. 94 - 103.
- Zein al - Abdin, al - Tayib, "The Political Significance of the Constitution of Medina" in **Arabian and Islamic studies** (London: 1983) Pp. 146 - 152.

إيضاح الاختصارات

BUJ: Boston University Journal.

BSOAS: Bulletin of the School of Qriental and African Studies.

EJ: Encyclopaedia Judica.

ER: The Encyclopaedia of Religion.

IOS: Israel Oriental Studies.

IQ: The Islamic Quarterly.

JSAI: Jerusalem Studies in Arabic and Islam.

JRAS: Journal of the Royal Asiatic Society.

JNES: Journal of Near Eastern Studies.

MW: The Muslim World.

الكشافات

الكشافات